

منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية

صدر بمناسبة مهرجان المتنبي

بغداد - تشرين الثاني ١٩٧٧

ابراهيم السامرائي

من معجم المتنبي

دراسة لغوية تاريخية

مقدمة

كنت قد شرعت في دراسة لغة المتنبّي واستعمالاته الخاصة منذ ما يقرب من عشرين سنة . ولم أكن قد اتخذت من مواد الدرس غير ديوانه ، فاستقرت شعره استقراء وافياً فتهياً لي من ذلك قدر يسمح ان أقيم منه كتابي هذا .

ولقد حفزني الى ان أقوم بهذا العمل شعور بأن الحاجة تدعو الى أن يكون لنا منهج تطبيقي في دراسة اللغة وتطورها ، ومن ثم يتها من هذا العمل مشاركة في دراسة حقبة من تاريخ العربية . ولقد درج المعنيون بتدريس ما يسمى بـ « فقه اللغة » على شيء غبرت أيامه يعرضون فيه لشيء يتصل بالكلمة وأبنيتهما وما يكون من ترادفها وتضادها ونحتها وتركيبها والمشارك والمختلف منها . ومن غير شك ان قدراً يسيراً مما هو موجود في كتب ابن جني وابن فارس يفي بكثير من هذا الغرض . وليت القوم فطنوا الى ما فطن له أولئك المتقدمون الأفاضل .

ومن المعلوم ان هذا المنهج القديم لا يكفي باديء ذي بدء ، ثم ان أشياء كثيرة جدت في علم اللغة الحديث Linquistique ينبغي للطلاب أن يكون على معرفة بها . ولقد رأيت في منهج الدراسات اللغوية لدى الفرنسيين مثلاً ان يعرض الدارس للمنهج اللغوي في النصوص الادبية المشهورة لعصر من العصور فيدرس اللفظ مؤرخاً له ، مبيناً علاقته بالبيئة ، شارحاً طريقة الاديب صاحب النص في استعماله ، وما جدت على هذا الاستعمال وما عكس من الظلال الى غير ذلك من الفوائد .

| |
|---------------------|
| مكتبة جامعة اليرموك |
| رقم التسلسل ١٤٩٦٦ |
| التاريخ ١٩٧٨/١٠/١٨ |
| رقم التصنيف |

PJ7750
M8
Z873
1977

PJ7750
M8
S3

هل كان لنا شيء من هذا ؟

لم يكن شيء من هذا في دراستنا للنصوص في عصرنا هذا والعصور التي سلفت ، لقد ورثنا كثيراً من الشروح للنصوص القديمة فقد شرحت دواوين الشعراء كما شرحت الدواوين الأخرى التي انصرفت الى مجاميع كبيرة من النصوص لشعراء عدة مثل كتب الحماسة وما يتصل بها أو ينهج نهجها . ولعل التصانيف التي خلصت الى الشواهد - وهي كثيرة - شيء من هذا .

ولكن هذا التراث على قيمته العالية التزم منهجاً خاصاً ، فلم يؤمن النقدة من اهل اللغة الى ما ندعوه في عصرنا هذا بالتطور . لقد عدوا الصحيح الفصيح ما أثر في استعمال المتقدمين من الشعراء جاهليين واسلاميين ممن ثبت انهم لم يتصلوا بالحواضر .

جاء في مصادر الأدب واللغة أن ابا حاتم السجستاني سأل الأصمعي فقال : أتقول في التهديد أبرق وأرعد ؟ فقال : لا لست أقول ذلك إلا ان أرى البرق وأسرع الرعد فأنشد له قول الكميت :

أبرقُ وأرعدُ يا يَزِيبُ دُفْما وعيدُك لي بضائرٍ

قال : الكميت جرّ مقاني من أهل الموصل ليس بحجة ولكن الحجة هو الذي يقول :

إذا جاوزت من ذات عرق ثنيةً فقل لأبي قابوس ماشئت فارعد

وهو شاعر جاهلي وشاعرك هذا متأخر لا يؤخذ بقوله . قال ابو حاتم فأنيت أبا زيد الانصاري وقلت له : كيف تقول من البرق والرعد فعلت السماء قال : رعدت وبرقت . قلت : فمن التهديد ؟ قال : رعدَ وبرقَ ، وأرعدَ وأبرقَ فأجاز اللغتين ولم يُجز الأصمعي إلا واحدة^(١) .

وهكذا حكموا على فصيح اللغة فقصروه على جماعة دون أخرى ،

(١) الأمالي (ط دار الكتب) ٩٦/١ .

فهي تؤخذ عن هذا ولا تؤخذ عن معاصر له لصفة من الصفات لم تتوفر في أحدهما .

ان اولئك النقاد اللغويين قد صرفوا همهم الى جمع الغريب والنادر . ومن أجل ذلك حفز اهتمامهم هذا الأعراب الذين صارت لهم الرواية ما يشبه الحرفة . وكان من ذلك ان حفلت العربية بالصحيح والموضوع ، فمن المعروف ان الحطيئة قال حين حضرته المنيّة : ويل للشعر من الرواة السوء^(٢) .

وقد ذكروا ان الخليل قال : ان النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعنيّت .

قال ابن فارس : فليتحجر آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة فقد بلغنا من أمر مشيخة بغداد ما بلغنا^(٣) .

لقد أشار هؤلاء المتقدمون من اللغويين الى طريقة جمع اللغة ونصوصها وكيف عرض لها الوضع والافتعال والتزويد .

وهذا يعني ان الحاجة ما زالت قائمة لدراسة اللغة وضبط تاريخها والتوجه اليها بالنقد والتجريح لنخلص الى حقائق واضحة من تاريخ لغتنا القديمة .

أقول فما بالنا لا نعني بلغتنا على نحو ما يعنى به الغرييون في هذا العصر . أليس من المعيب اننا لا نملك معجماً لعربيتنا الحديثة ، بل لا نملك معجمات للمثقف بوجه عام ، وهل وجد أصحاب الاختصاصات المختلفة معجماتهم المتخصصة . وهل كان لنا معجم تاريخي يؤرخ للالفاظ ويثبت المسيرة التاريخية للكلمة وكيف تحتل مكانها بين سائر الكلمات طوال العصور .

(٢) الشعر والشعراء (ت أحمد شاكر) ص ٢٨١ .

(٣) صاحب في فقه اللغة ص ٣٠ .

لم يكن لدينا شيء من ذلك ، ولعل السابقين كانوا اكثر عناية منا بهذه اللغة . من المشهور ان العرب في ما خلا من القرون قد صنعوا للغتهم الشيء الكثير ، فلم يكتب في نحو أية لغة من اللغات ما كتب في نحو العربية . وبسبب من هذا كان للدراسات العربية اجل نصيب في الخزانة العزبية التي انصرفت لتسجيل وضبط التراث العلمي القديم .

غير ان هذا التراث الضخم الذي تركه لنا المتقدمون في نحو العربية وصرفها وما يتصل بالعلم اللغوي قد ناله الضيم مما عرض له بسبب من المنهج الذي اتبعه اولئك المجتهدون .

وقد اجتهدت أن أقوم بعمل يتصل بعناصر من لغة المتنبي فأقف عليها وقفة أعرض فيها لشيء من تاريخها وطريقة استعمالها ، وما كان للشاعر فيها من أثر فردي . وقد رتبت عملي على حروف المعجم فجعلته شيئاً من عمل معجمي في لغة هذا الشاعر العبقري . وأنا حين أباهر هذا العمل تحضرني مقولة ابن رشيق القيرواني في « العمدة » وقد تحدث عن كبار الشعراء :

« ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس »

أقول : لعل شيئاً من هذه المقولة ما زال صادقاً ذلك أن المعنيين بالأدب القديم وغيره منذ عصر الشاعر الى يوم الناس هذا يحفلون بالمتنبي ويكبرونه ويعيدونه أحد عباقرة الشعراء العرب ان لم يكن رأس هذه الطائفة . وما زال أدبه على كل لسان وفي كل مقالة وكتاب .

وكأنه أحس في نفسه الكبيرة شيئاً من ذلك حين قال :

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
فقد كان المعري اذا أنشد هذا البيت يقول : انا الأعمى .

لقد أرسل أدبه ارسالاً فبهر به جمهرة الشعراء والنقاد وأهل الأدب وراحوا ينظرون فيه بين مكبر معجب أشد الاعجاب وحاقد مستنكر يتصيد السقطات والهفوات وكأنه عنى هذه الجمهرة الكبيرة حين قال :

أنا ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاًها ويختصم

وتصدي له نفر من اولئك الحاقدين من الشعراء وغيرهم وقد دفعهم فلان، أو فلان من ذوي السلطة والشأن كالوزير المهلبى وغيره الى أن يقولوا فيه وفي شعره شيئاً فصنعوا ولم يكن صنيعهم هذا بمحقق غرضاً من ذاك الذي « ملأ الدنيا وشغل الناس » .

ولم يكثر شيء مما صنعوا ولكنه قال :

أرى المتشاعرين غرّوا بدمي ومن ذا يحمّد الداء العضالا

ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

لقد انطوت أشعار اولئك المتشاعرين وبقي المتنبي على ألسنة المعجبين، يرددون قوله :

وما الدهر الا من رّواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغني مغرّداً
وقوله :

وما تسعّ الا زمان علمي بأمرها وما تحسن الأيام تكتب ما أملني

وتحدث ضياء الدين بن الأثير صاحب « المثل السائر » في كتابه « الوشي المرقوم » (٤) فقال :

« وكنت سافرت الى مصر سنة ست وتسعين وخمسائة ورأيت الناس مكبّين على شعر أبي الطيب المتنبي دون غيره فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك وقلت ان كان لان أبا الطيب دخل مصر فقد دخلها قبله من هو مقدّم عليه وهو أبو نواس الحسن بن هانئ . فلم يذكروا لي في هذا شيئاً . ثم إنني فاوضت عبدالرحيم بن علي اليبساني (القاضي الفاضل) رحمه الله في هذا فقال لي :

(٤) الوشي المرقوم عن مقدمة الدكتور عبدالوهاب عزام في « ديوان أبي الطيب المتنبي » .

« ان ابا الطيب ينطق عن خواطر الناس » •

ولقد صدق فيما قال •

وأنت تدرك أعجاب ابن الأثير بأدب الشاعر واكباره له في كتابه^(٥) « المثل السائر » حين عرض غير مرة لشعره ناثراً في فصل أسماه « حل المنظوم » فقد اتخذ نموذجاً لذلك قول المتنبي :

تلكد له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام

قلت : لقد تصدى للبتبي نفر من الشعراء وغيرهم من النقاد • لقد صنف أولئك النقاد مصنفات في نقد المتنبي اشتملت على « سقطاته » و « سرقاته » استجابة لفلان من ذوي الشأن كالوزير المهلبى ممن أعرض عنهم الشاعر فلم يخصصهم بشيء من شعره • فكانت « الابانة عن سركات المتنبي »^(٦) ، و « الكشف عن مساوئ المتنبي »^(٧) و « الرسالة الحاتمية »^(٨) و « الرسالة الموضحة »^(٩) وغير ذلك • ثم جاء القاضي الجرجاني فألف كتابه المشهور « الوساطة بين المتنبي وخصومه » • وهذا الكتاب الأخير من الكتب النافعة لانه عرض بشيء من القسط للموضوع فكان من كتب النقد المعدودة •

وَأنت اذا فحصت هذه المصنفات أنكرت الكثير مما عُدَّ سَرَقاً فقد تجد تشابهاً في معنى من المعاني ذكره شاعر متقدم على المتنبي أو معاصر له • وبسبب من هذا التشابه زعموا أنه سرق المعنى •

(٥) المثل السائر (فصل حل المنظوم) •

(٦) الابانة عن سركات المتنبي لابي سعد محمد بن احمد العميدي (دار المعارف ١٩٦١) •

(٧) الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عباد (طبعت في ذيل « الابانة » وطبعت ببغداد منفردة غير مرة بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين •

(٨) الرسالة الحاتمية للحاتمي (طبعت في ذيل الابانة) كما نشرها فؤاد افرام البستاني في بيروت •

(٩) الرسالة الموضحة لابي علي الحاتمي (بيروت ١٩٦٥) •

ألا ترى معي انهم خرجوا عن الصدق وابتعدوا عن الحق حين ادعوا ان المتنبي في قوله :

اذا اكتسب الناس المعالي بالندى فانك تعطي في ندادك المعاليا
قد أخذ المعنى من قول ابي العتاهية :

أحييت ذكراً طيباً نشره تفصيله اذكى من المجمل
وأنت فرع طيب أصله لا بد للآخر من أول

وأنا أتساءل كيف كان قول المتنبي مأخوذاً من هذا « المفصل والمجمل » الذي جاء به أبو العتاهية ؟ !

وقد ادعوا ان المتنبي أخذ جملة كبيرة من معاني شعره من شعراء لم يعرفهم أدب العربية لولا هذه الاشارات النافرة في مصنفات أولئك النقاد ولعل أغلبهم لم يرزق شيئاً من شهرة في عصره الذي عاش فيه ، وإلا فمن يكون محمد البيذق الشيباني من أهل نصيبين القائل :

إني لأنصف من اخائك دائماً حاشاك من ظلم فلم لا تنصف
الظلم طبعك والعفاف تكلّف والطبع أقوى والتكلف أضعف

أكان جائزاً ان المتنبي نظر الى هذين البيتين حين قال بيته المشهور :
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عَفّةٍ فلعلّة لا يظلم
صدق المتنبي فالظلم من شيم النفوس ، نفوس أولئك النقاد الاقدمين •
ومن يكون ذاك « العوني » « الشاعر » الذي قال :

تحت أضلاعيّ اللهب وعيني في رياض من الجمال تجول

فادّعى النقاد — سامحهم الله — ان المتنبي اخذ المعنى فقال :

حشاي على جمر ذكيٍّ من الهوى وعيناي في روض من الحسن ترتع
وهل لنا ان نؤمن ان المتنبي سطا على قول ذاك « العوني » ؟ !

وقالوا أخذ المتنبي من أبي تمام وبشار والبحتري وغيرهم فقالوا
بقي قوله :

إذا جازَ مالا فقد حازَه فتى لا يُسرَّ بسا لا تَهَبُ
أخذه من قول بشار :

فلا يُسرَّ بسالٍ لا يجودُ به وليس يَفَنِّعَ إلا بالذي يَهَبُ
ومن قول البحتري :

ما احتجَّ يوماً كما احتجَّ البخيل ولا يُحِبُّ من ماله إلا الذي يَهَبُ
أقول : ان هذا المعنى مما يعرفه الخاص والعام وهو يرد في اذهان
السوقة من الناس فما بالك بالشعراء ؟ ولا أدري كيف توسعوا في مفهوم
السرق :

وأنت تجد جملة كبيرة من المشاعرين الذين خلَّدت هذه « المصنفات »
اسماءهم ولولا ذلك لكانوا في عداد من طوتهم الأيام ومن هؤلاء : ابن أبي
الرعد ؟ ومعبد بن طوق البصري وابو حويه السكسكي ، وعثمان بن عمارة
الخرزمي ، ومخيم الراسبي ، ورزين العروضي ، والمعوج الرقي ، والناشيء
الأكبر ، والواسطي ؟ ، والعجيفي الكوفي ؟

وكيف يكون قول المتنبي :

حُشاشة نفس وُدَّعت يوم ودَّعوا فلم أدر أيَّ الظاعنين أشيَّعُ
أشاروا بتسليم فجدا بأنفسٍ تسيل من الآماق والسمم أدمع
مأخوذاً من قول العجيفي الكوفي :

دمعي جرى من جفوني يوم بينهم فلست أدري أدمعي كان أم روحي
ومثل هذا كثير اجتزى منه بهذا القدر الموجز . ولقد نسيت هذه
المصنفات التي أريد بها النيل من المتنبي وأدبه حتى نهض بنشرها جماعة من
ادباء عصرنا فكشفوا عنها فكانت سوءاً من سوءات مصنفاتها ولم تكن من
« مساوىء المتنبي » .

ولعل الناس أسرع لنشر الشر والسوء واظهار ما أدعي انه سرق وسطو
وأخذ . وإلا فما بالهم لم ينشروا « معجز احمد » لأبي العلاء المعري الذي
أكبر المتنبي ايما إكبار حتى قرنه بالانبياء أصحاب المعجزات فكان شعر
« معجزاً » وإلى هذا أشارت التسمية .

ثم لِمَ لم يهدوا الى نشر « الفسر الكبير » صنعة اللغوي الشهير
أبي الفتح عثمان بن جني^(١٠) ؟ وفي هذا الكتاب وقفات على لغة المتنبي نظر
فيها المصنف بعين اللغوي البصير بدقائق العربية فأتى بفوائد كبيرة . وفي
صنف غير هؤلاء مصنفات ما زال كثير منها مخطوطاً^(١١) انصرفت الى شاعر
الشاعر واصالته في لغته ومعانيه .

(١٠) اراد الدكتور صفاء خلوصي ان ينشره فعمد الى تغييره ولم يحظ من
بأية عناية وقد سماه « ديوان ابي الطيب » ! ولم يكن « الفسر » ديواناً
ولكنه شرح لما اراد ابن جني ان يشرحه من شعر المتنبي .
(١١) طبع اخيراً في دمشق « شرح مشكل شعر المتنبي » لابن سيده .

كلمة في منهج البحث

قلت ان عملي هو جهد لغوي معجمي أعرض فيه للكلمة وأصلها وتطورها واستعمالها واتصالها بالظروف الطبيعية والاجتماعية * وهذا الجهد اللغوي قائم على الفاظ منها ما استعملها المتنبي فكانت ذات مكان خاص في شعره بسبب من طريقة الاستعمال وأنها لم تكن كغيرها من سائر ما استعمله المتنبي من مواد لغوية شاركه فيها غيره من الشعراء ، ومنهما ما وردت في شعره واستعملها كما استعملها غيره ولكنها في ذاتها جديرة بالبحث من حيث انها ذات مسيرة طويلة فهي ذات حياة تكشف عن قوة العربية وأصالتها وحيويتها * ومن هنا فالمواد التي يضمها هذا المعجم مواد خاصة آثرت أن أدرسها فأعرض مكان الشاعر في طائفة منها وطريقة فهمه لها كما أعرض لمواد أخرى وردت في شعره فكانت كما أشرت من المواد التاريخية التي تتصل بالبيئة العربية فتكشف عن بداوة تارة كما تنبئ عن قدرة فائقة في التعبير عن مواد الحضارة *

وبعد فان هذا العمل اللغوي مشاركة في معرفة شيء من تاريخ العربية خلال عصور عدة *

حرف الألف

١ - ابل

قال المتنبي :

تجري النفوس حَوَالِيهِ مُخَلَّطَةٌ مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالٌ*
من قصيدة يمدح بها ابا شجاع فاتكاً في سنة ٣٤٨ مطلقاً :
لا خيلَ عندك تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ
فليُسْعِدِ النطقُ ان لم تُسْعِدِ الحال

الشرح (١) :

يعني بالنفوس الدماء يقول : تجري عنده الدماء مختلطة دم الاعداء ودم
ذبائحه للأضياف • انتهى كلام الشارح •

اللمعة :

أقول : جمع اِبِل على آبال •
والغريب فيه ان « ابل » من أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها
نحو الضَّأْنِ والمَعَزِ والعَنَمِ ونحوها •

(١) الشرح من شرح الواحدي ص ٧٠٨ وسأثبت هذا الشرح في كل مادة من
المواد التي أعرض لها في هذا الموجز من المجموع اللغوي •

قلت لم يكن هذا المعجم الا عملاً لغوياً لطائفة من الالفاظ التي كان فيها
ضرب من المشكل • ولا اريد بالمشكل على نحو ما أريد بالمشكل لدى
اللغويين الأقدمين ولكنني أريد به ان اللفظ خاص في بنيته خاص في
استعماله ، معوز لما يستحق ان يقال فيه ما هو جديد في البحث اللغوي من
الناحية التاريخية •

ولم نجد في العربية التي بين أيدينا في مصادر اللغة ومعجماتها جمعاً لـ « إِبِل » على « آبال » ذلك ان « إِبِل » وهو اسم جمع يعني عن هذا الجمع الا في « التهذيب » للازهري فقد اثبت « آبال » .

قال الجوهري :

وهي مؤنثة لان اسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، واذا صغرتها دخلتها التاء فقلت : أُبَيْلَة و غُنَيْمَة ونحو ذلك ، قال : وربما قالوا لِلإِبِل « إِبِل » يسكنون الباء للتخفيف .

وحكى سيويه : إِبِلان قال : لان إِبِلًا اسم لم يُكسّر عليه ، وانما يريدون قطيعين .

قال أبو الحسن (الأخفش) : انما ذهب سيويه الى الايناس بتثنية الأسماء الدالة على الجمع فهو يوجهها الى لفظ الآحاد ، ولذلك قال : انما يريدون قطيعين ، وقوله : لم يكسّر عليه لم يضمر في « يُكسّر » .

والعرب تقول : انه ليروح على فلان إِبِلان اذا راحت إِبِل مع راعٍ وإِبِل مع راع آخر .

تعليق :

أقول : لم يرد جمع إِبِل على « آبال » في نص فصيح غير بيت المتنبي . انما كلمة الازهري في أنه يجمع على « آبال » فقد انفرد بها ولم ترد في نص من النصوص القديمة . ولعله أجاز هذا الجمع لان « إِبِل » بكسرتين قد تخفف فُسَكُن الباء وهي عندئذٍ نظير سِمِط وشِلُو ، ومن المعلوم ان وزان فِعْل بسكون العين يجمع على أفعال .

اما المتنبي فوجد على سبيل التوهم ان « آبال » مثل « اغنام » من غير ان ينظر الى المفرد . وهذا هو القياس على سبيل التوهم . ومثله كثير في العربية . وهو من غير شك اجتهد وتوسع وسعة نظر . ومن المعلوم ان « التوهم » هذا ليس وهماً وانما هو اتساع في النظر والقياس ، وهو باب من ابواب الوضع الذي اتسعت به العربية . وفي شعر المتنبي كثير من هذا الذي ذهب فيه وهو عارف ان القياس شيء آخر وسنأتي على شيء كثير من هذا .

ثم ماذا ؟ ألم تكن اللغة وليدة الحاجة ، ولا أريد ان اتقبل كثيراً مما خرج على الأقيسة بحجة ان القائل محتاج ممتحن مجتهد ، ولكني أقول ان الاديب الذي اكتملت أدواته ينصر من الأمر غير ما يبصر النقدة الحاقدون الذين لم يستجيبوا الى علم قائم على أصوله الثابتة .

ان الكلمة « ابل » تعني الجمع وبها جاء التنزيل : « افلا ينظرون الى الإِبِل كيف خُلِقَتْ » . ودلّ على ذلك انها مؤنث بدلالة الفعل بعدها . ومن هنا لم تكن حاجة الى أن تجمع هذه الكلمة على « أفعال » فيقال « آبال » بسبب ان الجمع حاصل في « ابل » ، ولكن المتنبي جاء بها لحاجة فيها والبيت يقتضي هذا ثم ان عطفها على « اغنام » قد جوز شيئاً من ذلك .

وبعد فليست الحاجة في كثير من الاحيان مما يحزب القائل الى استعمال خاص يندّ عن المألوف الشائع .

٢ - أبو

قال :

الواضحين أُبُوتَاتٍ وَأَجْبَنَةٌ ووالدات والبابأ وأذهانا

من قصيدة يمدح فيها ابا سهل سعيد بن عبدالله بن الحسن الأنطاكي ومطلعها :

قد علّمَ البين منا البين أجفانا تَدَمَى وألّفَ في ذا القلب أحزانا

الشرح :

« يريد بالأبواب الآباء يعني أن آباءهم معروفون وانسابهم ظاهرة ويقال : فلان واضح الجبين اذا كان حسن المنظر بهياً » • انتهى كلام الشارح •

اللفظة :

قال أهل اللغة : والأب اصله أَبَو ، بالتحريك ، لان جمعه آباء مثل قَفَاً وأَقْفَاءَ وَرَحَى وأَرْحَاءَ ، فالذاهب منه واو لانك تقول في التثنية أبوان ، وبعض العرب يقول أبان على النقص ، وفي الاضافة اييك ، واذا جَمَعْتَ بالواو والنون قلت أبون وكذلك أخون وحمون ، قال الشاعر :

فلما تعرّفنَ أصواتنا بكين وفدَيْننا بالأيننا

قال : وعلى هذا قرأ بعضهم : إلهَ أييك ابراهيم واسماعيل واسحاق ، يريد جمع أب أي أيينك ، فحذف النون للاضافة •

قال ابن برّيّ : شاهد قولهم أبان في تثنية أب قول تكتّم بنت الغوث :

باعدني عن شتمكم أبان عن كل ما عيبٍ مهذبان
وقال آخر :

فلم أذمك فآ حمرٍ لأنني رأيتُ أبيك لم يزنا زبالا
وقالت الشنباء بنت زيد بن عمارة :

نيطَ بحقّوي ماجدٍ الأبين من معشر صيغوا من اللجين
وقال الفرزدق :

يا خليلي اسقياني اربعاً بعد اثنتين
من شرابٍ كدمِ الجَوِّ فِ يَحِرُّ الكَلِيتين
واصرِفَا الكاسَ عن الجَا هِلْ يَحْيَى بن حُضَيْن

لا يذوق اليوم كأساً أو يقدّي بالأبّين
قال : وشاهد قولهم « أبون » في الجمع قول ناهض الكلابي :
اغرّ يفرّج الظلماء عنه يقدّي بالأعثم وبالأيننا
ومثله قول الآخر :

كريم طابت الأعراق منه يقدّي بالأعثم وبالأيننا
وقال غيلان بن سلمة الثقفي :

يدعن نساءكم في الدار نوحاً يندبن البعولة والأيننا
وقال آخر :

ابون ثلاثة هلكوا جميعاً فلا تسأم دموعك أن تراقا
وقال ابن سيده : الأب الوالد ، والجمع أبون وآباء وأبؤ وأبوّة ، عن اللحياني ، وانشد للقناني يمدح الكسائي :

أبى الذم أخلاق الكسائي واتمى

له الذرورة العليا الأبؤ السوابق

والأبنا : لغة في الأب ، ومفترت حروفه ولم تحذف لامه كما حذفت في الأب •

اتهى كلام المتقدمين من علماء اللغة • ونرى كلام المعصومين
تعليق :

أقول : إن قولهم أب أصله « أَبَو » لابد ان يقال فيه شيء يتصل بالعلم • ان قولهم هذا يندرج في أنهم انطلقوا من أن أقل عدة بنية في العربية من حيث اصواتها ثلاثة أصوات ، وقالوا ثلاثة أحرف •

ان قولهم ثلاثة « أحرف » يشير الى الاصوات التي يطلق عليها في علم الاصوات في عصرنا الاصوات الصامتة "consonnes" • ومعنى هذا أنهم أهملوا كل الاهمال الاصوات « الصائتة » "voyelles" وهي تلك التي

أسموها « حركات » • وفي هذه التسمية وعدم ثبوتها في « الرسم » دليل على أنهم عدوها ثانوية أو شيئاً لا يحسب له حساب في العلم الصوتي القديم • ان ما أسموه « حركات لهو شيء قيمته قيمة سائر الأصوات الأخرى • ولا بد من اصوات صائتة وأخرى صامتة لتأليف أية كلمة من الكلمات وهذا شيء حاصل في اللغات كافة •

وأعود الى قولهم : ان « أب » اصله « أبو » يعني في فهم اللغويين الأقدمين ان أصل الالفاظ الثنائية الموجودة في العربية ثلاثية حذف حرفها الثالث ، وكأنه يرد اليها عند الحاجة في مادة من المواد اللغوية •

وأرى ان الأصل القديم هو الأصل الثنائي ، ولكن هذا الثنائي لا بد ان يكون مرحلة من مراحل التطور اللغوي في أقدم عصور العربية بل قل عصر اللغة السامية القديمة • وان التطور السريع في اللغة واستجابتها لكثير من الحاجات أدى الى ان يكتمل بناء تلك الثنائيات لتفي بالعرض ويكون في طوق المعربين بها ان يؤلفوا أبنية كثيرة فكانت المادة التي تشتمل على ثلاثة من الاصوات الصامتة •

وقد يكون لنا ان نلمح شيئاً من تلك الاصول الثنائية في مجموعات المواد التي يكون من بنائها ثلاثة اصوات صامتة •

الا ترى ان في : سَكَنَ وَرَكَنَ وَكَهَنَ وَكَوَنَ وَدَكَنَ وَكَنَ وَكَمَنَ وَتَكَنَ وَمَكَنَ ، صوتين يتكرران هما الكاف والنون وهو مادة المعنى التي تشير الى الاستقرار والوجود في حيز ما ولكن الصوت الثالث هو المتغير وهو الذي يكمل العِدَّةَ ليتها من ذلك مادة ثلاثية قابلة للتصرف أو التغير الذي يؤدي الى معان جديدة وأفكار جديدة •

وعلى هذا فمن العسير ان نخلص الى فائدة لغوية ببقاء كلمة أب وأخ ونحوهما في ثنائية صوتية ، اذ لا بد من صوت صامت consonne ثالث فيتأتى من هذه الاصول الثلاثة مع الاصوات الصائتة الاخرى (الحركات) مواد ذات مكان في اللغة التي يتصرف بها العربون • فالواو في « أبوان » مثنى و « أبون » جمعاً يهينىء للكلمة مكاناً في العربية •

أما مجيء المثنى بغير هذه الواو اي بزيادة علامة التثنية وحدها فليس من المظنون انه كان شائعاً ولم يرد الا في هذه الشواهد الشعرية القليلة • وقد يكون شيء من هذا خاصاً بلغة من العربية القديمة أي لهجة من اللهجات التي حفلت بها لغتنا قبل ان يتم لها ما يشبه التوحيد في لغة عامة •

ولعل مثل هذا ما ورد من جمع « أب » جمع سلامة فليس هو بالمشهور المعروف ولم يؤثر الا في شواهد من أبيات ذكرت في المطولات اللغوية ولم يعرف في غيرها •

ونعود الى أبنية الجمع الأخرى لكلمة « أب » فنجد : آباء وأبؤ وأبوة ومثلها جمع أخ فهناك إخوة وأخوة وإخوان ويضاف الى هذا آخاء مثل آباء وأخوة وأخوة والاخيرة عن اللحياني وكأنها قيسست على « أبوة » •

ان « أبو وأخو » من أبنية الجمع فهي فعُول وكأن التاء جاءت جرياً على المشهور في العربية ان الجمع مؤنث • ومثل هذا في اللغات السامية الأخرى • ان أب في العبرانية يجمع على « أبوت » وفي كثير من اللغات السامية ان التاء ترد وهي اشارة الى هذا الذي لمحّه العرب من ان الجمع مؤنث فقالوا : « كل جمع مؤنث » •

ولكن ما يسمى بـ « التخالف » قد تحكم في اللغات السامية فان « أب » وهو مذكر يختم بالتاء لمحا للتأنيث وسنة وهي مؤنث تجمع على « سنون » وسنين جمع تذكير ، ومثل هذا في العبرانية « شانا » و « شانيم » •

وعندي ان كثيراً مما جاء على « فعول » ورد في العربية القديمة على فعولة لمحا للتأنيث وخدمة لما سميناه بـ « التخالف » نحو السهولة والبعولة والفحولة والنجودة والخيوطة وهي السهول والبعول والفحول والنجود والخيوط وغيرها •

ثم ماذا عن « أبوات » التي وردت في بيت المتنبي المتقدم ذكره • اشتمل البيت كله على جموع فلم ترد كلمة مفردة • أقول : ان لغة

الشعر اضطرت الشاعر الى ذلك فلم نجد في الفاظ الجمع « أَبَوَات » بل وجدنا فيما وجدنا « أَبَوَةٌ » ، وهل لنا ان نقول : انه جمع الجمع مثل رجالات وبيوتات وجماليات ونحوها •

أقول : لا شيء من ذلك لان جمع الجمع يؤدي فائدة وليس فيه الكثرة التي تؤدي بالجمع ، فالرجالات عدة من الناس ذوي أقدار ومكانة ومثل هذا البيوتات • ولعل الجمالات شيء من هذا جاء في لغة التنزيل « وجمالة صفر » وقرىء : « وجماليات صفر » •

وما أظن ان الشاعر قد قصد الى هذا ولكنه توسع على طريقته في الاجتهاد إن حَزَبَه الأمر الى الاجتهاد وهو صاحب لغة ماهر صناع •

وفاتني ان اقول في « أبا » التي هي لغة في « أب » مثل « أخا » لغة في « أخ » • أقول : ان لغة القصر هذه لا تخرج في سرها عن تحول الكلمة الى بنية ثلاثة الاصوات الصامتة ليتها ما يتهياً كما وضعنا ذلك • وهذه اللغة لعلها كانت من العربية الجنوبية ذلك ان بقية منها ما زالت معروفة في عربية اليمن الجنوبي فيقولون « باحسين » و « باوزير » ونحوهما وهو معروف لدى الدارسين للهجات العربية المعاصرة •

٣ - أث

قال :

وتحت ربابه نبتوا وأثوا وفي أيامه كثروا وطابوا
وهو من قصيدة يذكر فيها وقعة سيف الدولة ببني كلاب في جمادى الآخرة سنة ٣٤٣ هـ مطلعها :

بغيرك راعياً عَبت الذئاب وغيرك صارماً عَلم الضراب

الشرح :

الرباب غيم يتعلق بالسحاب من تحته يضرب الى السواد ، ومنه قول الشاعر :

كَانَ الرِّبَابُ دَوَّيْنِ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجَلِ

ويعني المتنبي بالبيت الذي وقفنا فيه على مادة (اث) : انهم تَرَبَّوْا بنعمته ونشأوا في احسانه كالنبت انما يلتف بماء السحاب وأثوا من الأثاء يقال :

نبت أثيث وشعر أثيث • انتهى كلام الشارح •

اللغة :

الأثاث والأثاء والأثوث : الكثرة والعظم من كل شيء ،

أَثَّ يَأْثُ وَيَثُ وَيُؤْثُ أَثًّا وَأَثَاءً فهو أَثٌّ • قال ابن سيده : عندي أنه فَعَلٌ ، وكذلك أثيث ، والاثي أثينة والجمع أثائن وأثايت •

ويقال : أثَّ النبات يَثُّ أَثَاءً كثر والتف ، وهو أَثِيث ، ويوصف به الشعر الكثير والنبات الملتف ، قال امرؤ القيس :

« أَثِيثٌ كَقَيْنِوْ النُّخْلَةِ الْمُتَعَثِّكِلِ »

والأثاث : الكثير من المال ، وقيل : المال كله والمتاع ما كان من لباس أو حشو لفراش أو دثار واحده أثاءة •

وفي التنزيل العزيز : « أَثَاءُ وَرَثِيًّا » وهو المتاع • قال الفراء : الأثاث لا واحد له •

وتَأَثَّتَ الرجل : أصاب خيراً ، وفي « الصحاح » : أصاب رياشاً •

تعليق :

ان مادة « أث » من المواد السامية القديمة • وقد بقيت في العربية في هذه المادة التي أفادت الكثرة والوفرة والزيادة وأصلها ما دل على « الشيء » وقد انصرف الشيء في العربية الى المال والمتاع • والمال الابل والغنم والعبية والمتاع ومثل هذا •

وكان المادة القديمة السامية « اث » nx تفيد الشيء مطلقا ،
ومعنى ذلك ان « الشيء » يرمز الى الموجود والكائن . ومن هنا لا بد ان
يكون « الشيء » مقلوبا لـ « اش » القديمة التي انقطعت في العربية وهي
تقابل ما في العبرانية والآرامية « اث » . ان هذه الكلمة العبرانية تشير الى
المعنى القديم وهو الشيء الموجود ، ومن أجل ذلك وضعت هذه الكلمة
سابقة للمفعول به اذا كان معرفة .

قلت : لعلها ان تكون « اش » في العربية قد قلبت الى « شيء » ، والذي
يلوح من وقوع هذا ان النحاة العرب قد لمحوا هذا فقد قالوا في كلمة
« اشياء » في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن
تبذل لكم تسؤلكم » .

فقالوا : لم تنوّن « أشياء » في الآية الكريمة ؟ وما العلة في ذلك ؟

ذكر سيوييه وأكبر الظن انه كلام الخليل بن أحمد : ان « اشياء » مقلوب
« شيئاء » ولذلك جعلوا وزنها « لفعاء » . ومن أجل هذا لم تنوّن حملا على
ما ختمت بالالف التأنيث الممدودة نحو حمراء وغيرها .

أقول : ان الكلمة ولمح قلبها يدلنا على أصلها القديم .

والشيء وهو مقلوب « أيش » يدل على الموجود من الاشياء او قل
الموجود والكائن . ألا ترى ان « أيس » بالسين - وهو والشين مما يحصل
فيه الابدال من الناحية الصوتية - كلمة تعني الوجود . وقد أفاد من هذا
الفلاسفة فكتبوا في الأيسية والليسية كما صنع الفيلسوف الكندي وغيره .
ومن هنا نستطيع ان نقول ان « ليس » من الادوات المركبة من لا وأيس كما
أشار الخليل في كلمته : « ان العرب تقول جيء به من أيس وليس ، ولم
تستعمل « أيس » الا في هذه الكلمة وانما معناها كمعنى حيث هو في حال
الكيونة والوجد ، وقال : ان معنى لا أيس اي لا ووجد (١) .

(١) انظر اللسان (ايس) .

ولمح الخليل لهذا المعنى في « أيس » أي الوجد يؤيده ما في العبرانية
وذلك أنهم استعملوا في العبرانية القديمة « يش » وتفيد الوجد .
ثم اذا كانت « أيس » الوجد في العربية المماتة فهل نذهب الى أن الياء
في « ايس » كانت نتيجة فك الادغام في « اس » ، وفك الادغام في العربية
يولد الياء من الصوت الاول المدغم في نظيره ، كما قالوا في « أمّا » « أيما »
قال الشاعر :

يا ليتما أمثنا شالت نعامتها أيما الى جنة أيما الى نار

ثم لا ترى اننا نقول فينان وفنان ، وغيناء وغناء .

وقد يكون فك الادغام بابدال النون من اول المدغمين ، وهذا كثير في
العربية مثل حجر وحجر وأحرجهم وأحرجهم وعنجور وعجور ولعل
ذلك أكثر منه في طائفة من اللسان الدارجة .

واذا حدث هذا فهل لي ان أقول ان « اس » بمعنى الوجود هي التي
ولدت « انس » بفك الادغام فأطلقت على أهم موجود وهو الانسان .
ومثل ذلك في العبرانية « اش » وهو الشيء والوجود أدى الى « ايش »
وتعني الانسان أو الرجل . وهل غاب عنا ان « ايسان » كلمة في « الانسان »
في عربيتنا الفصيحة .

ولا أريد ان اترك هذه المادة دون الاشارة الى مادة عتيقة في العربية
أوشكت ان تزول من الاستعمال في عصرنا وهي « لات » . لقد حار النحاة
العرب في معرفة « تاء » « لات » فقالوا : انها للتأنيث وقالوا ايضا : انها
للمبالغة ، ولعلمهم قالوا : انها تفيد الاثنين لما في الزيادة من معنى المبالغة .

ولست أرى انها للتأنيث كما لا أرى انها للمبالغة بحجة زيادتها ، ولكني
أحسّ ان « لات » و « ليس » من مصدر واحد فكلاهما مركب وقد
تكلمنا على « ليس » قبل قليل فلا بد ان نربط بينها وبين « لات » هذه .

أقول : ان « لات » شيء مركب كتركيب « ليس » من « لا » مفيدة
لنفي و « ايت » وهي مادة قديمة لا تبتعد عن « أث » المضعفة التي تفيد
الوجود والتي كان منها أيس وايش وقد سبق الكلام على ذلك . وايت
وايت في الآرامية شيء يفيد هذا الوجود . وهي التي ظلت في العبرانية

تسبق المفعول المعرف • ان بقاءها على هذا النحو من التركيب مع لا ونحتها معها مفيد في معرفة هذا اللون من البحث التاريخي اللغوي •

٤ - آد

قال المتنبي :

نالَ ظَنِّيَ الأمورَ الا كريماً ليس في نطقه ولا في آدِه
من قصيدة له يمدح بها ابن العميد ويهنته بالنيروز مطلعها :
جاء نوروزنا وأنت مُرادُه وَوَرَّتْ بالذي أراد زنادُه
الشرح :

الظن ههنا معناه العلم ويروى « طَبِّي » بالطاء وهو بمعنى العلم أيضاً •

يقول : أنا عالم بالأمور قد أحطتُ بها علماً غير أنني قاصر عن مدح كريم ليس لي فصاحته ولا قوّته في علم الشعر •
اللفظة : الأَيْد والآد جميعاً القوّة ، قال العجّاج :
من أن تبدّلتْ بِآدي آدا

يعني قوة الشباب • وفي خطبة علي - رضي الله عنه - : « وَأَمْسَكْهَا من أن تمور بأيّده » أي بقوّته ، وقوله عزّ وجل : « واذكر عبدنا داود ذا الأيّد » أي ذا القوّة •

وغير خاف أن الفعل « أَيْد » وما يتأتى منه من هذا الأصل العتيق ، قال تعالى : « وَالسَّمَاءَ بَنِينَا بِأَيْدٍ » • ومنه أيضاً آدَ يئيد اذا قوي • والأَيْد القوي ، قال الشاعر :

اذا القسوسُ وَتَرَّهَا أَيْدٌ رَمَى فأصاب الكلّى والذرّا

تعليق :

ان مادة « يد » وهي العضو في « خلق الانسان » هي التي كانت أصل هذه المواد الدالة على القوة دلالة العضو الانساني عليها ؟

والآد بمعنى القوة كما في البيت من هذه المادة القديمة • ولعلك تبصر ان الثنائية في « يد » كيف تحولت وزادت الى ثلاثة اصوات صامتة فكانت واسطة لمواد عدة •

ومن المفيد ان أشير الى ان المتنبي لم يستعمل الصيغة المشهورة المعروفة وهي « أيد » وانما ذهب الى صورتها الأخرى المبدوءة بهمزة ممدودة حين حزبته حاجة القافية فاستعمل ما استعمله العجّاج المشهور •

ومن المفيد ان اعرض لكلمة « يد » في العربية لأشير ان أصحاب المعجمات لم يلمحوا إليها عند الكلام على « أيد » و « آد » • لقد اهتموا بنسق الكلمات وفق النظام الذي اتبعوه وهو احتساب الحرف الأخير من الكلمة ثم تصنّف هذه الكلمات المنتهية بالحرف الاخير وفق الحرف الاول متخذين من كل حرف فصلاً مرتبين ذلك على حروف المعجم • ولكن هذا النظام ما كان ليمنعهم عن الاشارة الى قرابة الالفاظ وعلاقة هذه بتلك على نحو هذا الذي نعالجه في مسألة « أيد » و « يد » • لقد احتلت كلمة « يد » في العربية مكاناً كبيراً كالذي شغلته كلمة « عين » وكلاهما مادة في « خلق الانسان » •

ومن الطريف ان أشير الى ان « اليد » تجمع جمعاً نادراً على « أيدين » مثلها مثل « سنون » و « بنون » و « مئون » و « ارضون » و « عضون » و « رئون » وغيرها •

وأرى ان جمع التذكير هذا بالواو والنون والياء والنون من أقدم الجموع في العربية وربما كان جمعاً عاماً مطلق الجنس لا تذكير فيه ولا تأنيث ثم اكتسب التذكير فاختص به بعد تطور طويل • ويؤيد هذا ما نجده في العبرانية من الياء والميم والآرامية من الياء والنون •

وأود ان أقول : ان العربية قد أفادت كثيراً من هذه المواد العتيقة فقد اتسعت في الاخذ منها والاعتماد عليها تصريحاً أو اشارة خاطفة كاللمح فكان من ذلك معان جمة وفوائد كثيرة • ولم يتهياً لغير العربية من اللغات السامية هذا الاتساع وهذا التوليد ، وهما مما يَسْرُ للعربية ان تنتقل من أصولها

البدوية الى لغة حضارة كثيرة الحاجات متعددة الاغراض . لقد اخذوا « المييدي » من مادة « يد » لمن كان مقطوع اليد من أصلها .
و « اليداء » بضم الياء مصدر على نحو مصادر الأدواء والاعراض كالصداع ونحوه وهو يعني وجع اليد . وابن اصحابنا أهل علوم هذا العصر من هذه العربية التي اشتملت على ما يمكن ان يفيد في معجم جديد للحضارة المعاصرة .

ولعل كلمة « يد » تقدم النموذج الحسن للكلمة العربية وكيف اتسع فيها حتى شملت فوائد فاليد هي القوة وهي السلطان وهي النعمة وهي المنة والصناعة والواسطة ، وهي يد السيف والقوس والفأس ، وغير هذا كثير . ومقبض كل اداة وتصلح ان تستخدم في كثير من ضروب الآلة .
واهل البيان والبلاغة واجدون في استعمال هذه الكلمة ضرباً من الفنون وعلى رأس ذلك قول الله - عز وجل - : « يد الله فوق ايديهم » وقوله : « تبّت يدا ابي لهب » ، وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنسائه : « اسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً » كنى بطول اليك عن العطاء والصدقة ، وكانت زينب تحب الصدقة وهي ماتت قبلهن .
وماذا يقول أهل النقد والأدب وهم يشدون بيت ذي الرمة :
ألا طرقت مَيَّ هَيَوماً بذكرها
وأيدى الثريا جَنَحَ في المغارب

ولنختم هذه الفوائد بشيء مما أبقت هذه الكلمة في تاريخها الطويل . قال ابن سيده : « واليدا لغة في اليد » وهذه الفائدة اللغوية ذات قيمة تاريخية في أنها تشير الى شيء من القرابة اللغوية بين الكلمات العربية ونظائرها في لغات سامية أخرى . أقصد ان العربية بعد توحيدها من لهجاتها الكثيرة احتفظت بسمات تأثر فيها طوائف من العرب بجيرانهم ومن عاشرهم من الآراميين فكان ذلك واضحاً في لغتهم .

لم تكن « يدا » هذه المقصورة شيئاً كثير الاستعمال بين العرب . وما اظن الالف المقصورة هذه مفيدة للتأنيث ، كما لا أقر تعليل ابن سيده (١) في

(١) اللسان ٤٢١/١٥ (ط . صادر) .

قوله في لفظ « يدا » : « جاء متمماً على فَعَلَ » ولكني أقول ان الالف المقصورة في « يدا » هي الفتح الطويل « زقافا » في السريانية الآرامية . وقد بقي في العربية شيء من ذلك ولا سيما في اسماء المدن والقرى في العراق وبلاد الشام بوجه عام . ولقد أورد اللغويون شواهد ظهرت فيها « يدا » بالقصر وانشدوا :

يا رَبِّ سارِ سارَ ما توسَّدَا الا ذراع العنَسِ أو كَفَّ اليَدَا
وقال آخر :

لقد أقسموا لا يمنحونك نفعاً حتى تنُدَّ اليهم كَفَّ اليَدَا
وقد علل ابن برّي وتأوّل « اليدا » في الرجز والبيت تأولاً غير مقنع على طريقة أهل « الصرف » فقال :
ووجه ذلك انه رُدَّ لام الكلمة اليها لضرورة الشعر كما ردَّ الآخر لام « دم » اليه عند الضرورة ، وذلك في قوله :

« فاذا هي بعظام ودّما »

وقد ورد جمع يَد على يَدَيَّ وهو من الجموع المكسرة على فُعُول وفَعِيل ومثل هذا : دواة دَوِيَّ ونحوه . وفي هذا كفاية .

• - ألو

قال المتنبّي :

وأخ لنا بَعَثَ الطلاقَ أَلِيَّةً لأَعْلَلَنَّ بهذه الخُرطوم
البيت أول بيتين قالهما الشاعر وقد مدَّ إليه انسان بكاس وحلّف بالطلاق لِيَشْرَبَنَّهَا .

الشرح :

الأَلِيَّة : القسم وجمعها الأَلَايا ، والتعليل : السقي مرةً بعد مرة ، والخُرطوم : من اسماء الخمُر سُمِّيَتْ بذلك لانها اذا بُزِلَ الدَنُّ تنصَّبُ في صورة الخرطوم .

قالوا : الأَلُوة والأَلُوة والأَلُوة والأَلُوة كلة اليمين والجمع أَلَايا ، قال الشاعر :

قليل الأَلَايا حافظٌ ليمينه وان سَبَقَتْ منه الأَلِيَّة بَرَّتْ
ورواه ابن خالويه : قليل الإلاء يريد الإيلاء ، والفعل آلى يُؤلى
إيلاءً : حلف ومثله تَأَلَّى وتَأَلَّى وأَتَلَّى يَأْتَلِي إِيْتِلَاءً ، وفي التنزيل :
« ولا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ » اي لا يحلف . وآلَيْتُ عَلَى الشَّيْءِ :
أَقْسَمْتُ .

تعليق :

جاء في مادة « إِل » : ان « الإِل » بكسر الهمزة الحلف والعهد .
وبه فسر أبو عبيدة قوله تعالى : « لا يَرْقُبُونَ إِلَّا » ولا ذِمَّةً » .
وعن ابن سيده : الإِل : الله - عزَّ وجلَّ - بالكسر .
وفي حديث أبي بكر - رضى الله عنه - ، لما تَلَّى عليه سجع مسيلمة :
« ان هذا الشيء ما جاء من إِلٍّ ولا برٍّ فَأَيْنَ ذَهَبَ بَكُمْ » أي من
ربوبيَّة .
وفي حديث لقيط : « أُنْبِئْكَ بِمَثَلِ ذَلِكَ فِي إِلٍّ اللَّهُ » أي في ربوبيته .
وقد أدرك العرب ان الكلمة من المشترك السامي فقالوا في « إسرائيل »
انه إسر إلٍّ وأشاروا الى ان « إِل » اسم من أسماء الله في العبرانية
وسمِّيَ يَعْقُوبُ إِسْرَإِيلَ ولما عَثِرَ صار إِسْرَإِيلَ .

قال ابن الكلبي : كل اسم في العرب آخره « إِل » او « ايل » فهو
مضاف الى الله - عز وجل - كَشَرَحْبِيلَ وشَراحِيلَ وشَهِيلَ وهو
كقولك عبدالله وعبيدالله . ولم يَقْوُوا مقالة ابن الكلبي فقالوا : لو كان
كذلك لصرف جبريل وما أشبهه .

أقول : لم يَفْظُن أصحاب المعجمات الى العلاقة الأصلية في الوضع
بين المادتين : « أَلو » و « إِل » ، ولو ادركوا شيئاً مما ندعوه بعلم اللغة
المقارن لتبين وجه العلم في هذه المواد السامية القديمة .

قال المتنبي :

نور تظاهر فيك لاهوتيه فتكاد تعلم علم ما لم يُعلَمَا
من قصيدة يسدح بها « انساناً »^(١) واراد ان يستكشفه عن مذهبه
مطلعها :

كنفيَّ أراني ويك لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجما
الشرح :

تظاهر وظهر بمعنى ويجوز ان يكون بمعنى تعاون أي أعان بعضه
بعضاً ، ولاهوتيه إلهيته ، وهذه لغة عبرانية يقولون لله تعالى لاهوت ،
وللإنسان ناسوت .

يقول : قد ظهر فيك نور إلهي تكاد تعلم به الغيب الذي لا يعلمه احد
إلا الله - عز وجل - .

وقال ابن جني : نصب لاهوتيَّة على المصدر ، ويجوز ان يكون حالاً
من الضمير الذي في تظاهر ، وهذا خطأ في الرواية واللفظ لان النور لفظ
مذكر ولا تؤنث صفته .

اللغة :

قال الواحدي في الشرح : لاهوت لغة عبرانية يقولون لله تعالى
لاهوت ، وللإنسان ناسوت .

أقول : ان تخصيصه الكلمة بالعبرانية يفتقر الى التدقيق فالكلمة مصدر
من المصادر السامية القديمة . وهذه الصيغة موجودة في اكثر من لغة سامية

(١) هذه عبارة الواحدي احد شراح الديوان .

واحدة • وقد بقي منها في العربية : الملكوت والجبروت والرهَبوت والرحموت •

تعليق :

ان العربية قد تصرفت في مادة « اله » تصرفاً لا نجده في اللغات السامية الأخرى • قالوا : هو يَبْنِ الالهة والالهانية ، وفي حديث وهيب بن الورد : اذا وقع العبد في ألِهانية الربِّ ومُهيَّمنة الصِدِّيقين ورهبانية الأبرار لم يجد أحدًا يأخذ بقلبه ، أي لم يجد أحدًا يعجبه ولم يُحِبَّ الا الله سبحانه وتعالى •

ان هذه « الالهانية » شيء مما اختصت به العربية فقد أفادت مما أسيئناه في عصرنا بالمصدر الصناعي وهو الكلمة المختومة بالياء المشددة مع تاء في الآخر •

كما قالوا : الربويّة والرهبانية ومثل هذا كثير في الفاظ أهل العلم والمنطق في سائر العصور ، كما استخدم المصدر الصناعي استخداماً واسعاً في عصرنا في الفاظ العلم والسياسة وغيرها •

والالوهية والألهانية والالهة كلها بمعنى •

وأرى ان يُقَرَّب بين مادة « اله » ومادة « الل » و « الو » فالأصول واحدة ، وأكبر الظن ان الهاء في « إله » من الاضافات الصوتية •

والالهة بكسر الهمزة وضمها وفتحها والألِهة ، كله الشمس حكام ثعلب • وكذلك الألهة • وهذا من غير شك دال على عبادة الشمس القديمة وقد قال اللغويون بذلك • ودلالة هذه الالفاظ ودخول الالف واللام عليها والتزامها بذلك دليل تعظيمهم لها لانها معبودة •

قال تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن »^(١) ان كنتم إيتاء تعبدون • وقد أشرت الى القرابة اللغوية بين هذه المواد القريبة المدلول ، وان الهاء في مادة « اله » قد تكون من الزيادات الصوتية •

ولعل قول العرب : « بسم الله » بغير مَدَّة اللام كما قال ابو الهيثم يشير الى ذلك • وأكبر الظن أن قصر مدة اللام قد يتبعها حذف الهاء كما هو باق الى يومنا هذا في لغاتنا العربية الدارجة في لفظ (بسم الله) •

٧ - اول

قال المتنبي :

يَدْفَنُ بعضنا بعضاً ويمشي أواخرنا على هام الأوالي
البيت من قصيدة يرثي فيها والده سيف الدولة ويعزيه عنها في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ومطلعها :

نَعِدُ المَشْرِفِيَّةَ والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

الشرح :

يريد الاوائل فقلب وهو كثير في كلامهم ، أنشد سيبويه :
تكاد أواليها تُفَرِّى جلودها ويكتحل التالي بمورٍ وحاصِبِ
يقول : ندفن أمواتنا ونمشي على رؤوسهم بعد الموت ، يعني لا ندفن من فقد ودفن ثم لا نعتبر بمن ندفن بل نمشي عليهم غير معتبرين بهم •

اللفظ والتطبيقات :

ان مادة « اول » التي جاء منها « اول » هي التي أمدت العربية بـ

(١) ومن بديع الاستعمال القرآني ان الضمير في الفعل « خلقهن » يرجع الى « الشمس والقمر » وهو مثنى في حين ان الضمير ضمير جمع مؤنث ، ومن الطريف ان « الشمس » المؤنثة قد غلبت على « القمر » المذكور •

« آل يؤول » وهو الرجوع الى الأصل أو الأوّل • ومن هنا يفهم
« التأويل » بمعنى التفسير أي الرجوع الى الاول •

٨ - أيد

قال المتنبّي :

أشدّ عَصَفَ الرياحِ سبِقَه تَحْتِيْ من خطوها تأيّدُها
البيت من قصيدة قالها في صباه يمدح بها محمد بن عبيدالله العلوي
ومطلعها :

أهلاً بدارٍ سبّكْ أغيدُها أبعدُ ما بانَ عنكَ خَرْدُها

اللغة والشرح :

عصف الرياح شدّة هبوبها ، ومن رَوَى بضم العين فهو جمع
عَصُوف ، يقال : ريح عاصف وعصوف • ومعنى تأيّدُها تأيّبُها وتكبّبُها •
يقول : أهون سير ناقتي يسبق أشدّ سير الريح ، وهذا في الحقيقة
وصف لشدة عدو المتنبّي منتعلاً ، والتأيّد تفعلّل من الأيد وهو التقوي
وليس المعنى على هذا وانما أراد التفعّل من الاتّئاد بمعنى الرفق واللين فلم
يحسن بناء التفعّل منه وحقّه تؤوّدُها •

تعليق :

انه اراد بالناقة نعله كما قال في موضع آخر :

وحثيتُ من خوص الركاب بأسود من دارشٍ فعدّوتُ أمشي راكباً
فجعل خفّه كالمركوب •

وهذا التشبيه والتصوير معروف في شعر ابي نواس وغيره •
وقد وضع الأمر في البيت السابق للبيت الذي تتكلم عليه :

شراكها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مِقودُها

٩ - إياة

قال المتنبّي :

كلّما استلّ ضاحكته إياة تزعم الشمسُ أنّها أرآدُها

اللغة والشرح :

إياة الشمس ضوؤها ومنه قول طرفة :

سقته إياة الشمس الا لثاته أسِفٌ ولم تَكدِمُ عليه يارثمد
واذا فتحت الهمزة مدّتْ • ومنه قول ذي الرّمة :

تَرى لا ياء الشمس منه تحذّرا ••• ••• •••

والأرآد يجوز ان يكون جمع رأد وهو الضوء ، يقال : رأد النهار
ورأد الضحى ويجوز أن يكون جمع رئد وهو التّرب •

يقول : كلما سئل هذا الحسام ضاحكته إياة من الشمس تزعم
الشمس أن تلك الإياة مثل ضوء هذا السيف • أشار الى أنّ شعاع هذا
السيف يحكي شعاع الشمس ، وأنّ الشمس تُقَرَّرُ بأنّ ضوءها كضوئه ،
والكناية في أنها كالإياة • وانما جمع الأرآد مع توحيد الإياة حملاً على
المعنى عند كل سكتة مضاحكة بينه وبين إياة الشمس •

وايا الشمس (بالقصر) وأياؤها (بالمد مع فتح الهمزة) وكذلك إياتها

(بالكسر) وإياتها (بالفتح) كله نور الشمس وضوؤها ، وجمعها آياء
• وإياء •

قال الازهري : ولم اسمع لها فعلاً •

تعليق :

هذه من الكلمات الغريبة التي لا نستطيع ان ندرك من اصلها وجذمها
شيئاً ولم أقف على شيء يقرب من هذا اللفظ والمعنى في اللغات السامية •

قال المتنبي :

أَيُّمَا لَا بَقَاءَ عَلَى فَضْلِهِ أَيُّمَا تَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ
من قصيدة يعزِّي بها أبا شجاع عضد الدولة بعمته ومطلعها :
أَخْبِرْ مَا الْمَلِكُ مُعَزَّيٌّ بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَرٌ فِي قَلْبِهِ

اللغة والشرح :

أيما معناه أمّا ، أنشد ثعلب :

يا ليتما أمّنا شالت نعماتها أيما إلى جنّةٍ أيما إلى نارٍ
وقد سبق الكلام على فك الادغام في مسألة سبقت .

يقول : يفعل ما ذكرت اما ليبقى على فضله فلا يهلك بالجزع ، واما
التسليم الأمر الى الله فان له القضاء بما شاء في عباده .

تعليق :

يشعر دارس لغة المتنبي ان الشاعر على علم بكثير من دقائق العربية .
ومن أجل هذا حظي باستحسان علماء اللغة ومنهم ابن جني . وأكبر الظن
ان قدراً كبيراً من إعجاب أبي العلاء بقدرة المتنبي على البناء اللغوي الذي
أفصح باليسير من اللفظ عن معنى فيه الفكر الدقيق الذي يقرب مما يمثل
به أو ما عبّر عنه بالحكمة فوصف الشاعر بالحكيم .

ان استعماله لـ « أيما » اشعار للقارئ ان العربية الواسعة والتي تجد
شيئاً من ألوانها في الشواهد النادرة ، ما زالت حية عامرة في عصره .

قال المتنبي :

وهِجَانٍ عَلَى هِجَانٍ تَأْيِيْبُ كَ عَدِيدِ الْخُجُوبِ فِي الْأَقْوَارِ
من قصيدة يسدح فيها ابا بكر عليّ بن صالح الرّوذباري الكاتب
ومطلعها :

كَفَرِ نَدِي فِرْ نَدُ سَيْفِي الْجُرَّازِ لَذَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبَرَّازِ

اللغة والشرح :

رواه ابن جني تَأَيَّتَكَ ، وقال : تَأَيَّتَكَ قَصَدْتَكَ وأنشد
الأعشى :

إذا ما تَأَيَّ يُرِيدُ الْقِيَامَ تَهَادَى كَمَا قَدْ رَأَيْتَ الْبَهِيرَا
قال ابن فورجة : تَأَيَّ تَفَعَّلَ من الاِتيان والأتى وهو يتضنن
معنى القصد إلا أنّه مقصور على قولهم :

تَأَيَّتُ لهذا الأمر اذا أحسنت الصنع فيه وهو من التلطف في
الفعل ، يقال : فلان لا يَتَأَيَّ لهذا الأمر اي لا يطوع لفعله ، فإمّا مُعَدَّيْ
الى مفعول بمعنى صريح القصد فلا أراه سَمِعَ ، والذي في بيت الأعشى
ليس بمتعد ، والذي في شعر أبي الطيب رُوِيَ عنه على كل لسان
« تَأَيَّيْكَ » وهذه لفظة تُسْتَعْمَلُ للقصد الصريح ومنه قوله :

الْحِصْنُ أَدْنَى لَوْ تَأَيَّيْتَهُ من حَشِيكَ التُّرْبَ عَلَى الرَّاكِبِ
قال ابن دريد : تَأَيَّاهُ بِالسَّلامِ تَعَمَّدَهُ بِهِ ، قال لبيد :

فَتَأَيَّا (١) بِطَرِيرٍ مَرْهَفٍ جُفْرَةَ الْجَنْبَيْنِ مِنْهُ فَشَعَلُ
فاذا لم تُعَدَّ فَقُلْتَ تَأَيَّيْتُ فَمَعْنَاهُ تَحَبَّسْتُ ، يقال : تَأَيَّا فلان
بالمكان تَسَيَّةً اذا أقام ، ولي في هذا الأمر تَيَّيْهُ أي نظر .

ومعنى البيت : رب رجال خالصي النسب على ثوقٍ كريمة قصدوك
في كثرة عدد جوب الرمل ، يعني من جيشه وأوليائه ، والقَوَزُ من
الرمل : المستدير شبه الراية .

تعليق :

كأن ابن فورجة أراد ان يقول ان ابن جني قد صحّف « تَأَيَّا »
فقرأها « تَأَيَّ » ولم يكن خلاف كبير في المعنى بين الكلمتين .

(١) في اللسان (فتأيا) بالمد .

غير أنني استبعد أن يكون ابن جني قد صحّف الكلمة وقد علمنا أنه كان كثير الاتصال بالشاعر ، وكان يتوجه إليه بالسؤال عن أشياء اشككت عليه ، وهو يشير الى هذا في كتابه « الفسر » • ولقد بلغ من صلته به أن المتنبي كان يقول لسائليه أن يذهبوا الى أبي الفتح ابن جني ليعلموا ما خفي عليهم من وجود شعره ، حتى لكأن أبا الفتح ابن جني قد قرأ الديوان على الشاعر نفسه •

ومن يدري لعل ابن فوررجة كان على حق في هذا وقد يحصل شيء من هذا مع شدة العناية واحكام الصنعة وتحرى العلم •

حرف الباء

١٢ - بجج

قال المتنبي :

أنت الذي بَجَجَ الزمانُ بذكره وتزَيَّنْتَ بحديثه الأسمار
من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقد سأله المسير معه مطلعها :
سِرَّ حَلٍّ حيث تحلَّه النُّوَّار وأراد فيك مُرادك المِقْدَارُ
الشرح :

أي يسرَّ الزمان إذا ما ذكرتَ في جملة أهله وأبنائه وتحسن الأسمار بحديثك •

التعليق واللفظة :

قصدت أن اسجل هذا البيت لاشتماله على الفعل « بَجَجَ » وهو واضح يدل على معناه يسر ، ولكنني أردت أن أوجه النظر الى هذا الفعل الثلاثي الذي لم نره مستعملاً كثيراً مع وضوحه ويسر الوصول الى حقيقته • غير أن هذا الفعل قد بقيت منه بقية في لغة عصرنا هذا وهو البناء المزيد على « تفعَّل » فيقال : فلان يتبجَّج علينا بما أحرز من نتائج ، ويزيدون افتخر وزُهِبي مع شيء من صلف وادّعاء •

ومن الغريب أن الفعل الثلاثي قد زال استعماله في عريتنا المعاصرة. زوالاً تاماً •

أقول : هذا شيء جديد في معنى هذا الفعل ولم يعرف في أساليب أهل العصور المتلاحقة •

جاء في كتب اللغة :

البَجَحَ (يفتحون) الفَرَحَ ، والفعل بَجَحَ بكسر الجيم وفتحها
«وَابْتَجَحَ : فَرَحَ ،

قال الشاعر :

ثم استمرَّ بها شِيحَانُ مُبْتَجِحٍ بِالْبَيْنِ عَنْكَ بَمَا يَرَاكَ شُنَانَا

قال الجوهري :

بَجَحَ بالشيء (بكسر الجيم وفتحها) فرح ، والفتح لغة ضعيفة فيه .
وَتَبَجَّحَ كَابْتَجَحَ ، ورجل بَجَّاحٌ . وَأَبْجَحَهُ الأمرُ وَبَجَّحَهُ :
أَفْرَحَهُ .

وفي حديث أم زرع : وَبَجَّحَنِي فَبَجَّحْتُ أَي فَرَّخَنِي ففَرَّحْتُ ،
«وَقِيلَ عَظَّمَنِي فَعَظَّمْتُ نَفْسِي عِنْدِي .

وتَبَجَّحَ به : فَخَرَ . وفلان يَتَبَجَّحُ علينا إذا كان يَهْذِي به إعجاباً .
وعن اللحياني : فلان يَتَبَجَّحُ وَيَتَمَجَّحُ أي يفتخر ويُبَاهِي بشيء ما .
أقول : إن الفعل المزيد المستعمل في عصرنا « تَبَجَّحَ » ما زال محتفظاً
بمعنى الافتخار والمباهاة ولكن شيئاً جديداً قد أضيف إليه وهو أن مع
« التباهي » زهواً وصلفاً وما يقرب من الادعاء الكاذب . وهذه
الخصوصيات المعنوية تكتسب مما تسجبه عليها العصور من ظلال المعنى
«فيتأثرت منها شيء جديد . وهذا كثير في العربية المعاصرة ، ألا ترى أن
الفعل « استهتر » قد تحول بلطف فاختص اختصاصاً أبعد عن معناه
الأول ، وربما غيّر بناءه إلى المعلوم بعد أن كان ملازماً لصيغة المجهول ؟

١٣ - بخنق

قال المتنبي :

يُقْتَلُ العاجزُ الجبانُ وقد يعجزُ عن قطع بُخْنَقِ المولودِ
من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

كم قتيلٍ كما قُتِلَتْ شهيدٍ بياضِ الطُّلا وورْدِ الخُدودِ

اللغة والشرح :

البخنق خرقة تتنّع بها المرأة رأسها .

يقول : العاجز الجبان قد يُقْتَلُ يعني أن العجز وانجبن ليسا من
أسباب البقاء ، فلا تعجز ولا تجبن حباً للبقاء . انتهى قول الواحدي .

تعليق :

الليث : البخنق برقع يغشى العنق والصدر ، والبرنثس الصغير
يسمى بُخْنَقاً ، قال ذو الرمة :

« عليه من الظلماء جُلٌّ وَبُخْنَقٌ »

البُخْنَقُ : البرقع الصغير . والبخنق : خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها
ما قَبَلَ منه وما دَبَرَ غير وسط رأسها .

أقول : والكلمة ما زالت حية في الاستعمال الدارج دون الفصح بمعنى
الستر والغطاء . وقد اتسعت العامية حتى تولد الفعل من هذا الاسم فقالوا
« يتبخنق » أي يستر شيئاً من وجهه .

١٤ - بدل

قال المتنبي :

ذا السراجُ المنيرُ هذا النقيُّ الجيبُ هذا بقية الأبدال

من قصيدة يمدح فيها عبدالرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها :
صلة الهجر لى وهجر الوصال نكساني في السقم نكس الهلال

اللغة والشرح :

الأبدال واحدها بَدَلٌ وبَدَلٌ وبديل مثل شريف وأشرف هم العبّاد
الزُهَّاد سَمَّوْا أَبْدالاً لأنهم أبدال من الأنبياء عليهم السلام في إجابة
دعواتهم ونصيحتهم للخلق ، وقيل : لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه
آخر .

يقول : جعله سراجاً منيراً لأن برأيه يَهْتَدَى في مشكلات الخطوب
«وظلمات الأمور أو بعلمه يَهْتَدَى الى ما أشكل من مسائل الدين الطاهر
من العيب •

تعليق :

أريد ان أعقد صلة بين البَدَل والبَطَل ، فقد عرفنا « البَدَل »
«وانصرافه الى الخيار الاشراف من الناس الذين هم ابدال من الأنبياء لزهدهم
وخيرهم وشرفهم • والبَطَل هو الشجاع •

الذي أراد : ان « البطل » من « البَدَل » وان التحول من الدال في
« بَدَل » الى « الطاء » في « بطل » أدى الى احداث معنى الشجاعة وهي
ايضاً من صفات الاخيار اهل الصلاح وكرم الاخلاق •

ان الذي حملني على هذا الرأي هو اني وجدت معنى الشجاعة في
« بطل » غير منسجمة مع معاني مادة « بطل » بوجه عام ، فهي تدل في
جملتها على الباطل والبطلان والخران والكذب • اريد ان أقول : ان معنى
« الشجاعة » في « البطل والبطولة » بعيدة عن معاني المادة الأخرى وهي
كثيرة وكلها تجري في باب واحد كالبطلان والبطالة والباطل والأباطيل
ونحو ذلك •

١٥ - بربر

قال المتنبي :

ألقى فريسته وبربراً دُونَهَا وقرَّبَتْ قَرَباً خَالَه تطفيلاً

من قصيدة يذكر فيها منازلة الأسد ومطلعها :

في الخدِّ ان عَزَمَ الخليط رحيلاً مطرٌ تزيد به الخدودُ مُحولاً

اللفظة والشرح :

الفريسة صيد الأسد وهو ما يفترسه يريد البقرة التي هاجه عنها ،
والبربرة الصياع •

٤٤

يقول : لما قصده ألقى الفريسة وصاح دونها يعني دفعاً عنها لأنه ظن
انك تتطفل على صيده لتأكل منه ، قال الليث : التطفيل من كلام أهل العراق ،
ويقال : هو يتطفل في الأعراس •

تعليق :

أريد ان أقف على « البربرة » هذه التي وردت في البيت •
جاء في كتب اللغة : ان البربرة كثرة الكلام والجلبة باللسان ، وقيل :
الصياع • ورجل بربر اذا كان كذلك ، وقد بربر اذا هذَى •

الفراء : البربري الكثير الكلام بلا منفعة • وقد بربرَ في كلامه
بربرةً اذا أكثر •

والبربرة : الصوت وكلام من غضب ، وقد بربرَ مثل ثرثر فهو
ثرثار •

وفي حديث علي - رضي الله عنه - لما طلب اليه أهل الطائف ان يكتب
لهم الأمان على تحليل الزنا والخمر فامتنع ، قاموا ولهم تغذمر وبربرة •

والبربرة التخليط في الكلام مع غضب ونفور ، ومنه حديث أحد :
فأخذ اللواء غلام أسود فنصبه وبربرَ •

أقول : ومن الطريف ان الكلمة ما زالت حية في استعمالنا الدارج في
العراق في حين ان الكلمة لا ترد في معجم المعربين باللسان الفصيح •

ومن المفيد ان أشير الى قول الليث : ان التطفيل من كلام أهل العراق •
غير أنني لم أجد ما نقله الشارح عن الليث في كتب اللغة ، ولعله ذكره في
استدراكه على العين وما زاد في نسخته •

١٦ - برز

قال المتنبي :

إذا لبزك ثوب الحسن أصغرهُ وصرت مثلي في ثوبين من سقم

من قصيدة قالها في صباه مطلعها :

ضيف "ألم" برأسي غير محتشم والسيف احسن فعلا منه باللم

اللفظ والشرح :

قال الزجاج : تأويل « اذا » ان كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت ، يقول القائل : زيد يصير اليك فتقول : اذا أكرمه •

تأويله : ان كان الأمر على ما تصف وقع اكرامه •

وتأويله ههنا انه ذكر انها لم تجنّ الألم كأنه قال : لو أجننت من الألم ما أجننته اذا لبزك أي لسلكك ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم ، أي أذهب حسنك وظهر عليك من أثره ما يذهب نظارة حسنك ويكسوك ثوب السقم ، وانما ذكر لفظ التنية لان العادة في اللباس ثوبان ازار ورداء للعرب ويسمونها الحلة ، وللعجم قميص وسراويل ، فكأنه قال : وكسائك حلة السقم كما كساني •

تعليق :

البز : السلب ، ومنه قولهم : من عزّ بزّ ، معناه من غلب سلب ، والاسم البز يزى كالخصيصى وهو السلب • وابتزّت الشيء : استلبته •

وبزّه غلبه وغصبه • وبزّ الشيء يبزّ بزاً : انتزعه ، وبزّه ثيابه انتزعا وسلبه أياها ومثله ابتزّ ثيابه أي استلبها •

ومن الطريف ان استعمال « بزّ » في العربية المعاصرة بمعنى « غلب » وليس فيها معنى الانتزاع والاستلاب والسلب • ولعل شيئاً من هذا حاصل في الفعل المزيد « ابتزّ » فالابتزاز في لغة العصر الاستلاب والنهب والغصب والأخذ بوسائل عدة بعضها القوة •

اما « البزّ » فلا يدل الا على الغلبة •

ان هذا الانصراف الى شيء من المعنى القديم دون آخر لهو لون من التطور الذي يميل الى الاختصار أو الاختصاص احياناً •

قال المتنبي :

يهابه أبسأ الرجال به وتتقي حده سيفه البهم

من قصيدة يدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي ومطلعها :

أحق عاف بدمعك الهمم أحدث شيء عهداً بها القيدم

اللفظ والشرح :

أبسأ الرجال آنسهم به وآلفهم له ، يقال : بسأت بالشيء وبسيت به اذا اذهبت هيئته من قلبك •

يقول : كيف لا يحسد من كان من الهيبة بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الابطال •

تعليق :

أقول : ان المتنبي يميل احياناً الى تخير الالفاظ النادرة التي لا يعرفها خاصة القراء والتي لا تجدها الا في المتخير من الأدب القديم •

قال زهير :

بسأت بنيها وجديت عنها وعندك لو أردت لها دواء

قولهم : بسأ به يسأ بسأ وبسوءاً وبسئاً : أنس به وكذلك بهأت •

وفي حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال بعد وقعة بدر : لو كان ابو طالب حياً لرأى سيوفنا وقد بسيت بالمياثل • بسيت وبسأت (بفتح العين وكسرها) : اعتادت واستأنست • والمياثل : الاماثل على القلب •

قال المتنبي :

وما أرضى لمقلته بحلم اذا اتبتهت توهّمه ابتشاك

من قصيدة يودّع فيها عضد الدولة ومطلعها :

فِدَى لَكَ مِنْ يَتَقَصَّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكَ إِلَّا فِدَاكَ

الشرح :

يقول : وان حدثته النوم فلست أرضى له بحلُم يتوهَّمه كذباً عند
الانتباه .

اللغة والتعليق :

البشك في الأصل سوء العمل . والبشك الخياطة الرديئة .

ابن الاعرابي : يقال للخياط اذا أساء خياطة الثوب بشكه وشمرَّخه،
قال : والبشك : الخلط كل شيء رديء وجيد .

وبشك الكلام ييشكه بشكاً وأبشكه : تخرَّصه كاذباً . وقيل البشك
والابتشاك : الكذب أو خلط الكلام بالكذب .

قال أبو عبيدة : ابتشك فلان الكلام ابتشاكاً اذا كذب .

واستعمال المتنبي للكلمة ابتشاكاً يشير الى الثراء اللغوي الذي حفل
به شعره مما حفز أهل اللغة على درسه والنظر فيه وبيان صوابه وما انفرد
به مما حمل عليه أنه ابتعاد عن سنن العربية وتوليد جديد حمِلَ على
السقط والوهم والخطأ . ومن هنا كان الكثير مما ظنوه « مساوئ »
و « سقطات » شئاً من هذا الأبتعاد الذي يَسَّرُ للشاعر ان يولد بلطف
مادة جديدة لا أرى انها سقط ومجانبة للصواب .

١٩ - بطح

قال المتنبي :

يخطو القتل الى القتل أمامه رَبُّ الجوادِ وخَلَّفَه المبطوحُ

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

جكلاً كما بي فليكُ التبريح أغذاء ذَا الرَشَاءِ الأغْنِ الشَّيْخُ

الشرح :

يقول : قد امتلأت المعركة من القتلى ، فالفرس على الفرس الجواد
يخطو من قتل الى قتل ويخلِّف وراءه فارساً مبطوحاً اي مطروحاً على
وجهه ، ويجوز ان يكون رب الجواد الممدوح .

اللغة والتعليق :

البطح : البسط ، وبَطَّحَه على وجهه بطحاً : القاه على وجهه فانبطح .
وتبطَّحَ فلان اذا اسبَطَرَه على وجهه ممتداً على وجه الأرض .

اقول : ان هذه الكلمة التي وردت في شعر المتنبي من العريية التي
زالت أو كادت تزول من استعمال المعربين في عصرنا في حين انها من المألوف
المعروف في اللسان الدارج . مثل هذا الكلم الفصيح الذي زال من العريية
الفصيحة المعاصرة واستقر في العامية الدارجة شئ كثير يؤلف جملة صالحة
من الالفاظ ، وقد أحصيت منه قدراً ضمته رسالة لطيفة .

٢٠ - بعد

قال المتنبي :

ابعدُ بعِدَتٍ بياضاً لا بياضَ له لأنْتَ أسودُ في عيني من الظلمِ
من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

ضيف أَلَمٌ برأسي غير مُحْتَشِمٍ والسيف أحسنُ فعلاً منه باللممِ

اللغة والشرح :

يقال : بَعِدَ يَبْعِدُ بَعْدَ اذا ذلَّ وهلك ، وَعَنَى بالبياض الاول
بياض الشيب وبالثاني الخصال الحميدة .

يقول : يا بياضاً ليس له بياض يريد معنى قول أبي تمام :

له منظر في العين ابيض ناصع ولكنَّه في القلب أسود اسفَعُ

وقد قال ابو الطيب في بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

فكأنها بياضها سوداء

يقول : بياض الشيب ليس بياض فيه نور وسرور وهو أشدّ سواداً
من الظلم لما يورّي به من قطع الأجل وقطع الأمل •

وجميع من فسّرَ هذا الشعر قالوا في قوله :

لأنت أسود في عيني من الظلم

ان هذا من الشاذ الذي أجازته الكوفيون من نحو قوله :

« أبيض من أخت بني أباض »

وسمعت العروضي يقول : أسود ها هنا واحد السود ، والظلم :
الليالي الثلاث في أواخر الشهر الذي يقال لها « ثلاث ظلم » يقول : لبياض
أنت عندي واحدة من تلك الليالي الظلم •

على ان ابا الفتح قد قال ما يقارب هذا فقال : وقد يمكن ان يكون
« لأنت اسود في عيني » كلاماً تاماً ثم ابتداء بصفة فقال « من الظلم » كما
تقول : هو كريم من أحرار ، وهذا يقارب ما ذكره العروضي غير أنه لم يجعل
الظلم الليالي •

تعليق :

لقد حَفَلَ شعر أبي الطيب المتنبي بمسائل تتصل بمسائل الخلاف بين
البصريين والكوفيين ، وكأنه التزم بنهج الكوفيين لكوفيته في النشأة
والمربي وطلب العلم •

وأريد ان أعلق على مادة « بعد » وإفادتها الدعاء •

أقول : انهم استعملوا مصدر الفعل المضموم العين « بَعْدَ » للدعاء
فقالوا : بَعْدُ له على اضرار الفعل غير المستعمل اظهاره ، أي أبعده الله •

كما ان الفعل المكسور العين (بَعِدَ) ومصدره بفتحين بَعْدُ يفيد
الهلاك والاغتراب ، ومن هنا دخل في أسلوب الدعاء قال تعالى :

أَلَا بُعْدُ لِمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ •

وقال مالك بن الريب المازني :

يقولون لا تبعدْ وهم يدفنونني واين مكان البعد إلا مكانياً

وهو من البُعد • وقرأ الكسائي والناس : كما بَعِدَتْ ، وكان ابو
عبدالرحمن السُّلَمي يقرأها بَعُدَتْ ، يجعل الهلاك والبعد سواء وهما
قريبان من السواء ، الا ان العرب بعضهم يقول : بَعْدَ (بضم العين)
وبعضهم يقول : بَعِدَ (بكسر العين) مثل سَحَقَ وَسَحَقَ ، ومن
الناس من يقول : بَعْدَ (بالضم) للمكان وبَعِدَ بالكسر في الهلاك •

أقول : وهذا الاسلوب الدعائي قد زال في لغتنا المعاصرة ، ولم يبق
من مادة هذا الفعل الا الفعل المضموم العين « بَعْدَ » لافادة البعد في المكان
والزمان •

٢١ - بقى

قال المتنبي :

فَتُعْطِي مَنْ بَقِيَ مَالاً جَسِيماً وَتُعْطِي مَنْ مَضَى شَرَفاً عَظِيماً

من مقطوعة في اربعة أبيات اولها قوله :

رَأَيْتُكَ تَوَسَّعَ الشَّعْرَاءُ نِيلاً حَدِيثُهُمُ الْمَوَاسِدُ وَالْقَدِيمَا

وهذه الايات اجاب فيها سيف الدولة الذي كان ينشد متمثلاً بقول
النابعة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفِهِمْ بَهَنَ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

تُخَيِّرُنَ مِنْ أَرْزَامٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرَّبَتْ كُلُّ التَّجَارِبِ

اللفظة والنشر :

لغة طيء بَقِيَ وَفَنِيَ فِي بَقْيِي وَفَنِيَ وَمِنْهُ قَوْلُ زَيْدِ الْخَيْلِ
الطائي :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصْلُوكَ مَا بَقِيَ

على الأرضِ قيسيُّ يسوق الأباعِرا

يقول : تعطي الباقي عطاءً جزيلاً والماضي شرفاً عظيماً بأن تشدد
شعرهم فيكون ذلك شرفاً لهم •

تعليق :

ومن لغة طيء ان الفعل الماضي الناقص الذي آخره ياء مكسور
ما قبلها يجعل الياء ألفاً نحو بَقِيَ وفَنَى ورَضَى ونحو ذلك • ويبدو ان
الشعراء التزموا بهذه اللغة كلما اضطرهم وزن الشعر الى ذلك وان لم
يكونوا من طيء •

حرف التاء

٢٢ - تبع

قال المتنبي :

ولو تَبَعْتَ ما طَرَحْتَ قَنَاهُ تَكْفُكُ عَنْ رَذَائِيَا وَعَاقِبَا
من قصيدة يمدح فيها الدولة وقد أمر له بفرسٍ دهماء وجارية
ومطلعها :

أيدري الربع أي دمٍ أراقا وأي قلوبٍ هذا الركب شاقا

اللفظ والشرح :

الرذايا : المهازيل من الابل واحدها رَذِيَّة • وتَبَعَّ بمعنى اتبع •
يقول للوحش :

لو تَبَعْتَ ما طَرَحْتَ رَمَاحَهُ من القَتْلِ لَكَفَّكَ ذلك عن مطاينا
ولكان لك فيه كفاية عن التعرض لنا •

تعليق :

لقد فسر الشارح البيت فقال : « تبّع » مثل « سلّم » بتشديد
اللام بمعنى « اتبّع » • وان الفعل « اتبّع » وزان « افتعل » هو المعروف
في الاستعمال المشهور وهو الذي تثبته معجمات العربية ، أما « تبّع »
بتشديد الباء فليس له وجود في سينغ هذا الفعل المزيده في كتب اللغة ،
ويبدو أنه مستعمل في العربية السائرة في عصر الشاعر التي تقابل العربية
الدارجة في عصرنا •

ومما يدل على هذا الذي ذهبت إليه ان الفعل بهذه الصيغة معروف في العربية الدارجة في حواضر العراق دون القرى والبقاوي •

٢٣ - تنبال

قال المتنبي :

وقد أطل ثنائي طولاً لا بسبه ان الثناء على التنبال تنبال

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع فاتكاً ومطلعها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

اللفظة والشرح :

التنبال : القصير وجمعه تنابل وتنبالة •

يقول : مدح الشريف يشرف الشعر ومدح اللئيم يؤدي الى لؤم الشعر •

والمعنى : ان شعري شرف بشرف هذا الممدوح •

تعليق :

أقول : ان التنبال (بكسر التاء) يعني القصير في فصيح العربية • وهذه الكلمة مما بقيت في لغتنا العامية وبنائها « تنبال » بفتح التاء والباء وهي تعني الرجل الخامل الكسلان القاعد الذي لا يتحرك •

٢٤ - ترب

قال المتنبي :

أنا ترب الندى ورب القوافي وسام العدى وغيظ الحسود

من قصيدة قالها في صباه مطلعها :

كم قتيل كما قتلت شهيد بياض الطلى ووردة الخدود

الشرح :

يقول : أنا أخو الجود ولدنا معاً وأنا صاحب القوافي ومُنشئها لأنني لم أسبق الى مثلها ، وأنا قاتل أعدائي كما يقتل السم ، وأنا سبب غيظ الحساد لأنهم يمتنون مكاني فلا يدركونه فيغتاطون •

اللفظة والتعليق :

الترب : اللدة والسن ، يقال : هذه ترب هذه اي لدتها • وقيل : ترب الرجل الذي ولد معه ، وأكثر ما يكون في المؤنث • ومن ذلك قوله تعالى : « عَرَبًا أتراباً » فسرها ثعلب فقال : الاتراب هنا الامثال ، وهو حسن اذ ليست هناك ولادة •

اما استعمال المتنبي فجاء على المجاز وهو استعمال موفق •

٢٥ - تفل

قال المتنبي :

لولا الجهالة ما دلكت الى قوم غرقت وانما تفلوا
من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة فناخسرو وقد ورد عليه الخبر بانهم زام وهوذان الكردي ومطلعها :

ارثلت فاننا ايها الطلل نبكي وترزم تحتنا الابل

الشرح :

يقول : لولا جهلك لما غزوت قوماً تنهزم عنهم بأدنى حرب منهم فضرب لهذا مثلاً بالغرق والتفل •

والمعنى انهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لغرقوك ، ويقال دلف إليه اذا دنا •

تَفَلَّ يتَفَلَّ تَفَلًّا : بصق ، قال الشاعر :

« متى يَحَسُّ منه مائِحٌ القوم يَتَفَلُّ »

ومنه تَفَلَّ الراقي • والتَفَلَّ والتَفَال : البُصاق والزَبَد ونحوهما •
والتَفَلَّ بالفم لا يكون الا ومعه شيء من الريق ، فاذا كان نفخاً بلا ريق فهو
النفث •

الجوهري : التَفَلَّ شبيه بالبزق وهو أقل منه ، اوله البزق ثم التفل.
ثم النفث ثم النفخ •

وفي الحديث : فتَفَلَّ فيه •

أقول : وقد استبعدت « تفل » من الفصيحة المعاصرة واستقرت في
العامية الدارجة وقد استعملوا منها كلمة « تفال » مثل « بصاق » •

٢٦ - ثاي

قال المتنبى :

ولاقي دون تأيهم طعناً يلاقي عنده الذئب الغراب
من قصيدة يذكر فيها وقعة سيف الدولة ببني كلاب في جمادى الآخرة
سنة ٣٤٣ ومطلعها :

بغيرك راعياً عبث الذئب وغيرك صارماً ثلّم الضراب

اللفة والشرح :

الثأي جمع ثأية وهي الحجارة حول البيوت يأوي اليها الراعي ليلاً
وفيهها مراتب الغنم ومبارك الابل أي لم يكن يصل الى هذا الموضع منهم
وكان يلاقي قبل الوصول إليه طعناً يكثر به القتلى حتى يجتمع عليهم
« الذئب والغراب » •

أقول : وما زالت « الثاية » معروفة في لغة الاعراب في عصرنا •

أقول : والتجيب من المواد الفصيحة القديمة التي تؤلف مادة من معجم المتنبي الذي يشتمل على نظائرها من فصيح العربية التي تضرب اصولها في البيئة القديمة ، وهي من غير شك من المواد البدوية •

٢٨ - جبر

قال المتنبي :

يَحْفُفُ أَغْرًا لَا قَوَدَ عَلَيْهِ وَلَا دِيَّةَ تُسَاقُ وَلَا اعْتِذَارُ
ثَرِيْقُ سِيوفِهِ مُهَجَّ الْأَعَادِي وَكُلْ دَمٍ أَرَاقَتُهُ جُبَارُ
من قصيدة يصف فيها إيقاع سيف الدولة ببني عقيل وقشير وبلعجلان
وكلاب ومطلعها :
طِوَالُ قَنَا تَطَاعِنُهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ فِي نَدَى وَوَعَى بِحَارُ

الشرح :

هذا الجيش يحيط بأغر يعني سيف الدولة اذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله لأنه ملك قاهر فلا يُراجع فيما فعل أو لأنه يقتل الكفار ولا يلزمه شيء مما ذكر في قتلهم •

هذا شرح البيت الاول وتفسير البيت الثاني مثله •

اللغة والتعليق :

يقال : حرب جبار لا قود فيها ولا دية • والجبار من الدم :
«الهَدَر» • وفي الحديث : المعدن جبار والبئر جبار ، والعجماء جبار ، قال :
حَتَمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا أَنَّهُ ظَلَفَ مَا زَالَ مِنْهَا ، وَجُبَارُ
وقال تأبط شراً •

يه من نجاء الصَّيْفِ بِيضٍ أَقْرَاهَا جُبَارُ لَصْمُ الصَّخْرِ فِيهَا قَرَاقِرُ
جبار يعني سيلاً • كل ما اهلك وأفسد : جبار •

٢٧ - جيب

قال المتنبي :

أَوْ حَارِبَتُهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْيِيبِ
من قصيدة يمدح فيها كافوراً الاخيدي في شوال سنة ٣٤٦
ومطلعها :

مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيٍّ الْأَعَارِبِ حَمْرُ الْحِلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَايِبِ

الشرح :

وان أتوه محاربين لم ينجوا من ارادته فيهم بالاقدام ولا بالهرب ولا بالشجاعة ولا بالجبن والتقدمة مثل التقديم ، يريد أن قدّموا خيلهم واستعملوا الشجاعة •

اللغة والتعليق :

التجيب : النفار • وَجَبَّ الرَّجُلُ تَجِيْبًا إِذَا فَرَّ وَعَرَدَ • قال ،
الخطبة :

ونحن ، إِذَا جَبَبْتُمْ عَنْ نَسَائِكُمْ

كما جَبَبْتُ مِنْ عِنْدِ أَوْلَادِهَا الْجُمُرَ

وفي حديث مؤرّق : المتسكّ بطاعة الله ، إِذَا جَبَبَ النَّاسُ عَنْهَا ،
كالكارّ بعد الفارّ ، أي اذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها • يقال :
جَبَبَ الرَّجُلُ إِذَا مَضَى مَسْرَعًا فَارًّا مِنَ الشَّيْءِ •

جبار أي هدر وكذلك البئر العادية يسقط فيها انسان فيهلك فدمه هدر ،
ومعنى الحديث المتقدم : المعدن اذا انهار على حافره فقتله فدمه
وكذلك البهيمة العجاء فتصيب في انفلاتها انساناً أو شيئاً فجرحها هدر •

أقول : ان حضور مادة « جبار » في معجم المتنبي يظهر ان الشاعر علي
علم واسع بالمادة العربية العريقة التي تدرس اصولها في البيئة البدوية • ومن
أجل ذلك كان المتنبي بين شعراء الشام ، لدى النقاد الذين نسبوه هذه
النسبة ، يحتل مكاناً فريداً ، فليس هو في شعره مشبهاً لشعراء هذه البيئة
الحضرية ذلك أنه ثقّف في بيئته الاصيلية قدرأ ضخماً من مواد البداوة يفصح
عن كوفية عريقة •

٢٩ - جَبَر

قال المتنبي :

ولا يرمح الأذبال من جَبَرِيَّةٍ ولا يَخْدُمُ الدنيا وإيَّاه تَخْدُمُ
من قصيدة يمدح فيها عمر بن سليمان الشرايبي وهو يومئذ يتولى
الفداء بين الروم والعرب ومطلعها :

نَرَى عِظْماً بِالْبَيْنِ وَالصِّدْقُ أَعْظَمُ وَنَتَّهَمُ الْوَاشِينَ وَالِدَمْعُ مِنْهُمْ
اللغة والشرح :

الجَبَرِيَّة : الكبر •

يقول : لا يختال في مشيته فيرمح ذيل ثوبه ، يقال للسختال : إنه
ليرمح الأذبال اذا طال ذيله ولم يرفعه وضربه برجله ومنه قول القُحَيْفِ
العُقَيْلِيّ :

يَقُولُ لِي الْمَغْنَى وَهَنْ عَشِيَّةً

بِمَكَّةَ يَرْمَحُنَ الْمَهْدَبَةَ السُّحْلَا

تعليق :

الجَبَرِيَّة (بفتحين) والجَبَرِيَّة (بكسرتين) الكِبَر • ومثله

الجَبَرِيَّة (بسكون الباء) والجَبَرُوت (بفتحين) والجَبَرُوت (بفتح الجيم مع تشديد
(بضمين) ، والجَبَرُوت (بفتحين) والجَبَرُوت (بفتح التاء) كله بمعنى الكبر • وأنشد
الأحمر لمُعَلِّس بن لقيط الأسدي يعاتب رجلاً كان والياً على أوضاع :

فَأَنْتَ إِنْ عَادَيْتَنِي غَضَبَ الْحَصَى

عليك ، وذو الجَبَرُوتِ المتغَطِرُفُ

وأنت تبصر قِدَمَ ما يسمى بـ « المصدر الصناعي » واستخدامه
للاعراب عن المعاني العامة ثم انتقله الى المصطلحات الفنية le Terme Technique

فالجَبَرِيَّة من مذاهب أهل الرأي ضد القدريّة الذين يقولون بالقدر •

ثم انك لتعجب من ثراء العربية في الابنية الكثيرة التي تشتق من
الأصل الواحد حين تنظر الى جملة هذه الالفاظ التي تؤدي معنى الكبر •

ومن المفيد ان نشير الى ان مادة « جبر » تفيد القوة والتمكن ،
فالجبار في العربية الله القاهر لخلقه على ما اراد من أمر ونهي ، وهذه الصفة
فيه تشير الى أنه لا ينال • وقد تكون في صفة البشر ، وفي التنزيل العزيز :
« واذا بطشتهم بطشتهم جبارين » ، وقوله : « وما أنت عليهم بجبار » أي
بمسلط فتقهرهم على الاسلام ، والخطاب الى النبي الكريم • وقد تتجاوز
هذه الصفة هذه المواطن العظيمة فيقال : « نخلة جبارة » اي طويلة عظيمة
ضخمة لا تنال ، وقد تكون فتية قد بلغت غاية الطول وحملت ، ذكره
ابن سيده •

وتعرب كلمة « جَبَر » عن معاني القوة والقهر والجبروت والعظمة •
وهذا شيء كان في الأصل السامي القديم • وقد بقيت من هذه المعاني مادة
واسعة في العربية فقد قال ابن سيده : الجبر « الملك » • ولقد ورد في شعر
ابن أحمر ابيات شواهد في هذا المعنى منها :

اسلَمَ براووقٍ حَيَّتَ بِهِ وَاَنْعَمَ صَبَاحاً اِيَّاهُ الْجَبَرُ

وأراد ابن جني أن يؤول على طريقته في التأويل فقال : سُمِّي بذلك لأنه يجبر بجوده . وهذا من التزويد والافتعال ، ولم يعلم ابن جني أصول هذه الكلمة السامية التي تعني في العبرانية السيد الكبير والزعيم وهو يؤدي معنى « مَلِك » فقالوا « كَبِير »^{٦٢٦} وتعني السيد والأمير وما يشبه هذا ، ومثله « كَبِير »^{٦٢٧} وتعني الرجل ، والانسان والبطل والشجاع .

ومثل هذا في الآرامية السريانية فهم يقولون « كبرا » ويريدون به « الرجل » على الحقيقة ، وعلى المجاز أي كل ما هو متصف بصفات الرجولة والشجاعة والقدرة ونحو هذا . وبسبب من ذلك كان من أعلامهم : جبر ، وجبران ، و « جبرا » ، وهذا الأخيرة مختوم بالفتح الطويل وهو ما تختم به الكلمات الآرامية السريانية^(١) .

قلت : لقد ملح اللغويون العرب دلالة « جبر » على معاني القدرة والسيادة والزعامة وهي معانٍ ورثتها الكلمة من الأصل السامي . وعلى هذا لم يكن غريباً أن يرد « جبر » بمعنى الملك في شعر ابن احرمر .

وأكبر الظن أنهم لمحوا هذا في « جَبْرِئِيل »^(٢) وهو علم على الملك المعروف وقد ورد ذكره في القرآن وفي سائر الكتب الأخرى . ان دلالة هذا العلم على مَلِك من الملائكة وهو « جَبَر » مختوماً بـ « ايل » وهذه الكلمة تدل على « الاله » .

ودلالة « ايل » في اللغات السامية ومنها العربية معروفة ، وربما بقي منها في العربية « إِلَّ » بتضعيف اللام ، وكان من ذلك مواد كثيرة تدل على « الاله » وما يتصل بالاله من صفات القدسية .

(١) ودلالة الفتح الطويل في أواخر الكلمات السريانية دليل رمزي يشير الى التعريف الذي امحى اثره .

(٢) قالوا في جبرئيل لغات عدة هي : جبرائيل (بالمد) وجبرئيل وجبريل وجبرين (بكسر الجيم) وجبرين (بفتح الجيم) وقد وردت بالنون في بيت للمتنبى :

لعظمت حتى لو تكون امانة ما كان مؤتمناً بها جبرين

ألا ترى ان « إِلَّ » في العربية الرب والحلف والقسم وأشياء أخرى لا تبعد عن هذا .

ومن احتفال العربية بـ « جبر » أنهم استخدموه في العلية فكان من أعلام الذكور ومن هؤلاء الذين سُمُّوا « جبراً » .

جبر بن حبيب بن عطية كان عالماً باللغة أخذ عنه علماء البصرة^(١) .

وجبر بن عتيك بن قيس بن هيشة ، شهد بدرأ^(٢) .

وكان من ملوك كندة من كني بـ « ابي الجبر »^(٣) وهذه الكنية ذات دلالة على معنى « الملوكية » في هذا اللفظ .

وقد أطلقوا « جابراً » على كثير من أعلامهم وفيهم المشاهير .

وشاع في العصور الاسلامية « عبدالجبار » ولا سيما منذ اوائل القرن الثالث الهجري .

ولابد لي من كلمة أخيرة أشير فيها الى معنى القوة في « جبر » بحيث صار ضد الكسر فقالوا : جبر العظم فانجبر . والجيرة : العيدان التي تجبر بها العظام .

وقد تجاوزت الكلمة معنى الجبر المادي للعظام ونحوه الى المعنويات فقل : جَبَرَ الله مصيئته .

وفي حديث الدعاء : واجبرني واهدني . وجاء في رجز العجاج :
قد جَبَرَ الدينَ الالهَ فَجَبَرُ

٣٠ - جحش

قال المتنبي :

تشارك في النِدام اذا نَزَلنا بطناً لا تشارك في الجِحاش

(١) ابن دريد ، الاشتقاق ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ .

من قصيدة يمدح فيها ابا العشائر الحسين بن علي بن حمدان
ومطلعها :

مكيّتي من دمشق على فراش
حشاه لي بحرّ حشاي حاشي

اللغة والشرح :

النِدام : المنادمة ، والبطان جمع بطين وهو الكبير البطن الرغيب ،
والجحاش المجاحشة وهي المدافعة في القتال .

يقول : يُشاركنّا في شرب الخمر اذا نزلنا عن الخيل رجال
يُكثرون الاكل ولا يشاركون في القتال .

تعليق :

قالوا : الجحاش والمجاحشة : المزاولة في الأمر ، وجاحش القوم
جِحاشاً : دافع .

الليث : الجحاش مدافعة الانسان الشيء عن نفسه وعن غيره .

وقال غيره : هو الجحاش والجحاس ، وقد جاحشه وجاحسه
مجاحشة ومجاحسة : دافعه وقاتله .

وفي حديث شهادة الاعضاء يوم القيامة : بعداً لكُنْ وسُحْقاً !
فعنكُنْ كنت أُجاحشُ أي أُحامي وأُدافع .

أقول : ان قافية الشين التي بنى عليها المتنبي قصيدته أدّت به الى ان
يُفرغ قدراً من مادته الثروة في هذا الباب . ومن غير شك ان « الشين » لم
يكن من القوافي النادرة النافرة ، ولكن ولوع المتنبي بهذه الأوابد يؤدي به
الى ان يأتي لنا بـ « الجحاش » و « الانتشاش » و « الاحتراش »
و « المشاش » .

ومن المفيد ان أشير الى الابدال بين السين والشين وهو كثير في العربية،
وقد صُنِّفَ في هذا الباب مصنفات احتوت على الالفاظ التي عرض لها هذا
اللون من الابدال .

والذي نعرفه ان كثيراً من كلم العربية الذي يشتمل على السين جاء
بالشين في لغات سامية أخرى كالعبرانية والآرامية ، وما اشتمل على الشين
جاء في هذه اللغات بالسين .

٣١ - جدد

قال المتنبي :

أجدك ما ينفك عان تفكّه
عُمّ بن سليمان ومال تقسّم
من قصيدة يمدح فيها عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ يتولى القضاء
بين الروم والعرب ومطلعها :

نرعى عظمًا بالبين والصدّة أعظم
وتتجهم الواشين والدمع منهم

اللغة والشرح :

نصب أجدك على المصدر كأنه قال أتجدّد جدّك ومعناه أبجدّد هذا
منك ، هذا اصله ثم صار افتتاحاً للكلام وعُمّ ترخيم عُمر وهو لحن لأن
الاسم الثلاثي لا يجوز ترخيمه لانه على أقل الأصول عدداً فترخيمه إجحاف
به وانما يجوز الكوفيون ، ويروى ما تنفك بالتاء على الخطاب ومالاً
نصباً .

والمعنى : انك ما تنفك تفكّه الاسير وتقسّم الاموال بين الطالعين
لجودك وبرك والخطاب الى عمر بن سليمان وهو المدوح .

اللغة والتعليق :

أجدك وأجدك معناه مالك أجداً منك ، ونصبهما على المصدر .
قال الجوهري : معناه واحد ولا يتكلم به الا مضافاً .

الأصمعي : أجدك معناه ابجدّد هذا منك ونصبهما بطرح الباء .

الليث : بكسر الجيم ، فانه يستحلفه بجدّه وحقيقته ، واذا فتح الجيم ،
استحلفه بجدّه وهو بخته .

قال ثعلب : ما أتاك في الشعر من قولك : أجدك فهو بالكسر ، فاذا
آتاك بالواو فهو مفتوح ، وفي حديث قس :

أجدد كما لا تقضيان كراكما •

أي أبجد منكما ، وهو نصب على المصدر •

قال سيبويه : أجددك مصدر ، كأنه قال : أجدد منك •

أقول : ان هذه الكلمة قد استعملت على هذا النحو كغيرها من مواد العربية التي التزمت طريقة خاصة فجمدت عليها • وقد تكون من المواد التي فقدت معناها • وإشارة ثعلب في قوله : « ما أتاك في الشعر من قولك أجددك ... » مفيدة ، ذلك ان في لغة الشعر قديمه وحديثه اساليب خاصة • ألا ترى ان النداء في « خليلي » و « اخلاي » ونحو ذلك مما قل ان نجد في غير لغة الشعر في مواطن كثيرة يخترع فيها النداء اختراعاً • ومن غير شك ان النداء لم يقصد به حقيقة النداء فقد خرج الى معانٍ أخرى كما قالوا • وأنت لا تشعر بـ « معنى الجد » حين يطالعك قولهم : « أجددك » •

٣٢ - جدل

قال المتنبي :

يقعي جلوس البدوي المصطلي بأربع مجدولة لم تجدل
من أرجوزة يصف فيها كلباً أرسله ابو علي الأوارجي على ظبي فصاده
وحده ومطلعها :

ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطل

اللغة والشرح :

الا قضاء أن يجلس الكلب على أليته والبدوي إذا اصطلى بالنار ألقى على استه ونصب ركبتيه لتصل الحرارة الى بطنه وصدره ، والمجدولة المفتولة • يريد بقوائمه محكمة الخلق من جدل الله لا من جدل الآدميين •

تعليق :

قالوا : الجدل شدة : القتل ، وجدلت الجبل جدلاً اذا شددت قتله وفتلته فتلاً محكماً ، ومنه قيل لزمام الناقة الجديل ، ومنه قول امرئ القيس :

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل
والجديل : حبل مفتول من آدم أو شعر يكون في عنق البعير أو الناقة •
وفي « التهذيب » (١) : مجدول الخلق لطيف القصب محكم القتل •
وغلام جادل مشدد • وساق مجدولة •

وجدلاء : حسنة الطي ، وساعد أجدل كذلك ، قال الجعدي :

فأخرجهم أجدل الساعدي نأصهب كالأسد الأغلب
والاجدل : الصقر ، صفة غالبه وأصله من الجدل الذي هو الشدة •
وجدالة الخلق : عصبه وطيه ، ورجل مجدول وامرأة مجدولة •
والجدالة : الأرض لشدها •

والجدل : الصرع • وجدله جدلاً وجدله فانجدل وتجدل
صرعه على الجدالة وهو مجدول • وأكثر ما يقال جدلته تجديلاً ، وقيل للصرع جدل لأنه يصرع على الجدالة وهذا ما ورد في بيت المتنبي :

خذلته قوته وقد كافحته فاستنصر التسليم والتجديلا
والتجديل في البيت يشير الى صرع الممدوح وهو بدر بن عمار للأسد من قصيدة مشهورة •

ثم نجد في هذه المادة « الجدل » بفتحين وهو اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادله مجادلة وجدالاً • ورجل جدل ومجدل ومجدال : شديد الجدل أقوى في الخصام ومن ثم الجدل : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة •

أقول : ان معنى القوة التي وجدت في الأصل للجبل ، وللجديل المفتول من الأدم أو الشعر المتخذ زماماً للبعير أو الناقة ، هو الذي جر هذه المادة الى الجدل وهو اللدد في الخصومة ثم المجادلة ثم المناظرة فالمناقشة لما في كل هذا من قوة وشدة أوصلت اليهما شدة القتل وقوته في الجبل وغير الجبل كشدة الساق وقوتها لما فيها من القوة وشدة الخلق •

(١) انظر التهذيب للزهري (جدل) •

وابتداء معنى « الجَدَل » بفتحين بالخصومة واللدن يؤيد هذه المسيرة للكلمة .

٣٣ - جدو

قال المتنبي :

ولو يَسْمَتُهُمْ في الحشر تجدو لا عطوك الذي صلّوا وصاموا

من قصيدة يمدح فيها المغيث بن علي بن بشر العجلي ومطلعها :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهب اللّام

الشرح :

يقول : ولو قصدتهم في يوم الحشر تسألهم العطاء لأعطوك صلاتهم

وصيامهم .

ويعلّق الشراح والنقاد على البيت بقولهم : ان المعنى مأخوذ وهو

أن وجود الممدوح بصلاته وصومه فذكروا قول بكر بن النطّاح :

ولو لم يجز في العمر قسم لما لك وجاز له الا عطاء من حسناته

لجاء بها من غير شرك برّبه وأشر كنا في صومه وصلاته

وقال ابو الغناية :

فمن لى بهذا البيت أتى أصبته فقاسمته ما لي من الحسنات

أقول : هذا مثل من أمثال كثيرة جرى فيها النقاد الذين تعمّدوا

الاساءة الى المتنبي ففتشوا عن هذه وامثالها ليقولوا : انه سرق وأخذ

ونحو هذا مما عدّ من مساوئه وسرقاته وسقطه وغير ذلك ، وقد ملئت من

هذا مصنفات كثيرة أتينا على ذكرها في المقدمة .

اللفظة والتعليق :

يقال : جدّوته جدّواً وأجدّيته واستجدّيته ، كله بمعنى : أتيته

أسأله حاجة وطلبت جدواه . والجدوى والجدا : العطية .

أقول : لم ترد هذه المادة في استعمالهم الا بمعنى العطية ، غير ان « الجدوى » تفرّغت من معنى العطاء وانصرفت وانتهد الى معنى « الفائدة » فنحن نقول : هذا العمل لا جدوى فيه أي لا نفع ولا فائدة .

اننا لنجد في فصيح العربية فلان قليل الجداء (بالفتح والمد) اي قليل الغناء والنفع .

أقول : ومن هنا تسرّب معنى النفع والافادة الى كلمة « جدوى » وانصرف اليه وكأن العطية قد استبعدت . ولكننا نجد في الحقبة الأخيرة ان كلمة « عطاء » انسلخت عن معنى العطية المادية ، وصار العطاء مؤدياً معنى النفع والغناء فيقال مثلاً ان أدب فلان كثير العطاء أو ان عطاء فلان وافر جليل أي انجازه وما يقدمه من فوائد للهيئة الاجتماعية .

٣٤ - جبر شئ

قال المتنبي :

مبارك الاسم أغرّ الثّقَبُ كريم الجبر شئ شريف النّسبُ

من قصيدة اجاب بها سيف الدولة الذي كتب اليه يستدعيه ومطلعها :

فهت الكتاب أبرّ الكتّاب فسماً لأمر أمير العرب

اللفظة والشرح :

أي اسمه علي وهو اسم مبارك يُتبرّك به لمكان علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - ، ولانه مشتق من العلّو ، والعلّو مبارك وهو مشهور للقب لانه سيف الدولة . والجبر شئ : النفس .

تعليق :

الجبر شئ على مثال فعلّى كالزمرى : النفس ، قال :

بكى جزعاً من أن يموت وأجهشت

إليه الجبر شئ ، وارمعن حينها

أقول : ان استعمال الشاعر لكلمة « الجَرِشَى » يشير الى تحريره عن الغريب ولو كان نافرأ • وبناء « فِعِلَى » هذا من الأبنية النادرة التي لا يوجد منها في العربية الا كلمات يسيرة كالزِمَكَى أو الزِمَجَى وهما أصل ذنب الطائر ، وقيل : هو منبته • والعَبْدَى من اسماء الجموع للعبد ومثلها العَبْدَاء بالمد •

ان الجَرِشَى وردت في العربية ولا صلة من اشتقاق أو قرابة لمادة « جرش » التي تعني جملة من المعاني منها الفعل ومنها الاسم مثل الجراشة ما سقط من الشيء والجريش هو المجروش كالملاح والدقيق ونحوه • وليس في هذا ما يدل على نوع من أية صلة بين هذه وتلك • ومن يدري فلعلها مما وضعه أهل العلم على هذه الصورة وبقي مفتقراً الى أي ضرب من ضروب الحياة لعدم قرابة أو صلة بأصل •

ومجيء هذه « الجَرِشَى » على هذا البناء النافر مما لمحّه أهل علوم البلاغة فقالوا في فصاحة الكلمة الا تكون نافرةً وغريبة وارادوا بالغرابة والنفور صورتها وقلة ورودها •

٣٥ - جزر

قال المتنبي :

فقد تَرَكْتُ الأولى لَأَقِيَّتَهُمْ جَزَرَأ

وقد قَتَلْتُ الأولى لم تَلَقَّهُمْ وَجَلَا

من قصيدة قالها في صباه في الشامية يسدح سعيد بن عبدالله بن الحسين الكلابي ومطلعها :

أَحْيَى وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا

والبين جَارَ عَلَى ضَعْفَى وَمَا عَدَلَا

اللفظ والشرح :

الأولى بمعنى الذين ، والجزر ما أَلْقِيَ للسباع ومنه قول عنترة :

« فتركتُه جَزَرَ السباعِ يَنْشُنُهُ »

ويقال : ما كانوا جَزَرَأ لسيوفنا أي الذين نقتلهم نلقيهم للسباع •
يقول : الذين قَاتَلْتَهُمْ أَلْقَيْتَهُمْ للسباع والذين لم تقاتلهم قتلهم بالخوف منك •

تعليق :

الجزر في اللغة كل شيء مباح للذبح والواحدة جَزَرَة بفتحين وهي شاة ذكراً كان أو أنثى لان الشاة ليست الا للذبح خاصة ، ولا تقع الجَزَرَة على الناقة والجمال لأنها لسائر العمل • وفي الحديث : أنه بعث بعثاً فمروا بأعرابي له غنم فقالوا : أَجْزَرُونَا أي اعطنا شاة تصلح للذبح •

ويقال : صار القومُ جَزَرَأ لعدوهم اذا اقتتلوا • وجزر السباع : اللحم الذي تأكله ، يقال : تركوهم جَزَرَأ بالتحريك ، اذا قتلوهم • قال :

إن يفعلا ، فلقد تركتُ أباهُما

جَزَرَ السباع ، وكل نَسْرٍ قِشْعَم

أقول : ان المتنبي يتخير ألفاظه ولغته من مادة عربية ذات أصول قديمة تجدها في نماذج الأدب القديم كالشعر الجاهلي وغيره • وهي مما تكشف عن مواد البيئة البدوية الجاهلية •

ان مادة « جَزَرَ » بفتحين تفيد الشاة التي تذبح • ومعنى ذلك انها الحيوان المذبوح •

ان بناء « فَعَلَ » من الثلاثي يدل على ما يدل عليه بناء « مفعول » مثل السَلَب بمعنى المسلوب ، والحَلَب بمعنى المحلوب والقَنَص بمعنى المقنوص والطلب بمعنى المطلوب والجَلَب بمعنى المجلوب • والاستقراء يؤيد هذا الذي اذهب إليه •

ومن غير شك ان « جَزَرَ » بفتحين من هذا البناء القديم فهو يدل على « المجزور » •

قال المتنبي :

وعلى التراب من الدماء مجاسيد

وعلى السماء من العجاج مئسوح

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

جلكلا كما بي فليكن التبريح

أغذاء ذا الرشا الأغنى الشيخ

اللمة والشرح :

المجاسيد جمع المجسد وهو المصبوغ بالجساد وهو الزعفران •

يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغ الأرض بلونه حتى كأن عليها

مجاسد واسودت السماء بالغبار فكان عليها مئسوحاً •

تعليق :

أقول : إنهم قالوا ان المجاسيد جمع « مجسد » بضم الميم وفتح السين كما أن المجاسيد جمع « مجسد » بكسر الميم وفتح السين وهو الثوب الذي يلي جسد المرأة فتعرق فيه • وكأن ابن الاعرابي قصر المجاسد جمعاً على « مجسد » بكسر الميم •

أما الفراء فقد قال : المجسد بالكسر والمجسد بالضم واحد ، وأصله الضم فكسروا الميم ، كما قالوا للمطرّف بضم الميم « مطرف » بالكسر ، والمصحف بالضم مصحف بالكسر •

أقول : وعلى هذا يجوز أن يقال : معجم معاجم وقد كثر الكلام على هذا الجمع لهذه الكلمة في مجامع اللغة العربية فأجازوا معجمات ومعاجم وفي اللغة سعة تؤيد هذا •

ومن المفيد أن أشير الى أن شيئاً من بناء « متفعّل » بضم الميم بزنة اسم المفعول من غير الثلاثي قد يجمع على مفاعيل مثل مسند ومسائيد ومرسل ومراسيل ، وقد يكون مناكير جمعاً لـ « منكر » لا « منكور » •

قال المتنبي :

جفخت وهم لا يجفخون بهابهم

شيم على الحسب الأغر دلائل

من قصيدة يمدح فيها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبدالله بن الحسن

الانطاكي ومطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل

أقفر أنت وهن منك أو اهل

اللمة والشرح :

الجفخ الكبير والفخر •

يقول : جفخت بهم شيم وفخرت وهم لا يفتخرون بها ، ثم ذكر

أن شيمهم دلائل حسبهم الظاهر ، والحسب ما يتعد من مآثر الآباء •

تعليق :

يذكر الدارسون في البلاغة العربية أن علماء البلاغة اتخذوا من بيت المتنبي المذكور شاهداً على أن كلمة « جفخت » لا تحقق فصاحة مقبولة للكلمة بسبب من غرابتها ونفورها وانها غير مأنوسة • كأنهم قالوا لم يقل فخرت أو شيئاً آخر مما يدل على هذا المعنى • ثم انهم عابوا تعقيد التركيب في البيت •

أقول : ان المتنبي كان يقصد ان يشتمل شعره على هذه الاوابد وهو يعلم ان اهل الفن من تقاد عصره لا يؤيدون نظره ذلك • وكأنه أراد ان يستوعب شعره كثيراً من مواد العربية التي لا يعرفها الا الخواص فلم يأبه بما قالوا وبما سيقول من سيخلفهم •

ومن أجل ذلك كان شعر المتنبي شواهد للجيد المستحسن من فصيح

العربية وبلغها ، على أنهم وجدوا فيه شواهد على ما يقدح في هذه الفصاحة والبلاغة .

٣٨ - جمل

قال المتنبي :

وَدَعَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَبِيتِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدِرْ بِالْجَامِلِ الْعَكْنَانِ
من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب العقيلي ومطلعها :
عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ

اللغة والشرح :

الجامل اسم للجمال الكثيرة كالباقر اسم لجماعة البقر ، والعكنان الأبل الكثيرة أي أدعى دية من قتل من الناس بنفسه قبل أن دخل عليه الليل ، ولم يؤدِّ الدية بالابل ، يريد أنه هلك فصار كآته اقتص منه .

تعليق :

قالوا : الجامل اسم للجمع كالباقر والكلاب والماعز والضائن ومثل هذا البقير والكلب والمعيز والضئير ولم يسمع الجميل .

وأرى أن ما يسمى بـ « اسم الجمع » قديم في العربية ولعله سبق الجموع التي شاعت فلزمت أبنية معروفة ثم حمل عليها بل قيس عليها . أن أسماء الجموع كثيرة وكثرتها توحى أنها سمات للغات عدة وهو ما يسمى في عصرنا بـ « اللهجات » . وأنت تجد من هذه المواد شيئاً من غرائب العربية ، ولا بد أنك قرأت قوله تعالى « كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صَفَرٌ » بكسر الجيم ومثله بالفتح والضم . وقد قرئ « كَأَنَّهُ جِمَالٌ صَفَرٌ » .

ومن المفيد أن نشير إلى أن كثيراً من أسماء الجموع هذه غير معروف في لغة المعربين في هذه الأيام .

ووصف « الجامل » في البيت بـ « العكنان » دلالة أخرى على امتلاك الشاعر للسواد التي تؤلف جملة ما يتصل بالبدواة من شخوص .
ثم أن « الجمالة » قد وردت مجموعة جمع تكسير على « جمائل » في قول المتنبي :

وَإِذَا الْجَمَائِلُ مَا يَخِذْنَ بِنِفْنِفٍ
إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْباً أَخْضَرَا

وروى ابن جني « الجمائل » بالحاء جمع « حمولة » وهي الابل تحمل عليها ، والنفنف : الأرض الواسعة .
يقول : إذا سارت الركاب في أرض وهي مخضرة بالكلا بدت عليها آثار سيرها فكأنها شقت ثوباً أخضر ، والمعنى أنهم فارقونا أيام الربيع عند خضرة النبات .

٣٩ - جول

قال المتنبي :

تَلَقَّى الْوُجُوهَ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا
ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فِي أَجْوَالِهِ
من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :
لَا الْحِلْمُ جَاءَ بِهِ وَلَا بَشَالِهِ لَوْلَا ادِّكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ

اللغة والشرح :

أجواله : نواحيه واحداً جُول وجال .

يقول : يتلاقى بتلك الساعة الفريقان وبينهما ضربٌ يدور في نواحي ذلك الضرب .

تعليق :

قالوا : الجُول والجال والجِيل ، الأخيرة عن كراع : ناحية البئر والقبر والبحر وجانبها . والجُول ، بالضم : جدار البئر ، قال أبو عبيد :

وهو كل ناحية من نواحي البر الى اعلاها من أسفلها ؛ وأنشد :

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيّاً وَمِنْ جُؤَلِ الطَّوْرِ رَمَانِي

والجال : مثل الجؤل ، قال الجعدي :

رُدَّتْ مَعَاوِلُهُ خُتْمًا مَثْقَلَةً وَصَادَفَتْ أَخْضَرَ الْجَالَيْنِ صَلَالاً

والجمع أجوال وجؤال وجؤالة •

أقول : وما زالت كلمة « جال » معروفة في العامية البغدادية وهي من يقايا الفصح في اللسان الدارج ، غير انها في طريقها الى الزوال ، فالأجيال الناشئة لا تعرف هذه المواد •

٤٠ - جيش

قال المتنبي :

ورائِعُهَا وَحِيدٌ لَمْ يَرْعُهُ تَبَاعُدُ جَيْشِهِ وَالْمُسْتَجَاشِ

من قصيدة يمدح أبا العشائر الحسين بن علي بن حمدان ومطلعها :

مَبِيتِي مِنْ دَمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ حَشَاهُ لِي بِحَرٍّ حَشَايَ حَاشِي

اللغة والشرح :

يعني بالرائع الممدوح الذي راعهم أي أفرعهم أي لم يفرعه انفراده من جيشه وبعده من سيف الدولة وهو المستجاش يعني المطلوب منه الجيش •

تعليق :

ان كلمة « جيش » مصدر استعمل استعمالاً عدة فقالوا : جاشت النفس تجيش جيشاً وجيوشاً وجيشاناً : غثت أو دارت للغثيان •

ويقال : جاشت القدر تجيش جيشاً وجيشاناً : غلّت وكذلك الصدر اذا لم يقدر صاحبه على حبس ما فيه •

وفي التهذيب : جاشت القدر ، وكل شيء يغلي فهو يجيش حتى الهم والغصّة في الصدر • وجاش البحر جيشاً : هاج ولم يستطع ركوبه •

والجيش الجند • وجيَّش فلان أي جمع الجيوش • واستجاشه أي طلب منه جيشاً •

أقول : ان المادة في أصلها حكاية لصوت يتأتى من غليان القدر ، فاذا تعلق الأمر بالنفس أو الصدر أو الهم فعلى التشبيه أي كأن لهذه المعاني المجردة صوتاً وهي مختزنة محبوسة وعلى هذا يتوفر هذا الاحساس بالصوت من تجمع الجند وحركتهم •

ومن المعلوم ان الاصوات الطبيعية ومنها الانسانية قد أمدت اللغة باوائل المواد ، ومن ثم تطورت في مسيرة هيأت لها الانتقال الى أشياء أخرى •

ومزكوم ومكروز ومقرور ، وذلك أنهم يقولون : قد فعلَ بغير ألف في هذا كله .

أقول : ان استعمال المتنبي لهذا الفعل المشهور يدل على ان « حَبَّ » من اللغة القديمة ، وقد ساوى سيبويه بينها وبين « أَحَبَّ » المشهورة .

ومن المفيد ان أشير ان هذه اللغة التي قالوا بشذوذها هي التي بقيت في العربية المحكية في كثير من بلاد العرب .

ولعل من الصواب ان تقول ان اللغة ما درج عليه العربون فقد تندّ عن الأقيسة وتنأى عن التناظر وتذهب بعيداً في طرائق خاصة . واذا كانت « حَبَّ » فعلاً شاذاً وأحب هو الفصيح المشهور فلم كان « محبوب » هو المشهور المستعمل و « المُحِبَّ » هو القليل النادر الشاذ الذي لجأ إليه عنتره فقال :

ولقد نزلتِ فلا تظني غيرَه منى بمنزلة المُحِبِّ المُكرَّم
ومن منطق السلوك اللغوي عدم خضوعه أحياناً للمشهور المقيس ، ولنا على ذلك شواهد كثيرة .

٤٢ - حبل

قال المتنبي :

ما أبالي اذا اتقنتك الرزايا من دهته خبولها والخبول
من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقد بعث اليه هدية الى العراق ومالاً دفعه بعد دفعه ومطلعها :

ما لنا كلثنا جَوِّ يا رسولَ أنا أهوى وقلبك المتبول
اللفظ والشرح :

الخبول جمع خَبَل وهو الفساد ، والخبول : الدواهي ، وهي جمع خَبَل .

٤١ - حب

قال المتنبي :

حَبَبْتُكَ قلبي قبلَ حُبِّكَ من نأى
وقد كان غداراً فكُن أنت وافيًا

من قصيدة يمدح فيها كافوراً الاخشيدي ومطلعها :

كفَى بك داءٌ أنْ تَرَى الموتَ شافيا
وحسبُ المنايا ان يَكُنْ أمانيا

اللفظ والشرح :

حَبَبْتُ لغة في أحبت شاذ ولا يستعمل منه الا المحبوب .

يقول لقلبه : أحَبَبْتُكَ قبل ان أحَبَبْتُكَ انت هذا الذي بَعُدَ عنا ، يُعَرِّضُ سيف الدولة ، وقد كان غداراً فلا تغدر بي أنت أي لا تكن مشتاقاً إليه ولا مُحِبّاً له أي فانك ان أحَبَبْتُكَ الغدار لم تَفِرْ لي .

تعليق :

قالوا : حَبَّ يَحِبُّ فهو محبوب شاذ . قال الجوهري : وهذا شاذ لأنه لا يأتي في المضاعف يفعل بالكسر الا ويشركه يفعل بالضم اذا كان متعدياً ، ما خلا هذا الحرف .

وحكى سيبويه : حَبَبْتُهُ وأحَبَبْتُهُ بمعنى .

قال ابو زيد : أَحَبَبَهُ الله فهو محبوب ، قال : ومثله محزون ومجنون

يقول : اذا اخطأتك المنايا فلا أبالي من أصابته •

تعليق :

لم أجد في « الجبل » هذا المعنى الذي أراده الشاعر في هذه الكلمة :

٤٣ - حبض

قال المتنبي :

ومُتَّقٍ والسهمُ مرسله^١ يحيد^٢ عن حابض^٣ الى صارده^٤
من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة ويذكر هزيمة وهسودان
ومطلعها :

أزائر^٥ يا خيال^٦ أم^٧ عائد^٨ أم عند مولاك^٩ أني راقده^{١٠}

اللفظ والشرح :

الحابض : السهم الذي يقع بين يدي الرامي لضعفه ، والصارده :
النافذ في الرميّة •

يقول : ربّ^{١١} مُتَّقٍ خائف على نفسه اذا رميت السهام^{١٢} يهرب من
سهم لا ينفذ الى سهم ينفذ فيه فيقتله •

تعليق :

قالوا : وحَبَضَ السهم يحبض حبضاً وجبوضاً ، وحَبِضَ (بكسر
الباء) حَبْضاً : وهو أن تنزع في القوس ثم ترسله فيسقط بين يديك ولا
يصوب ، وصوبه استقامته ، وقيل : الحبض أن يقع السهم بين يدي الرامي
اذا رمى ، وهو خلاف الصارد ، قال رؤبة :

ولا الجدَى من متعَبٍ حَبَّاضٍ

وقال الفرزدق :

فما بقيت عليّ تَرَكتْناي ولكن خِفْتُما صَرَدَ النبال

أقول : ان شعر المتنبي يقدم لنا من مواد اللغة القديمة قدراً كبيراً قل أن
نجدّه في شعر عصره • وهو من غير شك يؤلف مادة معجمية لما ندعوه الفاظ
البداءة • ان قدراً من هذه اللغة القديمة قد زال من الاستعمال اللغوي
منذ عصور عدة وذلك لانعدام الحاجة إليه • ولعلك غير واجد الحبض
والصَرَدَ منذ عصور عدة •

٤٤ - حري

قال المتنبي :

شِمْنَا وما حُجِبَ السماءُ بروقه^١
وحرّى^٢ يجود^٣ وما مرّته^٤ الريح^٥

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

جكلاً^٦ كما بي فليكن^٧ التبريح^٨
أغذاء^٩ ذا الرشاء^{١٠} الأغن^{١١} الشيخ^{١٢}

اللفظ والشرح :

شِمْنَا بروق المدوح أي رجونا عطاءه ولم تحجب السماء لانه
ليس بغيم في الحقيقة وهو خليق بأن يجود وإن لم تمره الريح يفضلّه على
السحاب لان السحاب يستر حسن السماء ولا يدرّ الا اذا استدرّته
الريح •

تعليق :

الحرّى : الخليق كقولك بالحرّى ان يكون ذلك ، وانه لحرّى^{١٣}
بكذا وحرّى وحرّى ، فمن قال حرّى لم يغيره عن لفظه فيما زاد على
الواحد وسوّى بين الجنسين ، أعني المذكر والمؤنث ، لأنه مصدر •

قال الشاعر :

وهنّ حرّى ان لا يثبّنك نقره^{١٤}

وأنت حرّى بالنار حين تثيب^{١٥}

ومن قال : حَرٌّ وَحَرِّيٌّ ثَنَّى وَجَمَعَ فهُمَا حَرِيَّانَ وَحَرِيَّانَ ،
وَهُم حَرُونُ وَحَرِيَّونَ وَأَحْرِيَاءُ بِذَلِكَ ، وَهَنَ حَرَايَا وَحَرِيَّاتِ وَأَتَمَّ
أَحْرَاءَ •

وقولهم في الرجل اذا بلغ الخمسين حَرَّيٌّ •

قال ثعلب : معناه هو حَرَّيٌّ ان ينال الخيرَ كُلَّهُ •

وفي الحديث : اذا كان الرجل يدعو في شبيبته ثم أصابه أمر بعد ما
كَبُرَ فَبِالْحَرِّيِّ أَنْ يَسْتَجَابَ لَهُ •

ومن أحرَّ به اشتَقَّ التَّحَرِّيُّ في الأشياء ونحوها ، وهو طلب ما هو
أحرى بالاستعمال في غالب الظن ، كما اشتَقَّ التَّقَشُّنُ من القمين • وفلان
يتحرَّى الأمر أي يتوخَّاه ويقصده • والتحرَّى قصد الأولى والأحقَّ
مأخوذ من الحرَّى وهو الخلق ، والتَّوَحَّى مثله •

وفي الحديث : تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدَرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ أَيِ تَعَمَّدُوا
طَلِبَهَا فِيهَا •

والتحرِّيُّ : القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء
بالفعل والقول ، ومنه الحديث لا تتحرَّوا بالصلاة ضلوع الشمس وغروبها •

أقول : ان قول الشاعر : « وَحَرَّيٌّ يَجُود » على تقدير « وَحَرَّيٌّ
بأنَّ يَجُود » وقد حذف « أَنْ » مع الخافض •

ومن المفيد ان أشير الى ان في شعر المتنبي قدراً من هذه الظاهرة
اللغوية وهي حذف « أَنْ » قبل الفعل المضارع كقوله :

يَا حَادِيَّ عَيْسِيهَا وَأَحْسِبْنِي أَوْجَدُ مَيْتًا قَبِيلَ أَفْقَدَهَا

أراد : قَبِيلَ أَنْ أَفْقِدَهَا •

ومن ذلك قوله :

وَنَفُوسٌ إِذَا انْبَرَّتْ لِقِتَالٍ نَقَدَتْ قَبْلَ يَنْفَدِ الْأَقْدَامِ

أراد : قَبْلَ أَنْ يَنْفَدَ الْأَقْدَامِ •

وقوله :

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ خَفْتُ أَعْرَبْتُهَا
فِيهِتَدِي لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحْنِ

أراد : خَفْتُ أَنْ أَعْرَبْتُهَا •

وقد ورد مثل هذا في كلامهم القديم وهو معروف فقالوا في المثل : تسمع
بالمعدي خير من ان تراه • وهو كثير •

ولا بد من القول : ان « حَرَّيٌّ » زالت في لغة أهل عصرنا واستبدلت
بها « حري » بالتشديد ، وهذا يعني ان « حَرَّيٌّ » قد زالت ايضاً •

ثم ان « التحري » بدأ يكتسب معنى البحث والاستقصاء فقالوا مثلاً
« مديرية التحريات الفنية » وهي شعبة من شعب الادارة تتقصى وتبحث عن
أموال تتصل بالناس وغيرهم • و « التحري » كثير في لغة الدواوين الرسمية
في عصرنا •

٤٥ - حَزَقُ

قال المتنبي :

فَهُمْ حَزَقٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرَعَى

بِهِمْ مَنْ شَرِبَ غَيْرَهُمْ خُمَارُ

من قصيدة يصف فيها ايقاع سيف الدولة بني عثيل وقشير
وبكعجلان وكلاب حين عاثوا في نواحي أعماله ومطلعها :

طِوَالِ قَنَا تَطَاعِنُهَا قِصَارُ

وَقَطْرُكَ فِي نَدَى وَوَعَى بَحَارُ

اللغة والشرح :

الحزق : الجماعات جمع حَزَقَة أي ظنوا انهم المتصودون فهربوا
وتفرَّقوا في الهرب وصاروا جماعات وكان الذنب لغيرهم وتعب الهرب
لحقهم فذلك قوله بهم من شرب غيرهم خُمَارُ •

الحزق والحزقة : الجماعة من الناس والطير وغيرها •

وفي الحديث في فضل البقرة وآل عمران : كأنهما حزقان من طير صواف • والجمع حزق مثل فرقة وفريق ، قال عنتره :

تأوي له حزق النعام كما أوت قتلص يمانية لا عجم طمطم
ومثل الحزقة الحزيقة وهي الجماعة من كل شيء وقد وردت في قول المتنبي :

هو البين حتى ما تآتئ الحزائيق • ويا قلب حتى أنت ممئن أفارق •

وهو مطلع قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي •
وجمع حزيقة حزائق • ومثل الحزيقة الحزيق وهو الجماعة ، قال لبيد :

كحزيق الحبشين الزجل

يقول : هو البين الذي فرق كل شيء حتى لا تسهل ولا تتأني الجماعات ان يتفرقوا اذا جرى فيهم حكم البين ثم خاطب قلبه فقال : وأنت ايضاً على مالك من علائق القرب ممن أفارقه يعني ان الاحبة اذا فارقوني ذهب القلب معهم ففارقني وفارقتهم •

أقول : ان مادة « حزق » من المواد القديمة التي لها أصل سامي قديم • وتعني الشد والضم والتضييق والعصب والجذب مثل حزق القوس والوتر والرباط •

وهذه المعاني موجودة في الفعل في العبرانية وكذلك في الآرامية السريانية ، فليس غريباً ان تدل في السريانية على « الزنار » مثلاً •

وليس غريباً أن تتجاوز هذه المعاني في العربية فتدل على الجماعة في « حزقة » و « حزيقة » وحزيقة فقد ذكروا : وقيل للجماعة حزقة لانضمام بعضهم الى بعض ••

ومثل هذا في العربية مادة « حرك » في افادة المعاني المتقدمة بحيث حملها اللغويون على « حزق » فأشاروا الى الابدال الصوتي •

قال المتنبي :

بالواخيدات وحاديها وببي قمر

يظل من وخذها في الخدر حشيانا

من قصيدة يمدح فيها ابا سهل سعيد بن عبدالله بن الحسن الانطاكي الحمصي ومطلعها :

قد علكم البين منا البين أحياناً

تدمى وألف في ذا القلب أحزانا

اللفظ والشرح :

يقال : حشي الرجل يحشى حشىً فهو حشيان اذا أخذه الربو •

يقول : يفدي بالابل الواخدة والذي يحدوها وببي قمر يظل من بوخذ الواخيدات حشيان قد علاه البهر • ويروى بالخاء أي انها تخشى سرعة سير الابل لانها لم تسافر قط •

تعليق :

الحشى : الربو والبهر والنهيج الذي يعرض للمُسرع في مشيته والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره • وقيل : أصله من إصابة الربو حشاه •

ابن سيده : ورجل حش وحشيان من الربو وقد حشي بالكسر • أقول : وليس من شك ان « الحشا » أصل هذا المعنى اي كما قالوا من إصابة الربو للحشا ، وما يؤدي إليه من ارتفاع النفس •

ولعل « الحشا » أدل على هذا العارض من الداء من كلمة « الربو » التي تفيد الارتفاع في الأصل • وكان أولى بالمعنيين بالمصطلح أن يفيدوا من هذه الكلمة ذات الدلالة التامة •

قال المتنبي :

فيا بحرَ البُحورِ ولا أُورِّيَ ويا بدرَ البدورِ ولا أُحاشِي
من قصيدة يمدح فيها أبا العنَّاءِ الحسين بن علي بن حمدان ومطلعها :
مَبِيتِي من دمشق على فراشٍ حَشَاه لي بحرٌ حشايَ حاشي

اللفظة والشرح :

أكثر الرواية : « ويا ملك الملوك » ، والتورية : الإخفاء والستر .

يقول : لا أستر قولي ، بل أجهر به ولا أحاشي أي لا أدع أحداً ولا
استثني انساناً كما قال النابغة :

وما أُحاشي من الأقوامِ من أَحَدٍ

تعليق :

ان استعمال المتنبي للفعل « حاشى يُحاشي » قد ورد في شعر النابغة
كما بيَّنا .

وهذا الاستعمال يشعر الدارس بقدرة العريية على توليد الفعل وما
يتبعه من أبنية من مواد كثيرة .

ومن غير شك ان هذا الفعل أُخِذَ من قولهم « حاشَ لله » أي تنزيهاً
له ، ولا يقال : حاش لك قياساً عليه .

٤٨ - حصن

قال المتنبي :

مَدَحْتُ قوماً وان عشنا نظمت لهم

قصائدُ من اناث الخيل والحصن

من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبيدالله بن محمد بن الخطيب القاضي
الخصيبي ومطلعها :

أفاضِلُ الناس اغراض لذا الزمن
يخلو من الهمٍّ أخلاهم من الفِطَنِ

اللفظة والشرح :

مدح الشاعر قوماً بخلاء لا يستحقون المدح فيقول : إنَّ عشتُ
غَزَوْتُهُم بخيل إناث وذكرور ، والحصن جمع حصان وهو الفحل من الخيل
وجعلها كالقصائد المؤلفة بدل القصائد التي ألَّفها في مدحهم .

تعليق :

أقول : ان « حَصْن » جمع حصان وهو الفحل من الخيل من الجموع
التي لا ترد في استعمالهم ، ولولا ان الشاعر محتاج إليها لأمر القافية لعدل
عنها الى غيرها فاستعمل « الخيل » وهو اسم جمع لجماعة الخيل ذكوراً وإناثاً .

وقد استعمل الشاعر « اناث الخيل » في البيت نفسه ليخصص الاناث
بأضافتها الى اسم الجمع العام . وكأنَّ لفظ « الحصان » يستعمل في حال
الافراد فاذا احتيج الى الجمع لم يرد في استعمالهم « حَصْن » الا ان تكون
حاجة تدعو الى ذلك كما هي الحال في بيت المتنبي .

ولابد من التوسع في هذا اللفظ لنهتدي الى شيء من تاريخ هذه
الكلمة .

قال ابن جني : قولهم فرس حصان بين التحصن هو مشتق من
الحصانة ! كما قالوا في الانثى حَجْرٌ ، وهو من حجر عليه أي منعه .
وتحصن الفرس صار حصاناً .

أقول : ان قوله مشتق من « الحصانة » شيء على غير المألوف في الانتقال
من المحسوس الى المثير المجرد . والذي أراه ان العكس هو الصحيح
فالحصانة من « الحصان » أو « الحصن » واحد الحصون . ومثل ذلك
قوله في « حجر » فلا يمكن ان تكون « حجر » وهي الانثى مأخوذة من
الفعل حَجَرَ عليه أي منعه ، والعكس هو الصحيح .

قال الازهري : تحصَّنَ اذا تكلف ذلك ، وخيل العرب حصونها وهم الى اليوم يسمونها حصوناً ذكوراً وإناثاً .

ولا بد ايضاً ان نعرض لشيء من كلمة « فَرَس » فهي واحد الخيل والجمع أفراس . الذكر والانثى في ذلك سواء ، ولا يقال للانثى فيه « فَرَسَة » .

قال ابن سيده : وأصله التأنيث فلذلك قال سيبويه : وتقول ثلاثة أفراس اذا أردتَ الذكر ، ألزموه التأنيث وصار في كلامهم للمؤنث أكثر منه للمذكر حتى صار بمنزلة القدم ، قال :

وتصغيرها فَرَيْس نادر .

وحكى ابن جنى « فَرَسَة » .

وفي « الصحاح » : وان اردت تصغير الفرس الأنثى خاصة لم تقل الا فَرَيْسَة ، بالهاء عن ابي بكر بن السراج .

أقول : وما زال « الحصان » مذكراً و « الفرس » مؤنثاً في الاستعمال السائر وفي فصيح العربية في عصرنا الحاضر .

وتحسن الإشارة الى مسألة الجنس في العربية القديمة فالتذكير والتأنيث قديم جداً وهو من المواد السامية القديمة . غير ان العربية القديمة ترددت في التأنيث في كثير من المواد فكان قدر كبير من الكلمات يحسب مذكراً تارة ومؤنثاً أخرى وقد يكون عند قوم مذكراً وعند آخرين أوحي من احياء العرب ، مؤنثاً .

ثم ان طائفة مما اشتهر التأنيث فيها قد عرّيت من أية علامة للتأنيث . أليس لنا ان نقول ان العلامة ثبتت حين سلخت العربية من عمرها دهوراً طويلاً ؟

٤٩ - حل

قال المتنبى :

ولا يُبرَمُ الأمرُ الذي هو حال

ولا يحلّل الأمرُ الذي هو مبرم

من قصيدة يمدح فيها عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ يتولّى الفداء بين الروم والفرس ومطلعها :

نَرَى عِظْماً بِالْبَيْنِ وَالصَّدْءُ أَعْظَمُ

وَتَتَهُمُ الْوَاشِينَ وَالدمعُ مِنْهُمْ

اللفظة والشرح :

قالوا : أظهر الشاعر التضعيف من حائل للضرورة كقول الراجز :

يشكو الوجى من أظلل وأظلل

والمعنى ظاهر .

تعليق :

اتخذ علماء البلاغة هذا البيت مثلاً لما يسمى بـ « مخالفة القياس » وهو فك الادغام في كلمة يجب فيها الادغام . ومخالفة القياس تقدح في فصاحة الكلمة .

أقول : وقد حمل الشراح والنقاد البيت المذكور على الضرورة ، والذي أراه أن الشاعر لم يكن مضطراً على ارتكاب هذه المسألة التي جعلوها من « الضرائر » . وكان في طوق الشاعر ان يتخلى عن هذه الضرورة فلا يفك الادغام ، ولكنني أرى أنه أراد ان يجري على ما يجري عليه طائفة من العرب . أريد ان أقول : لا بد ان يكون في لهجات العرب القديمة شيء من ذلك فجرى عليه المتنبى . وقد تتخذ من العربية المعاصرة دليلاً على وجود هذه الظاهرة اللغوية في اللغة القديمة لشيوع هذه الظاهرة في كلام الناس في عصرنا .

٥٠ - حل

قال المتنبى :

في مقلتي رَشَاءً تُدِيرُهُمَا بَدْوِيَّةٌ قَتِنَتْ بِهَا الْحِلَلُ

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة فنّا خسرو وقد ورد عليه الخبر بانهمزام وهسودان الكردي ومطلعها :

إِثْلِثْ فَإِنَّا أَشْهَاءُ الطَّلَلِ نَبْكِ وَتَرْزَمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ

اللغة والشرح :

يقول في هذا البيت وهو متصل بسابقه : ان الحسن يرحل في مقلتين .
مستعارتين من رَشَأٍ تديرهما امرأة بدوية صارت « الحِلَل » وهم
القوم الذين حَلَّوْا معها مفتونين بها لحسنها .

تعليق :

أقول : ان الحِلَّة تعني جماعة بيوت الناس لانها تحلّ والجمع

حلل وحلال .

ومن الطبيعي ان تتجاوز الكلمة في معناها جماعة البيوت الى القوم
المقيمين في البيوت في جهة ما . والى هذا ذهب المتنبى في البيت .
وهذا يفسّر لنا كما ذكر أهل البلدان معنى « الحِلَّة » وهي مدينة
على الفرات الاوسط . وهي حلّة بني مَزَيْد .

٥١ - حلل

قال المتنبى :

إذا العَرَبُ العَرَبَاءَ رازتْ نفوسَهَا

فأنت فتاها والمليك الحَلَّاحِلُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة بعد دخول رسول الروم عليه
ومطلعها :

دُرُوعُ مَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَالُ

يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ

اللغة والشرح :

العرب العَرَبَاءُ : العاربة القديمة المحض .

يقول : اذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة كنت فتاهم وسيدهم

لأنك أجودهم وأشجعهم والمليك الملك ، والحَلَّاحِلُ : السيّد .

تعليق :

قالوا : الحَلَّاحِلُ (بضم الحاء الاولى وكسر الحاء الثانية) السيّد في

عشيرته الشجاع الركين في مجلسه ، وقيل : هو الضخم المروءة ، وقيل : هو

الرزين مع ثخانة ، ولا يقال ذلك للنساء ، وليس له فعل .

وحكى ابن جني : رجل " مُحَلَّلٌ وَمُحَلَّلٌ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى ، قَالَ

امرؤ القيس :

يا لهفَ نَفْسِي إِنْ خَطِئْتُ كَاهِلًا

الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَلَّاحِلَا

والحَلَّاحِلُ ايضاً التام ، يقال : حَوَّلَ حَلَّاحِلٌ ، قَالَ بُجَيْرُ بْنُ

الْأَسَدِ بْنِ حُجْرٍ :

تُبِينُ رُسُومًا بِالرُّؤْيُوتِ قَدْ عَفَّتْ

لَعَنَزَةُ قَدْ عَرَّيْنِ حَوَّلًا حَلَّاحِلَا

أقول : ان حَلَّاحِلٌ جاء على « فَعَالِلٌ » وعلى هذا البناء قدر كبير من

الكلم في الاسم وفيه ما يقوم مقام النعوت .

وأود أن أقول : لقد بدا لي بعد الاستقراء الوافي لهذه الصيغة وما ورد

عليها من كلم ان ليس بين هذه الجمهرة من الالفاظ كلم مأنوس له قيمة في

الاستعمال . لعل كلمة « الحَلَّاحِلُ » تكاد تكون احدى فئة قليلة مما جاء

مأنوساً من هذه الكلمات .

ومن المهم ان أشير الى ان جُلَّ هذه الطائفة مواد تتصل بصفات خلقية

للانسان والحيوان وسنعرض لهذا .

ثم ان هذه الطائفة من الكلمات التي جاءت على بناء « فَعَالِلٌ » وردت

هي نفسها على « فَعَلَّلٌ » او « فَعَلَّلٌ » او « فَعَلَّلٌ » او « فَعَلَّلٌ »

أو « فَعَلَّلٌ » .

واليك من الأمثلة ما يحقق هذه الملاحظات .

قالوا : رجل حَبَجَرُ أي عظيم البطن وكذلك حَبَاجِرُ وقد يكون

الغليظ حَبَاجِرُ .

وَفَرَسٌ جَحْرَبٌ وَجَحَارِبٌ وَهُوَ الْعَظِيمُ الْخَلْقُ .

وَرَجُلٌ جَحْنَبٌ وَجَحَانِبٌ وَهُوَ الْقَصِيرُ الْغَلِيظُ .

وَحَبَجَرٌ وَحَبَاجِرٌ وَهُوَ الْمُسْتَرْخِي الْعَظِيمُ الْبَطْنُ .

وَحَلْبَجٌ وَخَلَابِجٌ وَهُوَ الْمَضْطَرِبُ الْخَلْقُ الطَوِيلُ .

وَجَنْبَخٌ وَجَنْابَخٌ الْعَظِيمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْعَظِيمُ الْخَلْقُ الطَوِيلُ .

والجَلْبَزَ والجَلْبَزَ الصلب الشديد •
والهَلْبَجَ والهَلْبَجَ الثقيل الوخم •
ورجل كُنَابِدَ صلب شديد • ورجل كُنَابِدَ (بالذال) غليظ الوجه
جهم •
وَعُضْبَرٌ وَعُضْبَرٌ الشديد الغليظ •
وَلَبَنٌ عُلْبِيٌّ وَعُلْبِيٌّ اذا خثر •
ورجل قُنْبُلٌ وقُنْبُلٌ الغليظ الشديد • ورجل كُنْبُلٌ وكُنْبُلٌ
وهو الصلب الشديد •
وَكُمْتُرٌ وكُمَاتِرٌ الصلب الشديد • وِكُمْتُلٌ وكُمَاتِلٌ الصلب
الشديد •
وَالْكُنْدُثُ وَالْكُنَادِثُ الصلب • والدَلْمُثُ والدَلْمِثُ السريع •
وَبَعِيرٌ دَلْهَثٌ ودَلْهَثٌ وهو الجريء في سيره •
وَكُنْثَرٌ وكُنْثَرٌ المجتمع الخلق • وامرأة حِفْضِرِجٌ وحِفْضِرِجٌ
عظيمة البطن •
وَحِضْجِمٌ وحِضْجِمٌ الجافي الغليظ اللحم ، قال الراجز :
ليس بمبطانٍ ولا حِضْجِمٍ
وَجَلْفَزٌ وجَلْفَزٌ الصلب الشديد • وِكُنْدَرٌ وكُنَادِرٌ الحمار
الصلب الشديد •
والجَلْبَزَ والجَلْبَزَ الصلب الشديد •
ومثل هذا كثير في كتب العربية ، غير اننا نقف حائرين ازاء هذا القدر
من الكلم المهجور المبني على هذه الصورة المشتتل على أصوات لا تبدو
مألوفة في اجتماع بعضها الى بعض •
ثم ما هذا « الصلب الشديد » حتى تكون له هذه الجهرة من الالفاظ ؟
وما قدر الصلابة والشدة والغلظ في هذه الالفاظ ؟ ثم لم كان جل هذه
الالفاظ ينصرف الى صفات تتصل بخلق الانسان وخلق الحيوان ؟

ثم لم وجدت هذه الالفاظ يتيمة لا تمت الى كلام من كلامهم فليس
من شاهد على ذلك ، وهو ان وجد فرجز غريب لا يوحي بشيء من ثقة ؟
هل لي ان أقول ان شيئاً من ذلك مصنوع موضوع ؟
ولا بد من عودة الى « حَلَاخِلِ » لأشير الى أنها عرفت في فصيح
العربية وورودها في بيت للمتنبى دليل على استمرارها في الحياة الى عصر
الشاعر المتأخر بالنسبة الى هذه اللغة العريقة •
كلمة أخيرة •

لم يبق في العربية الفصيحة منذ قرون عدة شيء من الكلم الفصيح الذي
روّضه استعمال المعربين قد جاء على بناء « فَعَالِل » • وأريد ان أقول ان
هذه الصيغة أو هذا البناء لهو من الابنية النادرة التي لا تعرفها عربية الفرون
التي تلت عصر الاستشهاد مثلاً • ومعنى هذا ان هذا البناء وغيره من الابنية
العربية مادة تاريخية قديمة قد فقدت الحياة منذ عهد بعيد •

٥٢ - حين

قال المتنبى :

وحائنٌ لَعِبَتْ سُمُرُ الرماحِ به
والعيشُ هاجرُهُ والنسرُ زائرُهُ
من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :
حاشا الرقيبَ فخانتته ضَمَائِرُهُ
وغِيَضُ الدمعِ فانهَكَتْ بَوَادِرُهُ

اللفظة والشرح :

يقول : وكمن حائن أي هالك لَعِبَتْ رماحك به أي قَتَلَتْه فهَجَرَهُ
عيشه وفارقته ، وزارَهُ النسرُ ليأكل لحمه ، ومعنى لَعِبَ الرماح به
تمكثها منه وقدرتها عليه •

تعليق :

أريد أن أقف على « حائن » فأشير الى أنها من حانَ يحين حيناً اي
هلك هلاكاً •

قالوا : حان الرجل * : هلك ، وأحانه الله .

وفي المثل : انتك بحائن رجلاه . وكل شيء لم يوفَّق للصواب فقد بحان .

ويقال : حيَّنه الله فتحَيَّن عن الازهري * ، ومنه أيضاً قول المتنبي :

من ليس من قَتْلَاهُ من طَلْقَائِهِ من ليس ممن دان ممن حيَّنا
يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطلقه وعفا عنه ، ومن لم
يُطْعمه وليس من اهل طاعته فهو ممن يهلكه ويقتله ، وذكر لفظ الماضي
لتحقق وجود الهلاك ، ومن رَوَى بضم الحاء فالمعنى فهو ممن هلك * .
من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وكان سار الى الساحل ثم عاد الى
طبرية ومطلعها :

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلننا
والحائنة : النازلة ذات الحين ، والجمع الحوائن ، قال النابغة :

بِتَبَلِّ غَيْرِ مُطَلَّبٍ لَدَيْهَا ولكنَّ الحوائنَ قد تَحِينُ *
ولابدَّ لي ان أقف على قول النابغة « ولكنَّ الحوائنَ قد تَحِينُ »
أي ان النوازل يَحِينُ أجلُّها أي « حينها » بكسر الحاء والحين (بالكسر)
الوقت والدهر ، وقيل : وقت من الدهر يصلح لجميع الازمان كلها ، طالت
أو قصرت ، والحين : المدة ، ومنه قوله تعالى : هل أتى على الانسان حين
من الدهر * .

وكان معنى الهلاك في « الحين » المفتوحة الحاء من مادة الوقت أي
حان حينه أي زمنه . ومنه من غير شك « حيَّن » في البيت الآخر أي أهلك
وقد عُدِّي بالتضعيف .

ومن المفيد ان أشير الى أن العلاقة بين الوقت والهلاك آتية مما ورد في
التنزيل في مواضع كثيرة من أن حياة الانسان رهينة بوقت معلوم وأجل
موقوت وهذا مفهوم من الآيات الكثيرة ومن ذلك قوله تعالى : « فاذا جاء
أجلُّهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

وقصة « الأجل » هي قصة « الحين » من حيث كون اصلها الوقت
فارتبطت بغاية الوقت في الموت . وأنت تدرك الأصل في معنى « الأجل »
وهو الوقت في آيات كثيرة ، قال تعالى : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى
يبلغ الكتاب أجله » أي تقضى عِدَّتُها .

ولارتباط « الأجل » بغايته وهو الموت دلٌّ على القيامة كما في قوله
تعالى : « ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مُسمًى » أي
لكان القتل الذي نالهم لازماً لهم أبداً وكان العذاب دائماً بهم ، ويعني
بالأجل المسمى القيامة لان الله تعالى وعدهم بالعذاب ليوم القيامة ، وذلك
قوله تعالى : « بل الساعة موعدهم » .

وقالوا « الآجلة » للحياة الآخرة ضد العاجلة للدنيا .

وكما ارتبط « الأجل » وهو الوقت ومدّة الشي بغاية الوقت في الموت
أُرتبط « الحين » وهو الهلاك والموت بـ « الحين » بالكسر وهو الوقت .
وقد فرقت العربية بالكسر والفتح في كلمة « حين » للوصول الى
معنى الحين الاول وهو بالكسر ومعنى الهلاك وهو بفتح الحاء .

واستخدام الفتح والكسر للتفريق بين خصوصية المعنى في كلمتين من
أصل واحد كثير في العربية فالمعلوم ان « الذبح » مصدر « ذَبَحَ » غير
« الذبح » بكسر الذال وهو الحيوان المذبوح ، قال تعالى : « وفدّيناه
بذبحٍ عظيم » . وان « السقي » مصدر الفعل « سَقَى » غير « السقي »
بكسر السين وهو القدر من الماء الذي يُسْتَقَى به . ومثل هذا جمهرة من
الكلم الثلاثي .

٥٣ - حيا

قال المتنبي :

أَحِبُّ حِمَاصاً الى خُنَاصِرَةٍ وكل نفس تُحِبُّ مَحْيَاها
من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة (فَنَّا خُسْرَو)
ومطلعها :

أَوْهٍ بِدِيلٍ من قَوْلَتِي وَاها لمن نَأَتْ والبديل ذِكْرَاها

يقول أحب ما بين هذين المكانين « حمص وخنصرة » فكلّ نفس تحب مكان حياتها وحيث نشأت به •

والمحيّا : مفعّل من الحياة أي اسم مكان منها • وتقول : محياي ومماتي ، والجمع « محايي » وهذا الجمع مما ورد في قول المتنبي أيضاً في قوله :

ومن يَبْغِر ما أبغى من المجدِ والعُلا
تساوَى المحايي عنده والمقاتِلْ

من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

قِفَا تَرِيَا وَدَقِي فِهَاتَا المَخَايِلْ
ولا تَخْشِيَا خُلْفاً لما أنا قائلْ

يقول : من يطلب ما أطلب من الشرف والرتب العالية استوى عنده الحياة والقتل لأنه علم أنّ الأمور العالية فيها المخاوف والهلاك فيكون قد وطن نفسه على الهلاك فهو يصبر عليه ولا يبالى به •

تعليق :

استعمل المتنبي اسم المكان على « محيا » وهو استعمال صحيح وهو « مفعّل » من الحياة ويقع على المصدر والزمان والمكان • وقد جمع « المحيا » في البيت الآخر لأن الحاجة تدعو إلى الجمع فالمحايي مع المقاتل • والمحايي على « مفاعل » مثل مقتل ومقاتل • ولقلة ورود « المحيا » في الاستعمال قل الجمع وبدا مستغرباً •

وقد أخطأ أكثر ناشري ديوان المتنبي فأثبتوا « المحائي » بالهمزة وليس هذا موطن إبدال الهمزة بالياء ذلك أن الياء من مادة الكلمة أي كما يقولون « أصلية » مثل صنعة صنائع ونحو ذلك •

حرف الغاء

٥٤ - حبيب

قال المتنبي :

بصارمي مَرْتَدٍ بِمِخْبَرَتِي مُجْتَزِيءٌ بِالظُّلَامِ مُشْتَمِلٌ
من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار بن اسماعيل وكان قد وجد علةً
فقصده الطبيب فغَرَّقَ المَبْضِعَ فوق حقه فأضَرَّ به ومطلعها :

أَبْعَدَ نَأْيِ المَلِيحَةِ البَخْلُ في البُعْدِ ما لا تُكَلِّفُ الإِبِلُ
اللفظة والشرح :

أراد فأننا مَرْتَدٍ بصارمي والمعنى متقلّد بسيفي مُكْتَفٍ بعلمي
وخبرتي فلم أحتج إلى دليل يهديني الطريق ، لابس ثوب الظلام كما
يشتمل الرجل بثوب أو كساء •

تعليق :

استعمل المتنبي « مَخْبَرَةٌ » على « مَفْعَلَةٌ » بضم العين مثل
المكرمة •

وبناء « مَفْعَلَةٌ » قليل ، وكان في طوقه أن يقول « مَخْبَرَةٌ » بفتح الباء
ولكن « الواحدي » شارح الديوان أثبتتها بالضم ، ولعله رآها في نسخ
الديوان القديمة المسموعة عن المتنبي نفسه •

ولعل الشاعر آثر « المَخْبَرَةُ » بضم الباء وهي من الابنية النادرة •
والذي نلاحظه أن كثيراً مما جاء على « مَفْعَلَةٌ » بضم العين قد ورد بالفتح
أيضاً كالمأثرة والمأثرة والمخبرة والمخبرة •

قال المتنبي :

عَجَاجاً تَعَثَّرُ الْعِقبَانُ فِيهِ كَأَنَّ الْجَوَّ وَعَثَّ أَوْ خَبَارُ
 مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ فِيهَا إِيقَاعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بَيْنِي عَتَقِيلَ وَقَتَشِيرَ
 وَبَلْعَجَلَانَ وَكِلَابَ وَمُطْلِعَهَا :
 طُولَ قَنَا تَطَاعِنُهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ فِي نَدَى وَوَعَى بِحَارُ

اللمة والشرح :

الوَعَثُ مِنَ الْأَرْضِ مَا تَغِيبُ فِيهِ الْقَوَائِمُ لِسَهولته ، والخبار الأرض
 اللينة الرخوة ومنه قول عنتره :

والخيلُ تَقْتَحِمُ الْخَبَارَ عَوَاسِاً

وهذا من صفة الغبار بالكثافة •

يقول : العقبان التي مع الجيش تَعَثَّرُ في ذلك الْعَجَاجِ فَكَأَنَّ الْهَوَاءَ
 أَرْضَ لَيِّنَةٍ لِكَثْرَةِ مَا ارْتَفَعَ مِنْ غُبَارِ الْخَيْلِ •

تعليق :

استعمل المتنبي كلمة « خبار » بدلالتها القديمة في العربية وهي ما
 استرخى من الأرض ولان وتحفر كما قال ابن الأعرابي • وقال غيره : وهو
 ما تهوّر وساخت فيه القوائم •

وهذا الاستعمال للكلمة يدل على امتلاك الشاعر لمواد البيئة البدوية
 القديمة بأعلامها وشخصيتها •

قال المتنبي :

فَجِدْ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ وَإِنْ كُنْتَ الْخُبْعَثْنَةَ الشَّجِيعَا
 مِنْ قَصِيدَةٍ يمدح فيها علي بن إبراهيم التنوخي ومطلعها :
 مِلْثُ الْقَطْرِ أَعْطَشَهَا رَبُّوعَا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السُّمَّ النَّقِيعَا

اللمة والشرح :

الْخُبْعَثْنَةُ مِنْ أَوْصَافِ الْأَسَدِ وَيُرْوَى الْغَضَنْفَرَةُ وَهَذَا جَوَابُ
 قَوْلِهِ « إِذَا عَوَّجَ الْقَنَا » قَبْلَ بَيْتَيْنِ •

يقول : إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَجِدْ عَنْهُ أَيِّ مِلٍّ وَتَبَاعَدْ عَنْهُ وَإِنْ كُنْتُ
 شَجَاعاً قَوِيَّ الْقَلْبِ كَالْأَسَدِ وَإِلَّا هَلَكْتُ •

تعليق :

أقول : كَأَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ شَعْرِهِ مِظَانٌ تَشْتَمِلُ عَلَى الْغَرِيبِ
 الَّذِي لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا فِي شَعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغٍ مَا اسْتَوْعَبَ مِنْ
 الْعَرَبِيَّةِ الْمَعْرُوقَةِ فِي الْبَدَاوَةِ • وَكَأَنَّ مَقَامَهُ فِي دِيَارِ الشَّامِ لَمْ يَفْقِدْهُ الصِّفَةُ الَّتِي
 طَبَعَ عَلَيْهَا فِي بَيْتِهِ الْأَوَّلَى •

ان « الْخُبْعَثْنَةُ » مِنَ الْكَلِمِ النَّادِرِ الْغَرِيبِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَدْلُولَاتٍ
 عَدَّةٍ مِنْهَا النَّاقَةُ الْحَرِيْزَةُ ، وَتَيْسٌ خُبْعَثْنٌ غَلِيْظٌ شَدِيدٌ ، قَالَ :

رَأَيْتُ تَيْساً رَاقِنِي لِسَكْنِي
 ذَا مَنَبِتٍ يَرْغَبُ فِيهِ الْمُقْتَنِي
 أَهْدَبَ مَعْقُودَ الْقَرَى خُبْعَثْنِ

والخبعتن أيضاً من الرجال : القوي الشديد •

أبو عبيدة : الْخُبْعَثْنَةُ مِنَ الرِّجَالِ الشَّدِيدِ الْخَلْقِ الْعَظِيمَةِ ، وَقِيلَ :
 هُوَ الْعَظِيمُ الشَّدِيدُ مِنَ الْأَسَدِ •

الجوهري : الْخُبْعَثْنَةُ الضَّخْمُ الشَّدِيدُ مِثْلُ الْقُدْعَمِلَةِ ، وَأَنْشَدَ
 أَبُو عَمْرٍو :

خُبْعَثْنُ الْخَلْقِ فِي أَخْلَاقِهِ زَعَرُ

وقال أبو زُبَيْدٍ الطَّائِي فِي وَصْفِ الْأَسَدِ :

خُبْعَثْنَةُ فِي سَاعِدَيْهِ تَزَايِلُ تَقُولُ وَعَى مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ تَكَسَّرَا
 وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَصِفُ إِبِلًا :

حَوَاسَاتُ الْعِشَاءِ خَبَعْنَاتٌ" اذا النكباء عارضت الشمالًا
أقول : وجاء المتنبي في القرن الرابع ليجدد من حياة هذه الكلمة
المهجورة التي اوشك ان يطويها النسيان .

٥٧ - خَبَل

قال المتنبي :

ما أبا لي اذا اتقتك الرزايا من دهنته خبولها والخبول
من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقد بعث اليه هدية الى العراق
ومالاً دفعه بعد دفعة ومطلعها :

ما لنا كلثنا جوى يا رسول أنا أهوى وقلبك المتبول

اللفظ والشرح :

الخبول جمع خبل وهو الفساد ، والخبول : الدواهي وهي جمع
خبل .

يقول : اذا اخطأتك المنايا فلا أبا لي من أصابته .

تعليق :

قالوا : الخبل (بالتسكين) الفساد مثل الخبال (بفتح الخاء) .
ابن سيده : الخبل فساد الاعضاء حتى لا يدري كيف يمشي فهو
متخبّل خبل مختبّل .

ابن جني : وبنو فلان يطالبون بني فلان بدماء وخبل أي بقطع
أيدي وأرجل والجمع خبول .

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : من أصيب
بدم أو خبل .

الخبل : الجراح ، أي من أصيب بقتل نفس أو قطع عضو فهو بالخيار
بين إحدى ثلاث وإن أراد الرابعة فخذوا على يديه بين أن يقتص أو
يأخذ العقل أو يعفو ، فمن قبل من ذلك شيئاً ثم عدا بعد ذلك

فقتل فله النار خالداً فيها مخكداً . ويقال : خبله الحب اذا أفسده
بخبله .

ورجل مخبل : كأنه قد قطعت أطرافه ، والخبل : قطع اليد
أو الرجل .

وقد أخذ أهل العروض الخبل فصار من مصطلحهم وهو حذف
السين والتاء من مستعملين في عروض البسيط والرجز .

هذا ما جاء عن الخبل بالتسكين وهو غير الخبل بفتحين الذي يعني
معاني عدة منها الجن .

أقول : ذهب المتنبي في استعماله لهذا اللفظ الى غير المشهور المعروف
وهو ما كان بفتحين « الخبل » بل أراد « الخبل » بسكون الباء ، وهو
في استعماله هذا ضم الى معجمه مادة ذات قيمة لغوية تاريخية ذلك انه
انصرفت الى شيء من العرف الاجتماعي وهو دلالة على قطع العضو .

٥٨ - خد

قال المتنبي :

وأما لو خدت الشمال براكب
في عرضيه لأناخ وهي طليح

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

خللاً كما بي فكليك التبريح
أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيخ

اللفظ والشرح :

يصف بلداً طويلاً ، والمقق : الطول ، والأماق الطويل .

يقول : لو أسرع ريح الشمال في ذلك البلد براكب أي وعليها راکب
لأناخ ذلك الراكب والشمال طليح أي معببة ، واذا كانت الشمال تعبي فيه
فكيف الانسان ، وانما ذكر العرض لأنه أقل من الطول .

تعليق :

خَدَى البعير والفرس يَخْدِي خَدِيًّا وَخَدِيَانًا فهو خَادٍ : أسرع
زوجٌ بقوائمه مثل وَخَدَ يَخْدُ وَخَوَدَ يَخْوَدُ كله بمعنى ، قال
الراعي :

حتى غَدَت° في بياض الصبح طيبة

ريح المباءة تَخْدِي والشرى عَمِدُ

وقال كعب بن زهير :

تَخْدِي على يَسَرَاتٍ وهي لاهية°

وقالوا : الخَدِي ضرب من السير لم يُحَدَّ •

الليث : الوَخْد سعة الخطو في المشي ومثله الخَدِي لغتان •

أقول : لعل « وَخَد » « يَخْدُ » والمصدر الوخيد يعرفه الدارسون
أكثر من معرفتهم لما هو من المادة نفسها على طريقة ما أسموه بـ « القلب »
وهو « خَدَى » •

وهذا باب في العربية ، واكبر الظن ان المقلوب من المواد شيء مما
وست به اللهجات • أعني ان من يقول « خدى » يتكلم بلغة غير لغة من
يستعمل « وَخَد » •

أما المضعف فشيء آخر قد يتصل بهذه اللغة أو تلك • وليس من شك
ان الصور الثلاث من أصل واحد •

وبيت المتنبي بمواده جميعها يفصح عن امتلاك الشاعر لأصالة البداوة •
أقول : أصالة البداوة لانه استطاع ان يتجاوز هذه البداوة فيعرب عن
دقائق من الفكر تتصل بحضارة عصره واحتوائها على الفكر الاجنبي
الوافد •

٥٩ - خرب

قال المتنبي :

خَرَابٌ بادِيَةٌ غَرَّتْ بِطَوْنِهِمْ

مَكَّنَ الضِّبَابَ لَهُمْ زَادٌ بَلَا ثَمَنَ

من قصيدة يمدح محمد بن عبيدالله بن محمد الخطيب القاضي الخصيبي
ومطلعها :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لَذَا الزَّمَنِ

يَخْلُو مِنْ هَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنْ الْفِطَنِ

اللفة والشرح :

الخَرَاب جمع خارب وهو الذي يسرق الابل خاصة ثم سُمِّيَ به كل
لصٍّ ، والمكن يبيض الضب •

يقول : هم شرّاق فلاةٍ وليس لهم زاد الا يبيض الضب يأخذونه بلا
ثمن •

تعليق :

قالوا : الخارب سارق الابل خاصة ثم نقل الى غيرها اتساعاً ، قال
الشاعر :

إِنَّ بِهَا أَكْتَلَ أَوْ رَزَامَا خَوَيْرَبَيْنِ يَنْقُفَانِ الْهَامَا

الاكتل والكتال : هما شدة العيش • والرزام : الهزال •

وقال ابو منصور الازهري : أكتل ورزام (بكسر الراء) رجلان
خاربان اي لصّان • وقوله : خويربان أي هما خاربان وصغّرهما ونصب
على الذم •

وقد خَرَبَ يَخْرُبُ خِرَابَةً • وفي « الصحاح » : خَرَبَ فلان
يَرْبِلُ فلان ، يَخْرُبُ خِرَابَةً وَخَرَبًا وَخَرُوبًا أي سرّقها •

أقول : ولم يبق لمادة « خرب » معنى السرقة وقد اوشكت هذه المادة
ان تفتى • وبقي منها « خِرَب » بكسر الراء خراباً وهو المعروف المشهور •
أعود فأقول : وهذه مادة أخرى تضاف الى مواد المتنبي التي تكشف
عن أدوات البداوة القديمة •

قال المتنبي :

يَتَلَوْنَ الخَرِيتَ من خَوْفِ التَّوَيِّ

فِيهَا كَمَا يَتَلَوْنَ الحَرَبَاءُ

من قصيدة يمدح فيها أبا عليّ هارون بن عبدالعزيز الأوارجيّ الكاتب
«ومطلعها :

أَمِنْ أَزْدِيَارِكُ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ

إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ

اللغة والشرح :

الخَرِيتُ : الدليل سُمِّيَ خَرِيتاً لاهتدائه في الطَّرُق كخُرْتُ
«الابرة» كَأَنَّهُ يَعْرِفُ كُلَّ ثُقْبٍ فِي الصَّحْرَاءِ •يقول : الدليل الحاذق يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ مِنْ خَوْفِ الْهَلَاكِ كَمَا يَتَلَوْنَ
«الحرباء» وهي دَابَّةٌ تَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ وَتَدُورُ مَعَهَا حَيْثُ دَارَتْ يَتَلَوْنَ فِي
«اليوم أَلْوَاناً» •

تعليق :

أقول : ان توليد « الخَرِيت » وهو من أبنية المبالغة كالصديق
«السكيت» ، من خُرْتُ الإبرة يدلنا على سعة العريية وقوتها وتعدد طرق
«الافادة» فيها لتوليد الجديد من المدلولات مما احتاجت إليه في مختلف
«عصورها» • ان العلاقة بين « الخَرِيت » وهو الدليل الحاذق في معرفة
الطرق و « خرت » الابرة علاقة بعيدة ، ولكن هذا البعد لم يمنعهم منخلق الصلة فقد قالوا : كَأَنَّ هَذَا الدَّلِيلَ يَهْتَدِي إِلَى كُلِّ جِهَةٍ خَفِيَةٍ مِمَّا يَشْبَهُ
« خُرْتُ الابرة » ، وهذا شيء من عبقرية العربية •

لقد حدث هذا والعربية في عصورها المتقدمة ، قال رؤبة :

أَرْمِي بِأَيْدِي الْعَيْسِ إِذْ هَوَيْتُ فِي بِلَدَةٍ يَعِيَا بِهَا الْخَرِيتُ

واستعمال المتنبي لهذه الكلمة التزام منه بالكلمة الفصيحة القديم التزاماً
غلب عليه حتى أنك لتجد هذا القدر من الكلمة القديم أوفر مما ندعوه باللفظ
المولّد أو ما يمكن ان يكون من الالفاظ العباسية وهي الفاظ القرن الرابع
فصاعداً •

قال المتنبي :

بَانُوا بِخَرْعُوبَةٍ لَهَا كَفَلٌ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا
من قصيدة قالها في صباه يمدح فيها محمد بن عبيدالله العلوي
مطلعها :

أَهْلَاءُ بَدَارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خَرْدُهَا

اللغة والشرح :

يقال : امرأة خَرْعُوبَةٌ وَخَرْعُوبَةٌ وهي اللينة الشابة
الطرية ، ومنه قول امرئ القيس :

خَرْعُوبَةُ الْبَانَةِ الْمُنْقَطِرِ

والكَفَلُ : الرِّدْفُ ، والمرأة توصف بثقل العجيزة وكثرة لحمها •

يقول : ذهبوا بامرأة ناعمة اذا قامت يكاد ردفها يقعدوها لكثرة ما عليه من اللحم • وهذا المعنى كثير في شعرهم ، في الجاهلية والاسلام فهل يجوز لنا ان نقول كما قال النقاد الأقدمون إنه من قول أبي دلامة :

وقد حاولت نحو القيام لحاجةٍ فأثقلها عن ذلك الكفل النهْدُ
ما أظن شيئاً من ذلك فهذا مما فطن له العرب واستوحوه من نظرهم
الى صفات جمال المرأة ، وهو كثير جداً •

تعليق :

لعلهم سموا المرأة الشابة الحسنة الجسيمة في قوامها بـ « الخرعوبة »
لتشبهها بالقضيب الناعم السامق الغض الحديث النبات الذي لم يشتد لان
الخرعوب والخرعوبة هو هذا القضيب المنعوت بهذه النعوت • إنهم قالوا
في « الخرعوبة » و « الخرعة » في اطلاقها على المرأة الشابة : انها الرخصة
اللينة الحسنة الخلق ، وقيل : هي البضاء ، رقيقة العظم ، كثيرة اللحم ،
ناعمة ، طويلة ، لينة القصب ، حسنة القوام كأنها خرعوبة من خرايب
الاعصان •

وهذا التشبيه استحال الى حقيقة في هذه المادة اللغوية •

ان استعمال المتنبي لـ « خرعوبة » تمسك منه بالكلم الفصيح القديم
الموسوم بميسم من البداوة الأصيلة •

٦٢ - خيزل

قال المتنبي :

ألا كل ماشية الخيزلَى فدَى كل ماشية الهيدبَى
مطلع مقصورته المشهورة التي قالها لما دخل الكوفة يصف فيها طريقه
من مصر إليها ويهجو كافوراً •

اللغة والشرح :

الخيزلَى : مشية النساء ومنه قول الفرزدق :

قَطُوفُ الخُطَا تَمْشِي الضُّحَى مَرُجَحِنَّةً

وتمشي العشي الخيزلَى رخوة اليَدِ

والهيدبَى : مشية فيها سرعة من مشية الخيل لا الابل كما ذكر
الواحدي ، وتروى بالذال •

يقول : فدت كل امرأة تمشي الخيزلَى كل فرس أو جواد يشي
الهيدبَى لا الناقة كما ذكر الواحدي •

يريد انه لا يميل الى مشية النساء وليس من أهل الغزل والعشق وانما
هو من أهل السفر •

تعليق :

ويجوز ان يكون المتنبي اراد بـ « الهيدبي » مشي الناقة كما ذكر
الواحدي وعدل عن الخيل الى الابل اتساعاً ، فاطلق هذه المشية عليها لانه
أراد ان يقول : انه من اهل السفر يحب مشي الجمال • والى هذا ذهب ابو
تمام في قوله :

يرى بالكعاب الرودِ طلعةً ثائرٍ وبالعرْمِسِ الوجناء غرّةً آيبِ

والخيزلَى والهيدبي من ضروب السير وللعرب في باديتهم معجم خاص
بضروب السير مما يتصل بالرجل والمرأة والابل والخيل •

٦٣ - خفر

قال المتنبي :

المُخْفِرِينَ بكل ايض صارمٍ لِمَمِ الدُرُوعِ على ذوي التيجان
من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقت منصرفه من بلاد الروم سنة
٣٤٥ هـ ومطلعها :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أوّل وهي المحلّ الثاني

اللفة والشرح :

اي الذين ينقضون عهودَ الدروع على الملوك بسيوفهم وذلك انهم تحصنوا بالدروع فكأنهم في ذممها ثم سيوف هؤلاء تنقض تلك الذمم بهتك دروعهم والوصول الى ارواحهم •

والمخفر : الذي ينقض العهد •

تعليق :

يقال : خفر الرجل وخفر به وعليه يخفر خفراً : أجاره ومنعه وأمنه وكان له خفيراً • والخفير : المجير ، والخفارة : الأمان •

وفي العربية ان طائفة من الافعال الثلاثية تدل على معان معروفة فاذا بنيت على « أفعل » ذهب الى ضد المعنى مثل قسَط بمعنى عدل وأقسَط بمعنى جارَ وظلم •

ومن هذا « خفر » الذي اشرنا إليه أما « أخفر » كقولهم : أخفر الذممة اي لم يف بها •

وهذا مما تولده الزيادة ، ومن اجل ذلك سمو الهزة بهزة السلب • ومثل الهزة التضعيف الذي يسلب المعنى ويحيله الى الضد نحو فزع وفزع ومرض ومرض • وهذا باب كبير يدركه المتتبع لكلم العربية المستقرىء لها استقراءً وافياً في كلامهم •

٦٤ - خلط

قال المتنبي :

انّ دون التي على الدرب والأحدب والشهر مخلطاً مزياً
من قصيدة يذكر نهوض سيف الدولة الى ثغر الحدث لما بلغه ان الروم قد أحاطت به في جُمادى الاولى سنة ٣٤٤ ومطلعها :

ذي المعالي فليعلنن من تعالي

هكذا هكذا وإلا فلا

اللفة والشرح :

يعني قلعة الحدث ، يقول : دون الوصول إليها رجل مخلط مزياً وهو الكثير الخلط للأمور والزّيال لها يخالطها ثم يزايها ، يعني سيف الدولة ، وأراد بالأحدب جبلاً هناك •

تعليق :

قالوا : المخلط ، بالكسر : الذي يخلط الأشياء فيلبسها على السامعين والناظرين •

وفي الحديث : أنّ رجلين تقدما الى معاوية فادّعى أحدهما على صاحبه مالا وكان المدّعي حوّلاً قلّباً مخلطاً •

أقول : ان « المخلط » الذي ورد في بيت الشاعر وفي الحديث من المواد التي لا نعرفها في عريتنا المعاصرة في الاقل ان تم نقل انها قليلة الوجود في العربية عامة • وهي من الكلمات الخفيفة الرشيقة وانها بناء « مفعّل » لافادة المبالغة ، وهو من الابنية المشهورة • وان مدلوله شيء مما يحتاج إليه ، وانه يكشف عن نمط من طبائع الناس وأخلاقهم • وكان من الأولى والاحسن ان يحتفظ بمثل هذه الالفاظ المعروفة المشهورة اذا كانت ذات مدلول معروف فينا حاجة الى استعماله •

٦٥ - خلق

قال المتنبي :

خلائق لو حواها الزنج لا نقلّبوا

ظمي الشفاه جعاد الشعر غراً

من قصيدة يمدح فيها أبا سهل سعيد بن عبدالله بن الحسن الانطاكي الحمصي ومطلعها :

قد علّم البيّن من البيّن أجفانا

تدّمى وألف في ذا القلب أحزانا

اللغة والشرح :

يريدُ بالخلائق الخلق جمع الخلقة وهي الخلق (بفتح وسكون)
ولا يريد السجايا لان السجايا الحسان قد تكون في الصور القبيحة ، والزنج
لا يجتمع فيهم بياض الوجه مع جعودة الشعر ودقة الشفاه لان شفاههم
غليظة وهم سود الألوان • ومعنى ظمي الشفاه دقاق الشفاه كأنها لم
ترتو فتغلظ •

والمعنى : لو أن خَلَقَهُم للزنج لحَسَنُوا مع جعودة شعورهم فكانوا
أحسن خلق الله تعالى •

تعليق :

لقد قال الشراح والنقاد : ان الخليقة بمعنى الخلقة لا تصح واذا حملنا
الخلائق على السجايا فسد معنى البيت لان الخلقة لا تتغير بالسجايا •

أقول : يعرف المتنبي ان الخليقة هي السجية وهي غير الخلقة التي
تعنى الخلق وهو عارف باللغة معرفة خاصتها بها وقد يكون أكثر علماً
باللغة من شراح ديوانه ونقاده ولكنه أثر بسبب من الشعر ان يعطي كلمة
الخليقة معنى الخلق ويولد جديداً ولا سيما في القرائن الواضحة فليس من
غموض ولا ابهام •

وتلك سنة جرى عليها الجاهليون والاسلاميون ولا يستطيع النقاد
اللغويون ان يحملوا ما توسع فيه زهير أو الاعشى أو الحطيئة في طائفة من
الكلم والاستعمال على الخطأ •

٦٦ - خل

قال المتنبي :

روحٌ تردّد في مثل الخلال اذا

أطارت الرياحُ عنه الثوبَ لم يَبِنِ

من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

أَبْلَى الهَوَى أَسْفَى يومَ النَوَى بدني

وفرَّقَ الهجر بين الجفن والوسن

اللغة والشرح :

يقول : لي روح تذهب وتجيء في بدن مثل الخلال في التحول
والرقة اذا طيرت الريح عنه الثوب الذي عليه لم يظهر ذلك البدن لرقته
أي انما يرى لما عليه من الثوب فاذا ذهب عنه الثوب لم يظهر • ويجوز
ان يكون معنى « لم يبن » لم يفارق أي أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب
لخفته • وقوله : « مثل الخلال » صفة لموصوف محذوف تقديره : في
بدن مثل الخلال •

يقول الواحدي : وأقرأني ابو الفضل العروضي « في مثل الخيال »
قال :

أقرأني أبو بكر الشعراي خادماً المتنبي « الخيال » قال : لم أسمع
« الخلال » الا بالري فما دونه ، يدل على صحة هذا ان الوأء الدمشقي
سمع هذا البيت فأخذه فقال :

وما أبقي الهوى والشوق مني

سوى جسمٍ تردّد في خيال

خفيت على النوائب أن تراني

كأن الروح منى في محال

تعليق :

أريد ان أقف على كلمة « الخلال » التي وردت في بيت المتنبي •

الخلال : العود الذي يتخلل به بين الاسنان ، وتخلل الاسنان ادخال

الخلال الذي هو العود بينها لتنظيفها مما علق به من الطعام وغيره •

وأرى ان مادة «خلال» بكسر الخاء التي تدل على العود الذي يتخذ

لحاجة من الحاجات قد بنيت على « فعال » وهو من الأبنية التي تنصرف

الى الأدوات والآلات كالقناع واللاثام والزمَام والوكاء والغفاص والسداد والصمام والعيار وغيره كثير .

ثم ان هذا الاسم الذي بني على هذا الوزن قد أخذ من الظرف « خَلَل » وهو منفرج ما بين كل شيئين وجمعه « خلل » . والخلل وهو العود الذي تؤدَّى به الحاجة التي اشرنا إليها يتخذ لتنظيف الفرجة بين سنٍ وآخر . ومن هنا اخذوا الفعل من هذه « الأداة » او قل من الظرف الاصلي « خلل » ليشير الى ما تصنعه هذه الأداة فقالوا : تخلَّل بالخلل .

ثم اتَّسع في استعمال الفعل فقالوا : خلَّل بين اصابع يديه أو رجليه أو خلل بين شعر لحيته كما يفعل كل ذلك في الوضوء . وأصله من ادخال الشيء في « خلل » الشيء . وهذا مثل من سعة العريية واحكامها وقوتها في توفير الأبنية .

٦٧ - خلو

قال المتنبي :

وخيالٌ جسمٌ لم يُخلِّ له الهوى

لحمًا فينحطه السقام ولا دما

من قصيدة يمدح فيها انساناً وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ومطلعها :

كنفيَّ أُراني ويكِّ لو مَكِّ ألو مَّا

هَمُّ أقامَ على فؤادٍ أنجما

اللفظة والشرح :

ذكر لجسمه الخيال ليدلَّ به على دقته ونحوه فان الخيال اسم لما يُتَخَيَّل لك لا عن حقيقته وهو عطف على الهم في البيت الاول .

يقول : لم يترك الهوى بجسمي محلاً للسقم من لحم ودم فيعمل فيه .

تعليق :

أود ان أعلق على الفعل « خَلَّى » « يَخْلِي » في قول المتنبي « لم يُخلِّ له الهوى » أي لم يترك .

أقول : ان هذا الفعل بهذا المعنى اوشك ان يخفى أو يزول من الفصيحة ، والذي يستعمل منه في عصرنا هو ما كان بمعنى « التخلية » أي جعله خالياً كأن يقال : خلَّي الدار بمعنى أخلاها . أما « خلَّى » بمعنى ترك كما وردت في البيت فهي من مواد العامية الدارجة وهذا من غرائب اللغة ذلك ان طائفة من الكلم الفصيح الذي ثبت في العربية خلال عصور عدة زال في العربية المعاصرة واستقر في اللهجات الدارجة .

٦٨ - خنت

قال المتنبي :

خَنَّتِي الفحول من الكُثْمَةِ بصَبْغِهِ

ما يلبسون من الحديد مُعَصِّفَرَا

من قصيدة يمدح فيها أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد وورد عليه بأرجان ومطلعها :

بادٍ هـواك صَبَرْتَ أم لم تصبرا

وبُكَاكٍ ان لم يَجْرِ دمعك أو جَرَى

اللفظة والشرح :

خَنَّتِي الفحول : جعلتهم كالمُخَنَّثِينَ ، يقال : خَنَّتِي يُخَنِّثِي خَنَثَةً ، وهذا رواية ابن جنِّي وابن فورجة . وروى غيرهما : خَنَّتِ الفحول أي انكسروا عند اعماله الضرب فيهم والأولى أجود لانه ذكر صبغة لباسهم ، والثوب المعصفر المصبوغ من ثياب النساء وذوي التخنيث .

تعليق :

لعل المتنبي هو الذي تجرَّأ فولد الفعل « خَنَّتِي » « يُخَنِّثِي » من الكلمة « خَنَّتِي » وهي كلمة رباعية ذات دلالة معروفة .

الخَنَّتِي (بضم الخاء فalsكون) : الذي لا يخلص لذكر ولا أنثى .

وجعله كزراع وصفاً فقال : رجل خُنْثَى : له ما للذكر والاثني والجمع خُنْثَايَ مثل حَبَالَيَّ وَخِنْثَاث ، قال :

لعمرك ، ما الخِنْثَاثُ بنو قُثَيْرِ بْنِ سَوَانَ يَكْدُنَ وَلَا رَجَالَ
ولم يذكر فعل من هذا الاسم على الصيغة التي وردت في بيت المتنبي ،
فكأنه أراد أن يولدها من الاسم « خُنْثَى » • ولم يشأ أن يستعمل الثلاثي
« خَنْثَ » ، يَخْنُثُ « مثل « فَرَحَ » كما أشار الواحدي في شرحه ليثبت إزاء
أهل اللغة بقدرته العلمية وجراته وحسن تصرفه •

إن الفعل الذي جاء به الشاعر من الأفعال الرباعية النادرة والغريبة ،
ولعل أحداً آخر لم يتبع المتنبي في استعماله • ومن يدري لعل الفعل قد أخذه
الشاعر مما تصنعه العامة في أعرابها ودأبها في اللغة اليومية ؟

٦٩ - خنز

قال المتنبي :

شديدُ الخَنْزَوَانَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أُمُ أُصَيَا
من قصيدة يمدح فيها علي بن محمد بن سيَّار بن مكرم التميمي
ومطلعها :

ضُروبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُروباً فَأَعَذَرُهُمْ أَشَقَّهُمْ حَيِياً

اللغة والشرح :

الخَنْزَوَانَةُ في الأصل ذُبَابَةٌ تطير في أنف البعير فيَشْمَخُ لها بأنفه ،
واستعيرت للكِبَرِ فقليل : بفلانٍ خَنْزَوَانَةٌ • ومعنى تَنَمَّرَ صار
كالتَّكْمُرِ في الغضب •

والمعنى : إذا غضب على أعدائه وقاتلهم لم يُبَالِ أَقَتَلَهُمْ أَمْ قَتَلُوهُ •

تعليق :

الذي ذكره الواحدي من أن الخَنْزَوَانَةَ في الأصل ذُبَابَةٌ تطير في
أنف البعير فيَشْمَخُ لها بأنفه جميل ومفيد ، ولكنني لم أجده في المطولات

من كتب اللغة ولعله موجود في الرسائل الصغيرة التي أرخت للعربية بحسب
الموضوعات مثل رسائل ، الحشرات ، والوحوش ، والخيل ، والابل وغيرها •
واستعارة هذه المادة بدلالاتها الحقيقية للكِبَرِ لما تسبب من شموخ
الأنف لدى البعير مما يظهر اتساع العرق الأقدمين في إيجاد الالفاظ الخاصة
للمعاني المجردة والافتنان في توليدها من المواد المحسوسة الملموسة •
والكلمة ذات أبنية عدّة لا نعلم أيها كان الذبابة في الأصل •

قالوا : الخَنْزُورَةُ والخَنْزُورَانَةُ والخَنْزُورَانِيَّةُ والخَنْزُورَانُ كُلُّهَا
الكِبَرُ •

أنشد ابن الأعرابي :

إِذَا رَأَوْا مِنْ مَلِكٍ تَخَمَّطًا أَوْ خَنْزُورَانًا ضَرْبُوهُ مَا خَطَا

وأنشد الجوهري :

لثيم نزت في أنفه خَنْزُورَانَةٌ عَلَى الرَّحِمِ الْقُرْبَى أَحَذَّ أَبَاتِرُ
ولعل « الخنزوانة » فيما أنشده الجوهري تلمح إلى الأصل وهو
« الذباب » •

٧٠ - خوز

قال المتنبي :

ومن الناس من يَجُوزُ عَلَيْهِ شعراءُ كَأَتَهَا الْخَازِرُ بَازِرُ
من قصيدة يمدح فيها أبا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب
مطلعها :

كَفِرَ نَدِي فِرَندُ سِيفِي الْجَرَّازِ لَذَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةُ الْبِرَّازِ

اللغة والشرح :

الْخَازِرُ بَازِرُ : حكاية صوت الذباب ثم يُسَمَّى الذباب أيضاً بهذا
الاسم ومنه قول ابن أحرر :

تَفَقَّأَ فوقَه القَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الخَازِرُ بَازِرٌ بِهِ جُنُونَا
يقول : من الناس من لا يعرف الشعر فيجوز عليه شعراء كأنهم الذباب
في هذيانهم •

تعليق :

أقول : قالوا ان « الخازر باز » حكاية صوت الذباب ثم تجاوز ذلك
الى الذباب نفسه • من غير شك ان المتنبي استفرغ معجبه الذي اشتمل على
الفرائد والاوابد مما هو بعيد الغرابة يغرس أصوله في العصور القديمة
جاهليها وإسلاميها • واستخدام الشاعر لهذا المعجم الشامل الواسع كان بفعل
القافية في هذه المرة ، فقد التزم « الزاء » قافية فكان مسوِّغاً ان يأتي بهذا
المركب « الخاز باز » والذي هو حكاية صوت الذباب •

ان حكاية الصوت في العربية كانت سبباً في توليد طائفة من الالفاظ ،
فقد ذكروا ان « الغوغاء » ودلالاتها على العامة والسواد من الناس هو حكاية
صوت هؤلاء حين اجتماعهم وانضمامهم بعضهم الى بعض ، ومثله العوعاء •
ثم اذا قلبنا الأصوات في هذه المادة وحصلنا على كلمة « وغي » وهي
تعني الحرب لا تخرج في الأصل عن حكاية اصوات الجند وجليبتهم وما يرافق
ذلك من صوت السلاح ، ومثل ذلك ما قالوا في كلمة « جيش » والأمثلة
كثيرة •

٧١ - خول

قال المتنبي :

وَعَرَّفَاهُمْ بِأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ
أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ
من قصيدة يعتذر فيها الى سيف الدولة مما خاطبه به في قصيدته
الميمية ومطلعها :

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ
دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرِّكْبِ وَالْإِيلِ

اللغة والشرح :

الْخَوَلُ جمع خائل وهو الخادم من قولهم رجل خال مال وخائل
مال إذا كان حسن القيام عليه اي عرِّفاً أحبابي وبلغاهم اني متقلب في
أنعام سيف الدولة •

تعليق :

قالوا : والخَوَلِيُّ الراعي الحسن القيام على المال والغنم ، والجمع
خَوَلٌ كَعَرَبِيٍّ وَعَرَبٌ • وفي حديث ابن عمر : انه دعا خَوَلِيَّه •

قال ابن الأثير : الخَوَلِيُّ عند أهل الشام القيِّم بأمر الابل واصلاحها ،
من التخوُّل التعهد وحسن الرعاية •

وانه لخال مال وخائل مال وخَوَلٌ مال أي حسن القيام على نَعَمِهِ
يُدَبِّرُهُ ويقوم عليه • والخَوَلُ ايضاً اسم لجمع خائل كرائح ورواح ،
وليس بجمع خائل ، لان فاعلاً لا يَكْسُرُ على فَعَل •

أما قول الواحدي : الخَوَلُ جمع خائل فعلى سبيل التساهل وكأنه
يريد أن يقول والجميع « خَوَل » على نحو ما نجد في كتب اللغة •

والصحيح ما أشرنا إليه في كتب العربية من أن « فَعَل » بفتحين من
صيغ أسماء الجموع لا جمع تكسير • ومفرده في الغالب مختوم بياء النسبة
مثل حرس ومفرده حَرَسَى وكثير من أسماء الجموع يأتي مفردة منسوباً
نحو : يهود ويهودي ، ومجوس ومجوسي وجُنْد وجندي •

ونلاحظ ان « خَوَل » من الكلمات القديمة التي لم تبق لها باقية
في العربية الحديثة ، وفي الدارجة المصرية ينصرف « الخول » الى الرذل
الساقط من العلمان وهو مفرد فيها لا جمع •

٧٢ - خير

قال المتنبي :

فِيهِ السَّمَاحَةُ وَالْفَصَاحَةُ وَالتَّقَى
وَالْبَأْسُ أَجْمَعُ وَالْحِجَى وَالْخَيْرُ

من قصيدة يرثي فيها محمد بن اسحاق التنوخي ومطلعها :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَبِيرٌ
إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصْتَ غُرُورُ

اللفظة والشرح :

يقول : في ذلك الكفن هذه الأوصاف وهذه الأخلاق التي ذكرها ،
والخير : الكرم .

وقد وردت كلمة « خير » في بيت آخر للمتنبي :

وَكَفٌّ لَا تَنَازَعُ مِنْ أَتَانِي
يُنَازِعُنِي سِوَى شَرَفِي وَخَيْرِي

من قصيدة يصف فيها سيره في البوادي وهجا فيها ابن كرويس الأعور
ومطلعها :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورٍ
سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلُ الْخُدُورِ

اللفظة والشرح :

يعني وكفّ جوادٍ لا تُمْسِكُ الأشياءَ ولا تَنَازِعُ المَنَازِعَ في غير الشرف
والكرم ، يعني انه يوجد بالمال وكل شيء سِوَى الشرف .

تعليق :

ان كلمة « الخير » بالفتح من الكلمات التي حَفَلَتْ بها العربية ، فهي
في الأصل للدلالة على التفضيل وهي تقابل « شر » . وآية احتفال العربية
بهذه الكلمة تواترها في أجل نص عربي هو التنزيل العزيز الذي حفل بـ
« الخير » على التفضيل وعلى غير التفضيل . وقد كثرت الابنية التي اتخذت
كلمة « خير » اصلاً لها . والنظر في معجم العربية يفصح عن الثروة السنية
لهذه المادة .

ومن غير شك ان « الخير » بكسر الخاء من أصل « الخير » بالفتح .
وقد أشرت في موضع آخر الى ان العربية تتبع في الاسماء الثلاثية على بناء
« فَعْل » بسكون العين وهي مصادر فتتجاوز المصدر الى الاسمية بابدال
الكسرة بالفتحة . وهذا الابدال لا يقتصر احياناً على إحداث الاسمية بل
يتجاوزه الى شيء من تطور الدلالة .

ومن ذلك « الخير » بكسر الخاء الدال على « الكرم » كما في البيتين
وهو يدل كذلك على الشرف والهيئة والأصل .

٧٣ - خيل

قال المتنبي :

قِفَا تَرِيًّا وَدَقِي فَهَاتَا الْمَخَايِلُ
وَلَا تَخْشَا خُلْفًا لَمَّا أَنَا قَائِلُ
وهو مطلع قصيدة قالها في صباه .

اللفظة والشرح :

الودق : المطر ، وهاتان بمعنى هذه ، والمخايل جمع المخيلة (بفتح الميم)
السحابة الخليفة بالمطر ، والخلف اسم من الاخلاف .
يقول لصاحبه : اصبراً تَرِيًّا من أمري شأنًا عظيمًا فقد ظهرت
مخايله وما يشهد لي بتحقيق ما كنت أعِدُّ كما من نفسي من قتل الأعداء
وبلوغ الآمال وذكر أنه لا يخلف وعده .

تعليق :

قد يقال للسحاب الخال ، فاذا أرادوا أن السماء قد تَغَيَّمتْ قالوا :
قد أَخَالَتْ ، فهي مخيلة بضم الميم ، واذا أرادوا السحابة نفسها قالوا هذه
مَخِيلَةٌ بالفتح .

وقد أَخَيْلْنَا وَأَخَيْلْتَ السَّمَاءُ وَخَيْلْتَ وَتَخَيَّلْتَ : تهيَّأت
للمطر فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ، فاذا وقع المطر ذهب اسم التخيل .

ولقد أخطأ ناشر الديوان (شرح الواحدي) فهمز « المخايل » ولا بد من
الياء في هذه الكلمة ولا يمكن ان يُبدل منها همزة مثل بدائع وصحائف .

٧٤ - داي

قال المتنبي :

إذا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ

تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدَّأَى ضَرَاغِمُهُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة عند نزوله أنطاكية ومُنْصَرَفُهُ من الظَّفَرِ بحصن بَرْزَوِيهِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَمِطْلَعُهَا :

وفاؤكما كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ

بأنْ تُسْعِدَا والدَمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ

اللمعة والشرح :

المذاكي : المُسِنَّةُ من الخيل ، وتَدَّأَى معناه تختل ، يقال : دَأَوْتُ له ودَأَيْتُ أَدْأَى أَي خَسَلْتُهُ • ورُؤْيٍ بالذال ومعناه تطرده ، يقال : دَأَى الْإِبِلَ ذَأَوًا إذا طَرَدَهَا •

يقول : إذا ضَرَبَتْ الرِّيحُ هذا الثوب تحرك حتى كَأَنَّهُ يَمُوجُ ، وكَأَنَّ الخيلَ التي صَوَّرَتْ عليه جائلة ، وكأنَّ أسوده تختل الظباء لتصيدها وتطردها لتدركها •

تعليق :

قالوا : دَأَى له يَدَّأَى دَأًأً ودَأَوًا إذا خَسَلَهُ • والذئب يَدَّأَى للغزال : وهي مِشْيَةٌ شَبِيهَةٌ بِالْخَسَلِ • ودَأَوْتُ له لغة في دَأَيْتُ • ودَأَوْتُ له : مثل أَكْدَيْتُ له ، قال :

كالذئب يَدَّأَى للغزال يَخْسِنُهُ

ودَأَى الذئب للغزال يدؤو دأواً ليأخذه مثل يادو : وهو شبيهة المختلة والمرأوة •

أقول : وهذا من الكلم الغريب الذي يحفل به شعر المتنبي والذي يدل أيضاً على النصيب الوافي الذي تحتله الفاظ البداوة في أدب المتنبي •

٧٥ - ددن

قال المتنبي :

أَنكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنًا

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وكان سار الى الساحل ثم عاد الى طبرية ومطلعها :

الْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الْإِسْنَا وَالْكَذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا

اللمعة والشرح :

يقول : أَنكَرْتُهَا أَوَّلَ مَا طَرَقْتَنِي وَقُلْتُ لَيْسَتْ تَقْصِدُنِي وَإِنَّمَا أَخْطَأْتُ فِي قَصْدِي ثُمَّ لَمَّا كَثُرَتْ أَقْرَرْتُ بِهَا وَعَرَفْتُ أَنَّهَا تَأْتِينِي فَصَارَتْ عَادَةً لِي لَا تَفَارِقُنِي وَلَا أَنْفَكُ مِنْهَا • وَالْدَيْدَنُ : الْعَادَةُ ، وَرَوَاهُ الْخَوَارِزْمِيُّ بِكَسْرِ الدال الأولى كأنه أراد مُعَرَّبَ دَيْدَنٍ وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ « فَيَعْمَلُ » بِكَسْرِ الْفَاءِ •

تعليق :

قالوا : وَالْدَيْدَنُ : الدَّابُّ وَالْعَادَةُ ، وَهِيَ الدَّيْدَانُ ، عَنْ ابْنِ جَنِي ، قَالَ الرَّاجِزُ :

وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُمْ حَفَائِثُهُ دَيْدَانُهُمْ ذَاكَ وَذَا دَيْدَانُشُهُ

وفي « النهاية » : وفي الحديث خرجت ليلة أطوف فإذا أنا بامرأة تقول كذا وكذا ، ثم عدت فوجدتها ودَيْدَانُهَا أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ •

الدَيْدَان والدَيْدَن والدين : العادة تقول : ما زال ذلك دَيْدَنه
ودَيْدانه ودينه ودأبه وعادته وسدَمه وهَجِيرَه وهَجِيرَاه وإِهْجِيرَاه
ودَرَابَتَه •

أقول : ولعله من « دَد » بفتح فتشديد بمعنى اللهو واللعب وهي
مادة كثر الكلام عليها ذلك ان فيها لغات فهي « دَد » بالفتح والتخفيف
وهي اللغة الكثيرة ثم المضعفة التي أشرنا إليها ثم « دَدَا » بفتح وتخفيف
مع الف مثل « نَدَى » و « دَدَن » مثل « بَدَن » •

وقالوا أيضا دَيْدَ وديْدَان ودَدَن •

وأكبر الظن ان من المضعفة « ديدن » و « دَيْدَان » بعد فك
التضعيف وإبدال الاول من الدالين بالياء ، وهذا الإبدال كثير في العربية
مثل أمّا وأيّما وغيّناء وقد أشرنا إليه في غير هذا الموضع ، ثم ان
النون في الآخر هو بسبب رسم التنوين تصوراً منهم لآخر الكلمة ، ولمثل
هذا نظائر في العربية •

ومن الطريف ان أشير الى ان « الدَيْدَان » ما زالت معروفة في العامية
البغدادية ولكنها بكسر الدال •

٧٦ - دعس

قال المتنبي :

الخائِضُ الغَمَرَاتِ غيرَ مدافعٍ والشَمَرِيّ المِطْعَنُ الدِعْسُ
من قصيدة يمدح فيها محمد بن زُرَيْق الطرسوسي ومطلعها :
هذي بَرَزَتْ لَنَا فهجّت رسيسا ثم انصرفت وما شَفَيْتِ رَسِيسا

اللفظ والشرح :

نصب الخائض بفعل مضمّر كأنه قال ذكرت أو مدحت الخائض أو أنه
بدل من الهاء في « عادِه » في بيت سابق والشَمَرِيّ الجادّ في أمره
والشَمَر ، ورؤي بكسر الشين كذلك حكاه أبو زيد ، والدِعْسُ فِعِيل
من الدَعَس وهو الطعن •

يقول : هو الذي يخوض شدائد الحرب فلا يعارضه أحد •
تعليق :

قالوا : مدعس ودعيس مثل شريب للمبالغة وهو المداعس الكثير
الطعن •

والدعيس قليل الورد وأكثر منه المدعس ، ولكن الشاعر جاء به
لموافقته قافية وروي البيت وهو السين الذي بنى عليه القصيدة كلها فاضطر
أن يأتي بـ « رسيس ، ونسيس ، وجالينوس ، وعيسى ، وموسى ، وتقييس ،
وعريس ، وابليس ، وناووس ، وطرسوس » •

وأكبر الظن ان « طرسوس » هي التي جاءت بالقافية اللعينة التي
اضطرت الشاعر ان يأتي بهذا الحشد فيتكلف لذلك تكلفاً كبيراً •
ولابد من القول ان الشَمَرِيّ ما زال معروفاً مستعملاً في بعض
لهجات القرى في العراق ولا سيما في المواطن الوسطى •

٧٧ - دول

قال المتنبي :

بِكُلِّ مُنْصَلَةٍ ما زالَ مُنتَظِرِي
حتى أدلّتْ له من دَوْلَةِ الخَدَمِ

من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

ضيف أَلَمَ برأسي غيرَ مُحْتَشِمٍ
والسيفُ أحسنُ فِعْلاً منه باللَّحْمِ

اللفظ والشرح :

يقول : لأترككنّ الحرب قائمة بكل رجل ماضٍ في الأمر طالما انتظر
خروجي على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لا يستحقّون
الامارة وعنى بها الأتراك الذين تملّكوا بالعراق •

ويقال : ادَلْتُ له من فلان اذا أعنته عليه حتى جعلت له الدولة •

تعليق :

قالوا : الادالة : العلكبة • وأدالنا الله من عدونا : من الدولة •
يقال : اللهم أدلني على فلان وانصري عليه •

وفي حديث ثقيف : نُدالُ عليهم ويُدالون علينا ، الادالة : الغلبة •
ويقال : أدل لنا على أعدائنا أي نصّرنا عليهم وكانت الدولة لنا ، والدولة :
الانتقال من حال الشدة الى الرخاء •

وقال الحجاج : يوشك ان تدال الارض منا كما أدلنا منها أي
يُجعل لها الكرّة فتأكل لحومنا كما أكلنا ثمارها وتشرب دماءنا كما
شربنا مياهها •

أقول والفعل أدال من « الدولة » وهي الانتقال كما ذكروا ولعلها
أقرب الى « الدورة » أي الدوران وفي الدوران انتقال ، ولذلك قالوا :
« الايام دول » أي انها تنتقل من قوم الى قوم ومن حال الى حال •
ثم تجاوزت الكلمة فكرة الانتقال والتحول الى الغلبة التي يؤدي اليها
التحول والانتقال •

٧٨ - دون

قال المتنبي :

ولست بدونٍ يترتجى الغيثُ دونَه

ولا مُنتهى الجودِ الذي خلفَه خلفُ

من قصيدة يمدح فيها أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي
ومطلعها :

لِجَنِيَّةٍ أم غادةٍ رفيعَ السجف

لو حُشِيَّةٍ لا ما لو حُشِيَّةٍ شنفُ

اللفظة والشرح :

أي لست بقليل من الرجال ولا صغير المقدار ، يقال : هذا رجلٌ « دون »
ورأيت رجلاً دوناً ومررت برجلٍ دونٍ •

يقول : لست خسيساً فيرتجى الغيثُ دونَه ، ولا تترتجى أنت
وليس وراءك للجود منتهى والمعنى : ان الجودَ مقصور عليك لا يترتجى
الجود دونك ولا يتجاوز عنك •

تعليق :

ان كلمة « دون » في الأصل نقيض فوق ، وهو تقصير عن الغاية ويكون
ظرفاً • ومن هذا المعنى الظرفي توسعوا فاخذوا معنى الخسة التي هي قريبة
مما هو في أحطّ الدرجات السفلى ، وقال الشاعر :

اذا ما علا المرءُ رامَ العلاءَ ويَقْنَعُ بالدونِ من كان دونا

وفي هذا إشارة الى الخسة والتقصير والقلّة •

ولم يشتقوا فعلاً من هذا الظرف • وعلى كل حال فسبيل العربية في
إيجاد المواد سبيل واسع متعدد النواحي •

٧٩ - دير

قال المتنبي :

أَسأَلُهَا عن المُتَدِيرِهَا فلا تُذْري ولا تُذْري دُموعا

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي ومطلعها :

مِثْلُ ثُ القَطْرِ أعطَشَهَا رُبوعا وإلا فاسقِها السُمُّ النقيعا

اللفظة والشرح :

أسأَلُهَا عن الذين اتخذوها داراً اين ذهبوا فلا تدري ذلك ولا تساعدني
على البكاء •

تعليق :

لقد عاب النقاد والحاقدون عليه قوله « المتديريها » وعدوا ذلك من سقطة ، والى ذلك أشار صاحب بن عباد في كتابه « الكشف عن مساوى المتنبي » •

ولقد حسبوا هذا التوليد في هذه الكلمة من التزويد والتكلف ، وكأنهم قالوا انه خطأ وتوليد لم يسمع •

أقول : جرى المتنبي في توفير مادته بجرأة نادرة في بعض الأحيان ، فقد شعر أنه يملك من مواد اللغة ما يستطيع ان يفخر به ، وكأنه أتاح لنفسه لتوفر هذه السعة والاحاطة فيه ان يولد ما يريد فكان « المتديريها » وكان قوله « خنثى الفحول » كما أشرنا الى ذلك وكانت أشياء أخرى مما سيكشف عنها الاستقراء •

حرف الذال

٨٠ - ذعلب

قال المتنبي :

لم يتركوا لي صاحباً غير الأسى وذميل ذعلبة كفحل نعام
من قصيدة قالها سنة احدى وعشرين وثلاثمائة برأس العين وقد أوقع
سيف الدولة بعمر بن حابس من بني أسد وبني ضبة ولم ينشده ايها فلما
لقيه دخلت في جملة مديحه ومطلعها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَابِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتْ حَمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حَمَامِي

اللفظ والشرح :

ذِعْلِبَة : ناقة سريعة •

يقول : فارقوني فصاحبت بعدهم الحزن وسير ناقة كالظليم في سرعتها •

تعليق :

كان الشاعر ذا ولوع بالغريب فهو يستحضره من اوابد الادب الجاهلي
والأدب الاسلامي ويعيده مادة جديدة حافلة بحياة جديدة في زمن تبدلت فيه
الشخص والاعلام من بداوة وحضارة •

قد تكون غرائبه متأتية بسبب القافية كأن يبنى قصيدة على قافية
شروذ فتأتي الناووس والدعيس والتقييس وجالينوس والمجوس وطرسوس
وغير ذلك وكأن تكون القافية « زاء » فيأتي ب : أبرواز وهوّاز ونحاز
وأقواز والكناز والخاز باز •

ولكنه لا يأتي بهذه الغرائب بسبب من أنه اضطر اليها اضطرارا كالذي يحدث من امر القافية ، بل يقذف بالغريب النافر الذي يتعد كل البعد عن الحضارة فيأتي بما هو أشد لصوقاً بالبداوة وتصويراً لها • ومن هذا قوله : « ذميل ذعلبة » ، فقد كان في طوقه أن يستبدل بالذعلبة هذه مادة أخرى مما يعرفه الجمع الكثير كأن يقول « وذميل ناجية » ولكنه لم يفعل ذلك حباً منه لهذا المعين الثر من الفاظ البادية وأدواتها • وهو يخاطب كافوراً هاجياً له قائلاً « فياهرميل الدنيا » •

ولم أجد في كتب اللغة « الهرميل » هذا والذي نعرفه من هذه المادة : هَرْمَلَتِ العجوز أي بليت من الكبر •

وكان يقول : « سَدِكت بصرف الدهر طفلاً ويافِعاً » وهو يريد لزمته وولعت به •

وكان يقول أيضاً : صحبت ملوك الارض مغتبطاً بهم • وفارقتهم مَلَان من شَنَفٍ صدرأ •

والشنف محركة بغض •

أقول : كان يمتلك اللغة امتلاك رواتها وعلمائها وكأنه أحدهم ومن اجل ذلك كان شعره ملاك العربية •

٨١ - ذفر

قال المتنبي :

شَدُّوا بَابِنِ اسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فِصَافَحَتْ

ذَفَارِيهَها كِيرَانِها وَالنَّمَارِقَ

من قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي ومطلعها :

هو البين حتى ما تَأَنَّى الحَزَائِقُ

ويا قلب حتى أنت ممن أفارق

اللغة والشرح :

يقول : غَتَّوا يمدح ابن اسحاق فنشطت الابل ورفعت رءوسها حتى ضربت بأقفاها رِحَالِها ونَمَارِقَها •

والذفاري : جمع الذفرى وهو ما خلف الأذنين ، والكيران جمع الكور وهو الرحل ، والنمارق جمع نمرقة وهي الوسادة تحت الراكب •

تعليق :

قلت ان تعلُّقه بالبيئة البدوية ملازم له فاذا أراد ان يمدح فلا بد من حضور الصورة القديمة التي تقتضى السير والرحلة ، وهو صائر من غير شك الى ان يهيىء نفسه باتخاذ ما يلزم من مواد الرحلة كالجواد أو الناقة ولا بد ان يهيىء الرحل ويعد آلة الرحيل فيأتي على اجزائها وما يتصل بذلك • وهو ايضاً صائر الى مثل هذا إن رثى أو هجا أو رجع الى نفسه مخاطباً مناجياً •

٨٢ - ذكو

قال المتنبي :

ومن عاتقِ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ له

أَسِيلَةٌ خَدٌّ عن قليلٍ سَتْلَطُمُ

صُفُوفاً لِلْيَيْثِ في ثِيوثٍ حُصُونُها

مُتَوْنُ المَذَاكِى وَالْوَشِيحُ الْمُتَقَوَّمُ

من قصيدة يمدح فيها عمر بن سليمان الشرايى وهو يومئذ يتولّى القضاء بين الروم والعرب ومطلعها :

نَرَى عِظْماً بِالْبَيْنِ وَالصَّدْءُ عَظَمُ

وَتَسْهَمُ الْوَاشِيْنَ وَالدمع منهم

اللغة والشرح :

أثرت أن أثبت البيتين لعلاقة الثاني بالاول •

يريد جارية عاتقاً اي شابة بكرة ، والنصرانة تأنيث نَصْرَانٍ ان برزت للممدوح أي خرجت عن سترها لأنها سُبِيَتْ فهي تَلَطَّم وتهان وان كانت حسنة الخد •

ثم يقول : برزت صفوفاً لان « عاتق » وهنا في معنى جماعة كما تقول : كم من رجلٍ جاءني ، والمذاكي الخيل المُسَيَّتَة جمع المَذَكِّي •

تعليق :

لعل المتنبي أحسن من وصف الحرب لانه ادرك بيئة الحرب وما يلزمها من أدوات هي أدوات البيئة القديمة من خيل وركاب ورجال وسيوف ورماح وما يتصل بهذه الحال •

لقد حفل شعره بهذه المواد فاستحضرها من مادة قديمة لا يلزم بها الا فئة خبرت الأمر ان شبت الوغى ودارت رحاها •

وانت تستطيع ان تصنف في مادة الخيل وما يتصل بها ان استقرت شعر المتنبي وصحبته في وقائع ومسيرته الطويلة •

٨٢ - ذيم

قال المتنبي :

وقبضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وعزُّ وقبضُ نَوَالِ بَعْضِ القومِ ذامٌ

من قصيدة يمدح فيها المغيث بن علي بن بشر العجلي ومطلعها :

فؤادٌ ما تُسَلِّيهِ المُدَامُ وعُثْرٌ مثل ما تَهَبُّ اللئامُ

اللغة والشرح :

الذام : العيب ، قال عوف القوافي :

أَلَمْتُ خُنَاسٌ وإِلَامُهَا أَحَادِيثُ نَفْسٍ وَأَسْقَامُهَا

ومنها :

يَرُدُّ الكَتِيبةَ مفلولةً بها أَفْنُهَا وبها ذامُهَا

تعليق :

قالوا : الذام هو العيب ومثله الذَيْمُ أي العيب ايضاً ، ولعلي أقرب بين هذين وبين المضعف « ذم » لأشير الى ان الجميع مادة واحدة وكثيراً ما تنتقل من المضعف الى المعتل الاجوف كثيراً والى المعتل الناقص قليلاً والمعنى واحد أو متشابه مثل الضرّ والضير والغبّ والغيب والغياب •

ونظير الذامُ والذَيْمُ والعابُ والعَيْبُ • وفي المثل : لا تعدّم الحسناءُ ذاماً •

وقالوا ذامه يذريه ذيماً وذاماً بمعنى عابه •

وقد ورد الفعل في قول المتنبي :

ونذيمهم وبهم عَرَفْنَا فضله وبضدّها تَبَيَّنَ الاشياءُ

٨٤ - رأي

قال المتنبي :

لا خَلَقَ أَسْمَحُ مِنْكَ الا عارفٌ
بك راءَ نَفْسِكَ لم يَقُلْ لك هاتِها
من قصيدة يمدح فيها أبا أيّوب أحمد بن عمران ومطلعها :
سَرُبٌ محاسِنُه حُرِمَتْ ذَوَاتِها
داني الصفاتِ بعيدٌ موصوفاتها

اللمغة والشرح :

راءَ مقلوب رأي كما قالوا ناءَ ونأى .

يقول : لا أحد أسح منك الا انسان رأك فعرفك فلم يسألك ان
تَهَبَ له نفسك .

تعليق :

أقول : راء مقلوب رأي وهذا حاصل في طائفة من الافعال الثلاثية ،
وقد مثل الشارح بالفعل « ناء » و « نأى » . وأود ان أضيف شاء وشأى
مع فارق ضئيل في المعنى ومثله « آن » و « أنى » وغير ذلك .

وقد استعمل المتنبي الفعل المقلوب « راء » غير مرة ، فقال :

كيف تَرثي التي تَرى كل جَفْنٍ راءَها غيرَ جَفْنِها غيرَ راقِي
وقال ايضاً :

يضيقُ على من راءَه العُذْرُ أنْ يَرى

ضعيفَ المساعي أو قليلَ التكرُّم

وما أظن ان ما يقتضيه وزن الشعر جعل الشاعر يستعمل هذه الصيغة
بدلاً من الصيغة المشهورة ، ولكن السعي الى الابنية النادرة دفعه الى ان
يسلك هذا المسلك .

ومن المفيد ان أشير الى استعماله « رأى » اي أصاب رءته مثل عاتته
اي أصاب عينه وبَطَنُه أصابَ بطنه ومثله شيء آخر ، وهو قوله :
لَأَكْبِتَ حاسداً وأَرىَ عدواً كَأْتِها وداعُك والرجيلُ
من قصيدة مطلعها :

رَمُوْيدُك أَيُّها الملك الجليلُ تَأَنُّ وعُدَّةُ مَسائيلُ
الشرح :

يقول : جُدْ بالمقام لأَكْبِتُ من يحسدني قربك وأُوجع رئةَ عدوي
ثم شبه الحاسد والعدو بوداعه وارتحاله لآتِها يُنْكِيان في قلبه ويوجعانه .
تعليق :

أقول : ان قوله « وأرى عدواً » اي أصيب واوجع رئةَ العدو من
العربية التي ذهبت في الاشتقاق مذهباً بعيداً ذلك ان في العربية أفعالا تتصل
بكل عضو من اعضاء خلق الانسان تفيد اصابتها . ولعل هذا بسبب الحاجة
ذلك انهم يتعرضون في حياتهم للضرب في حروبهم وأيامهم . ولا تنفأ اسلوب
العيش القديم اتفت الحاجة الى ذلك الكلم .

٨٥ - ربحل

قال المتنبي :

رَبْحَلَةٌ أَسْرَرِ مَتَبَلُّها سَبَحَلَةٌ أَيْضُ مَجَرَّدُها
من قصيدة قالها في صباه يمدح محمد بن عبيدالله العلوي ومطلعها :
أهلاً بدارِ سَباكُ أَعِيدُها أبعَدُ ما بانَ عنكَ خَرَدُها

الرَّبْحَلَةُ والسَّبْحَلَةُ من نعوت النساء وهي الجسيمة الطويلة العظيمة ، قالت امرأة من العرب تصف بنتها :

رَبْحَلَةٌ سَبْحَلَةٌ تَنْبِي نَسَاءَ النَّخْلَةِ

والمُتَقَبِّلُ : موضع التقيل وهو الشفة وتُحْمَدُ فيها السمرة كما قال ذو الرمة :

لَمِئَاءَ فِي شَفَتَيْهَا حَوَّةٌ لَعَسَ فِي الثَّلَاثِ وَفِي أُنْيَابِهَا شَنْبُ
وَالْمُجَرَّدُ حيث تجرَّد من بدنِها أي تُعَرِّى مِنَ الثَّوبِ ، وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون .

وخصَّ المجرَّد وهو الأطراف لأنَّه إذا ابيضَّ المجرَّد وهو الذي يُصِيبُه الريح والشمس ويظهر للرائين كان سائر بدنِها أشدَّ بياضاً .

تعليق :

الرَّبْحَلُ : التارُّ في طول ، وقيل التام .

الليث هو سَبْحَلُ رَبْحَلٍ إذا وصف بالترارة والنعمة . وجارية سَبْحَلَةٌ رَبْحَلَةٌ : ضخمة لحمة جيدة الخلُق في طول أيضاً .

وقد جاء في مادة « سبجل » قول بعض نساء الأعراب وهو المذكور في « الشرح » . وهذا الرجز هو الشاهد الوحيد الذي ورد في كتب اللغة ثم جاء المتنبي فاستعمل الكلمتين « رَبْحَلَةٌ ، سَبْحَلَةٌ » جرياً على دأبه في إحياء هذه الأوابد .

قال المتنبي :

هَذَا بَرَزَتْ فَهَجَّتْ رَسِيماً ثُمَّ انصَرَفَتْ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيماً
وهو مطلع قصيدة يمدح فيها محمد بن زُرَيْقِ الطرسوسي .

اللفظة والشرح :

قال ابن جني : أي يا هذه ناداها وحذَفَ حرف النداء ضرورة . وقال أبو العلاء المعري : هذي موضوعة موضع المصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنَّه يقول :

هذه البرزة برزت لنا ، كأنَّه يستحسن تلك البرزة الواحدة ، وأنشد :

يَا ابْنِي إِمَّا سَلِمْتَ هَذَا
فَاسْتَوْسِقِي لَصَارِمٍ هَذَا
أَوْ طَارِقٍ فِي الدَّجْنِ وَالرَّذَاذِ

يريد : هذه الكرَّةُ ، وهذا تأويل حسن لا ضرورة فيه ولا حاجة معه إلى الاعتذار .

والرئيس والرَّسَّ مَسَّ الحُمَى وأولها وهو ما يتوَلَّدُ منها من الضعف . والرئيس مارس في القلب من الهوى أي ثَبَّتَ ومنه قول ذي الرمة :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمَجْبِينَ لَمْ يَكْدِ

رئيس الهوى من ذكر مَيَّةَ يَبْرَحُ

وهذا هو المراد في بيت المتنبي . والنسيس بقية النفس بعد المرض والهزال .

يقول : برزت لنا فحرَّكت ما كان في قلبنا من هواك ثم انصَرَفَتْ عَنَّا وَلَمْ تَشْفِنِي بَقَايَا نَفُوسِنَا الَّتِي ابْقَيْتِ لَنَا بِالْوَصَالِ .

تعليق :

قالوا : الرئيس مارس في القلب من الهوى أي ثبت .

أقول : وما زال العامة في العراق يستعملون الرئيس (بكسر الراء) للدلالة على الاصل الثابت أو الخصلة الموروثة ، وأكثر استعمالهم لهذه الكلمة في الموروث الشرير أو الفاسد من الطبع والخلق .

قال المتنبي :

تَقْنَصُ الْخَيْلَ خَيْلَهُ قَنْصَ الْوَحْشِ
وَيَسْتَأْسِرُ الْخَيْسَ الرَّعِيلُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقد بعث إليه هدية الى العراق ومالاً دفعةً بعد دفعة في شوال سنة ٣٥١ ومطلعها :

مَا لَنَا كُلُّنَا جَوٍّ يَا رَسُولَ
أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَتَبُولُ

اللغة والشرح :

يقول : خيله تصيد الخيول كما تصيد الوحش ، والقليل من جيشه يأسر الجيش الكثير . والرعل القطعة من الخيل ، والخيس الجيش الكثير الذين هم خمس كتائب القلب والجناحان والمقدمة والساقة .

تعليق :

جاء في كتب اللغة : الرعل اسم كل قطعة متقدمة من خيل وجراد وطير ورجال ونجوم وإبل وغير ذلك . وشاهد الرعل للابل قول الفحيف العقيلي :

أَتَعْرِفُ أَمْ لَا رَسْمَ دَارٍ مُعْطَلًا مِنْ الْعَامِ يَغْشَاءُ ، وَمِنْ عَامٍ أَوْ لَا
قَطَارٌ وَتَارَاتٍ حَرِيقٌ ، كَأَنَّهَا مَخْلَّةٌ بَوٍّ فِي رَعِيلٍ تَعَجَّلًا
قال ابن سيده : والرعل كالرعلة ، وقد يكون من الخيل والرجال ، قال عنتره :

إِذَا لَا أَبَادَرُ فِي الْمَضِيقِ فَوَارِسِي أَوْ لَا أَوْكَلُ بِالرَعِيلِ الْأَوَّلِ
ويكون من البقر ، قال :

تَجَرَّدُ مِنْ نَصِيَّتِهَا نَوَاجٍ كَمَا يَنْجُو مِنَ الْبَقَرِ الرَّعِيلُ
والجمع أراعال ، وجع الجمع أراعيل .

وقال بعضهم : يقال للقطعة من الفرسان رعلة ، ولجماعة الخيل رعل .
وفي حديث علي - رضي الله عنه - : سراعاً الى أمره رعيلاً أي
ركاباً على الخيل .

أقول : وما زال شيء من « الرعل » هذه معروفاً في عربيتنا المعاصرة ولكنها انصرفت للفرقة القليلة العدد من الناس ، وورودها في الاستعمال قليل .

قال المتنبي :

يُرْعِيكَ سَمْعاً فِيهِ اسْتِمَاعٌ إِلَى الدَّاعِي وَفِيهِ عَنِ الْخَنَاءِ صَمَمٌ
من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التتوخي ومطلعها :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهَرَمُ أَحَدْتُ شَيْءٍ عَهْدًا بِهَا الْقِدَمُ
اللغة والشرح :

يقال : أَرَعَيْتُ سَمْعَكَ أَيِ اسْتَمَعْتُ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ اجْعَلْ سَمْعَكَ
لكلامي بمنزلة الموضع الذي يُرْعَى فِيهِ وَيُتَصَرَّفُ .
يقول : هو يسمع صوت من يدعوهُ وَيَسْتَفِثُ بِهِ وَهُوَ كَالْأَصَمِّ عَنْ
الْفَحْشِ .

تعليق :

قالوا : وَأَرَعَيْتُ سَمْعَكَ وَرَاعَيْتُ سَمْعَكَ أَيِ اسْتَمَعْتُ إِلَيْهِ .
وَأَرَعَيْتُ فَلَانًا سَمْعِي إِذَا اسْتَمَعْتُ إِلَى مَا يَقُولُ وَأَصْغَيْتُ لَهُ .
وَأَرَعَى إِلَيْهِ : اسْتَمَعَ .

وأنت ترى ان الأصل « الرعي » فكأن الذي تستمع إليه وتصغي له
تجعل له من سمعك ما تجعله من أرضك التي يرعى فيها ويتصرف .
وهذا يعني ان البيئة العربية البدوية القديمة هي مادة لغتهم منها تصرفوا

وأريد ان أقف الدارس على نمط من المجاز الجديد الذي يرد في لغتنا المعاصرة ، وما أكثر هذه المجازات الجديدة التي أضيفت الى العربية الحديثة مترجمة منقولة من لغات أعجمية غربية • ومن هذه المجازات الجديدة قولهم : « أعيرني سمعك أو أذنك » • ولم تعرف العربية الفصيحة في عصورها الفاتية هذا المجاز أو قل هذه الاستعارة • ان استعارة السمع أو الأذن بمعنى الاصغاء وطلب الاستماع شيء منقول عن لغة أعجمية غربية ففي الفرنسية مثلاً يقولون مثل هذا •

وأنت تدرك الفرق بين « إعارة السمع » وهو مصطلح وأسلوب مأخوذ من بيئة فيها تجارة وربح وبيع وإعارة وإجارة وبين « إراء السمع » فتشوف نفسك الى بيئة الراعي القديم في أرضه مع إبله ينتقل من مرعى الى آخر •

٨٩ - رغل

قال المتنبي :

تَخْدِي الرِّكَابُ بِنَا بِيضاً مَشَاغِرُهَا

خُضْرًا فَرَاثِنُهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَنْمِ

من قصيدة للشاعر قالها بعد خروجه من مدينة السلام يذكر مسيره من مصر ويكرثي فاتكاً وانشأها يوم الثلاثاء لتسع خلكون من شعبان سنة ٣٥٢ ومطلعها :

حَتَامَ نَحْنُ نَسَارِي النِّجْمَ فِي الظُّلَمِ

وَمَا سُورَاهُ عَلَى خَفٍّ وَلَا قَدَمِ

اللغة والشرح :

تسير الابل بنا وهي بيض المشافر باللغام ، وقال ابن جنّي لأنها لا تشرك ترعى لشدة السير خُضْرَ الفراسين لأنها تسير في هذين النبتين ، والفرسن لحم خف البعير •

تطبيق :

أقول : لم يشأ شارح الديوان أن يشرح الرُّغْل ولا اليَنْم وكلاهما نبت ، ويبدو أنهما كانا معروفين في عصره فلا حاجة الى شرح يبين حقيقتهم الرُّغْل : ضَرْبٌ مِنَ الحَمْضِ ، والجبع أرغال ، قال أبو حنيفة : الرُّغْل حَمْضَةٌ تنفرش وعيدانها صِلَابٌ ، وورقها نحو من ورق الحماحم (١) الا أنها بيضاء ومنابتها السهول ، قال ابو النجم :

تَظَلُّ حِفْرَاهُ مِنَ التَّهْدِثِ فِي رَوْضِ ذَقْرَاءَ وَرُغْلٍ مُخْجَلٍ
قال الليث : الرُّغْل نبت تسميه الفرس السَّرْمَقُ وأنشد :

بَاتَ مِنَ الْخُلُصَاءِ فِي رُغْلٍ آغَنَ

قال ابو منصور : غَلِطَ الليث في تفسير الرُّغْل أنه السَّرْمَقُ ، والرُّغْل من شجر الحمض وورقه مفتول ، والابل تُحْمِضُ به ، قال : وأنشدني أعرابي ونحن بالصمّان :

نَرَعَى مِنَ الصِّمَّانِ رَوْضاً أَرَجَا وَرُغْلاً بَاتَتْ بِهِ لَوَاهِجَا
وأرغلت الأرض : انبت الرُّغْل •

والينمة : شبة طيبة اذا رعتها الماشية كثر رغوّة ألبانها مع قلة • ابن سيده : اليَنْمَة نبتة من احرار البقول تنبت في السهل ودكادك الارض ، لها ورق طوال لطاف مُحْدَبُ الاطراف ، عليه وَبَرٌ أغبر كأنه قطع الفراء وزهرتها مثل سنبله الشعير وحبها صغير • وقال أبو حنيفة : الينمة ليس لها زهر ، وفيها حب كثير ، يسمن عليها الابل ولا تغزّر •

أقول : نحن في هذا العصر عصر العلم أحوج الى شيء من ضبط وتدقيق يتناول المواد تناولاً وافياً فلا يدع شيئاً منها ، والذي ذكره ابن سيده وابو حنيفة كان على نحو ما يتناول عالم النبات في عصرنا فقد افاضا في وصف النبات وأتيا على كثير من الخصائص المميزة •

(١) الحماحم : ريحانة معروفة باطراف اليمن وليست ببرية وتعظم عندهم . وقد أخطأ ناشر « اللسان » فائبتها بالجيم في مادة « رغل » .

قال المتنبي :

وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نَضَدَتْ بِهَا هَامَ الرِّفَاقِ تَلُولًا
من قصيدة يذكر فيها منازل بدر بن عمار للأسد ومطلعها :
في الخد أنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودَ مُحُولًا

اللفظ والشرح :

الأردن نهر معروف ، ونَضَدَتْ : وضعت بعضه على بعض *
يقول : كان هذا الأسد بليّةً وقعت على أهل هذا النهر فأكثر قتل
الرفاق في السفر وهي جمع رُفُقَة حتى ترك رءوسهم كالتلول المجتمعة من
التراب ، واستند الفعل الى البلية وهي الأسد *

تعليق :

أقول : ذكروا ان « الرُفُقَة » جمع رفيق والصحيح انها اسم جمع
للفريق والجمع رُفُق بضم وفتح ورفاق بكسر الراء *
والرفاق بكسر الراء جمع رفيق أيضاً وهذه هي التي بقيت في عريتنا
المعاصرة ، وتكاد هذه العربية الحديثة لا تعرف « الرُفُقَة » الا أنها مصدر
أو اسم مصدر للفعل « رافق » وكان معنى الجمع قد زال عنها وتجردت
الى الاسمية *

قال المتنبي :

يروع ركانةً ويذوب ظرفاً فما يَدْرَى أَشَيْخٌ أَمْ غَلَامٌ
من قصيدة يمدح فيها المغيث بن علي بن بشر العجلي ومطلعها :
فَوَادٌ مَا تَسْلِيهِ الْمَدَامُ وَعُمُرٌ مِثْلُ مَا تَهْبُ اللَّامُ

اللفظ والشرح :

يروع : يفرع ، والركانة الوقار ورجل ركن أي وقور * يعني أنه
جمع بين وقار الشيوخ وظرافة الفتيان *

تعليق :

قالوا : ورجل ركن : رَمِيز ، وقور ، رزين ، بَيِّن الرّكانة ، وهي
الرّكانة والرّكانية * ويقال للرجل اذا كان ساكناً وقوراً : إنه لركن ، وقد
ركن ، بالضم ركّانة *

أقول : على ان المادة « ركن » معروفة بالفعل والاسم الذي هو
« ركن » بالضم لا تعرف لغتنا الحاضرة هذه الفائدة المعنوية والمجازية في
هذه الكلمة * وفي احياء هذه المادة بهذا المعنى فائدة ، ذلك أنها تشتمل على
خصوصية في المعنى لا نجدها في لفظة واحدة وهي السكون والوقار *

قال المتنبي :

أركائب الأجباب انْ الادْمَعَا

تَطِسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطِسُنَ الْيَرْمَعَا

والبيت مطلع قصيدة يمدح فيها عبدالواحد بن العباس بن ابي الأصبع
الكاتب *

اللفظ والشرح :

الركائب جمع الرّكوب وهي ما يركب ، وتَطِسُ تَدُقُّ ، والوَطَسَ
الدَّقَّ ، واليَرْمَعُ حجارة رخوة *

تعليق :

قالوا : اليَرْمَعُ هو الحصى البيض تَلَالُؤُا في الشمس ، وقال رؤبة
يذكر السراب :

ورَقَرَقَ الْأَبْصَارَ حَتَّى أَفْدَعَا بِالْبَيْدِ إِقْبَادَ النَّهَارِ الْيَرْمَعَا

قال اللحياني : هي حجارة ليّنة رقائق بيض تلمع * وقيل : هي حجارة
رخوة ، والواحدة من كل ذلك يَرْمَعَة * ويقال للمغموم : تَرَكَّته يَفْتُ
اليَرْمَعَا *

وفي مَثَل : كَفَّمَا مُطَلَّئَةً تَفَّتْ الْيَرْمَعَا

يضرب مثلاً للنادم على الشيء .

أقول : وقد أتيت على طائفة من الالفاظ التي تأتي على وزن المضارع عدا تلك التي تفيد التفاؤل او الدعاء بالبقاء مثل يزيد ويعيش ويعمر ونحو ذلك ، فوجدت ان الغالب فيها أصول يمانية مثل يعرب ويشجب ويحمر ويشرب وينعب وتغلب وغير ذلك .

٩٢ - رمي

قال المتنبي :

وما أَرَمْتُ على العشرين سِنِّي فكيف مَلِيتُ من طول البقاء
من قصيدة خاطب فيها محمد بن اسحاق الذي بلغه أن ابا الطيب هجاه
وانما هُجِّيَ على لسانه فعاتبه محمد بن اسحاق فقال ابو الطيب مجيباً :

أَتُنَكِّرُ يا ابنَ اسحاقٍ إخائي وتَحْسِبُ ماءَ غيري من إنائي

اللمعة والشرح :

أي ما زادت سنو عمري على العشرين فكيف أمَلْتُ طول البقاء
بالتعرض لهجائك .

تعليق :

أقول : أَرَمْتُ هي أَرَبْتُ فابدل من الباء الأصلية ميماً . وهذا
الاببدال قديم وقد وردت على لغة الابدال هذه أخبار نستطيع ان نتخذ منها
شواهد في هذه المادة نفسها .

قالوا : ورَمَى على الخمسين رَمِيّاً وأَرَمَى : زادَ . وكلُّ ما زاد
على شيء فقد أرمي عليه كما يقال : أَرَبَى والرماء بالفتح والمد : الرِّبَا .
قال المياني : هو على البَدَل .

وفي حديث عمر : لا تبيعوا الذهب بالفضة الا يَدَأُ بيد هاء وهاء اَنِي
أخاف عليكم الرِّمَاء ، قال الكسائي : هو بالفتح والمد . قال أبو عبيد : أراد
بالرماء الزيادة بمعنى الرِّبَا .

قال حاتم :

وَأَسْمَرَ خَطِيئاً كَانَ كَعُوبِهِ

نَوَى الْقَسْبَ قَدْ أَرَمَى ذِرَاعاً عَلَى الْعَشْرِ

أي قد زادَ عليها .

أقول : لم يشأ المتنبي ان يستعمل الفعل « أَرَبَى » بالباء على الأصل ،
بل لجأ الى « أَرَمَى » على البديل اتباعاً للحديث وللمأثور من الشعر
القديم ، ولا أريد ان أقول إنه لو استعمل الصورة الأخرى لجانب الفصاحة ،
ولكنني أشعر ان المتنبي كان يتوخى الصور والابنية التي لا يعرفها الا خاصة
الناس من أهل العلم .

٩٤ - رهش

قال المتنبي :

يُدَمِّي بَعْضُ أَيْدِي الْخَيْلِ بَعْضاً وما بعْجايةً أَثَر ارتِهاش
من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحسين بن علي بن حمدان ومطلعها :
مَكَيْتِي مِنْ دَمِ مَشَقٍّ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاهُ لِي بِحَرٍّ حَشَايَ حَاشِي

اللمعة والشرح :

العجاية عَصَبَةٌ في اليد فوق الحافر ، والارتِهاش اصطكاك اليدين
حتى تنعقر الرواهش وهي عَصَبُ الذراع .

يقول : ازدَحَمَت الخيل عاديةً بين يَدَيْهِ في سوق انطاكية فدَمَّتْ
أَيْدِي بعضها أَيْدِي بعض ولم يكن ثمَّ ارتِهاش ، ويجوز ان تكون التدمية
من دماء القَتْلَى .

تعليق :

أقول : قد يقال ان القافية وهي الشين هي التي أتت بـ « الارتِهاش » ،
ولكنني أقول انه لا يضطر الى ذلك اضطراراً وذلك لانه يملك مواد ما يعرض
له من موضوعات فاذا كان الأمر يتصل بالحرب وما يدور فيها فالمتنبي شاعر

الحرب خبرها وعرف ما يتصل بها وكيف تدور وما يلزم فيها من سيف ورمح
وطعن وضرب وهو القائل :

ولا تحسبنَّ المجد زرقاً وقينةً
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضرب اعناق الملوك وأن تثرى
لك الهبوات السود والعسكر المجر

٩٥ - روح

قال المتنبي :

وتركت أتن ريحة مذمومة
وسلبت أطيّب ريحة تتضوّع
من قصيدة يرثي بها أبا شجاع فاتكاً وقد توفّي بمصر ليلة الأحد
لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ٣٥٠ ومطلعها :
الحزن يُثقل والتجمل يردّع
والدمع بينهما عصيّ طيّع

اللغة

قالوا : الريح طائفة من الريح ، سبويه قال : وقد يجوز أن يدلّ
الواحد على ما يدلّ عليه الجمع .
وحكى بعضهم : ريح وريحة مع كوكب وكوكبة وأشعر أنهما لغتان .
ويقال : ريح وريحة كما قالوا : دار ودارة .

تطبيق :

أقول : ما زالت كلمة « ريحة » معروفة في الدارجة العراقية ولا يوجد
غيرها وهي تعني رائحة في اللغة الفصيحة . والذي أراه أن المتنبي استعمل
« ريحة » كما تستعمل اليوم في لغتنا الدارجة ولم يستعملها كما وردت في
كتب اللغة .

٩٦ - روع

قال المتنبي :

ورائعها وحيد لم يرعه تباعد جيشه والمستجاش
انظر مادة (جيش) في هذا المعجم .
اللغة : يعني بالرائع أي المسدوح الذي راعهم أي أفرعهم .
تطبيق :

قالوا : الروع الفزع ، والروعة : الفزعة ، وفي حديث الدعاء :
اللهم آمين روعاتي . جسع روعة وهي المرة الواحدة من الروع الفزع .
وفي المثل : أفرخ روعه أي ذهب فزعه . وأفرخ روعه . الروع
« بالضم » موضع الروع وهو القلب . والرائع المفزع .

ولكنهم قالوا : وكل شيء يروعك منه جمال فهو رائع ، والرائع من
الجمال الذي يُعجب روع من رآه فيسرّه .
والروعة : المسحة من الجمال . وفرس روعاء ورائعة تروعك بعثتها
وصفتها .

وامرأة رائعة كذلك .

أقول : وكان « رائع » و « روعة » انصرفتا للجمال وحده في لغتنا
المعاصرة فلا تستعملان في الفزع والخوف .

٩٧ - روع

قال المتنبي :

فولت ترغ الغيث والغيث خلقت

وتطلب ما قد كان في اليد والرجل

من قصيدة يسدح دلاّر بن كسكرور وكان قد أتى الكوفة لقتال

الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب وانصرف الخارجي قبل وصول دلائر
الى الكوفة ومطلعها :

كَدَعَوَاكَ كُلُّ يَدْعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ
ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

اللفظة والشرح :

يقول ابو الفضل العروزي : قد كانوا في أمنٍ ونعمة وشبّه ما كانوا
فيه بالغيث فاستزادوا طلب الملك وجاءوا محاربين فهزموا فلما تولّوا هارين
قصدوا بأرجلهم ما كان في أيديهم من مواطنهم ونعمتهم فذلك قوله : « وتطلب
ما قد كان في اليد والرجل » •

وقال ابن فورجة : يعني انها كانت في غيث من إقطاع السلطان وإيعامه
فلما عصوا وحاربوا ثم انهزموا وولوا هارين يطلبون مأمناً وحصناً وقد
خلفت أماناً كان حاصلها لها وتطلب بأرجلها ما كان في أيديها أي تطلب
بهربها وإغذاها على أرجلها ما كان حاصلها في أيديها •

تعليق :

أقول : لقد جاء الشاعر بالفعل « أراغَ يَريغ » بمعنى يطلب ويريد •
وما أظن ان « يطلب أو يريد » يسد مسدّد « أراغ » ، ذلك ان في « الاراغة »
شيئاً من الأصل المجرد « راغ يروغ » وراغ الى كذا أي مالَ إليه سراً
وحاد • ومن هنا جاء الفعل راوغَ يراوغ ، يقال : فلان يراوغ فلاناً اذا كان
يخيد عما يديره عليه ويحايطه • وأراغه وراوغه : خادعه •

وراع الصيد : ذهب ههنا وههنا •

قال المتنبي :

شَرَفَ "يَنْطَحُ النُّجُومَ بِرَوْقِيهِ وَعِزُّهُ يُقَلِّقُ الْأَجْبَالَ
من قصيدة يذكر فيها نهوض سيف الدولة الى ثغر الحَدَث لما بلغه ان
الروم قد أحاطت به في جُمادى الأولى سنة ٣٤٤ ومطلعها :

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُوْنَ مَنْ تَعَالَى
هكذا هكذا وإلا فلا لا

اللفظة والشرح :

فَسَّرَ معاليه بهذا البيت فقال : شَرَفُكَ يُزَاحِمُ النُّجُومَ فِي الْعُلُوِّ
وعِزُّكَ أَثْبَتُ مِنَ الْجِبَالِ وَأَرْسَى مِنْهَا حَتَّى صَارَتْ الْجِبَالُ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ
قلقة •

والرَّوْقُ : القرن ، وكنى عن المزاحمة بالمناطحة •

ويجوز أن يريد : أن سلطانه ينفذ في كل شيء حتى لو أراد أن يُزيل
الجبال لأقلقها •

تعليق :

قالوا : الرَّوْقُ : الْقَرْنُ مِنْ كُلِّ ذِي قَرْنٍ وَالْجَمْعُ أَرَوَاقٌ ، وَمِنْهُ
شعر عامر بن فُهَيْرَة :

كَالْتَوْرِ يَحْيِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ

وفي حديث علي ، عليه السلام ، قال :

تِلْكَمُ قَرِيْشٌ تَمَنَّانِي لِتَقْتُلَنِي

فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا

فان هَلَكْتَ فَرَهْنٌ ذِمَّتِي لَهُمْ

بذاتِ رَوْقَيْنِ لَا يَعْفُو لَهَا أَثَرُ

الرَّوْقَانِ : تشية الرَوْق وهو القرن ، و اراد بها ههنا الحرب الشديدة ،
وقيل الداهية .

أقول : اراد المتنبي بالرَّوْقَيْنِ القَرْنَيْنِ على وجه الاستعارة فقد
استعارهما للمعالي على سبيل التشبيه ، وهما شيء آخر في بيتي أمير المؤمنين
علي بن ابي طالب - عليه السلام - .

ومن غير شك ان « الرَّوْقَيْنِ » أَبْهَى في الاستعمال وَأَسْنَى من
« القرنين » تلك الكلمة التي استهلكت بالشيوع .

٩٩ - ريم

قال المتنبي :

وَكَلَّمَا نَطِحَتْ تَحْتَ الْعَجَاجِ بِهِ

أَسَدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرَمِ

من قصيدة قالها في صباه :

ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ

وَالسَيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بِالِلمَمِ

اللفظة والشرح :

رَامَتْهُ : زالت عنه ولم يَزَلْ هو عنها ، وأراد رَامَتْ عنه فحذف
حرف الجر وأوصل الفعل ، والأصل استعماله بحرف الجر كقول الأعشى :

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عِنْدَنَا فَاتَّأْ بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرَمْ

والمعنى : ان الابطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو ، والنطح انما هو للكباش
ولا يستعمل في الأسود ، ولو قال : كَلَّمَا صُدِمْتُ أَوْ رُمِيتُ كَانَ أَلْيَقَ
ولكنه اراد بالنطح القتال .

١٤٨

تعليق :

ان قول الشارح : « وأراد رَامَتْ عنه فحذف حرف الجر وأوصل الفعل
والأصل استعماله بحرف الجر كقول الأعشى ... » .

أقول : ليس الأمر كما قال الشارح فليس الأصل استعمال الحرف وذلك
ان في العربية اتساعاً وقد أفاد من الاتساع المتقدمون من الشعراء فاستعملوا
الفعل على نحو ما جاء في بيت المتنبي ، قال ابن أحمر :

فَأَلْقَى التِّهَامِيَّ بِلَطَاتِهِ وَأَحْلَطَ هَذَا لَا أَرِيمُ مَكَانِيَا

كما ان بيت الأعشى لا يصدق الشارح الذي أفاد ان التعدية بـ « عن » .
وقال آخر :

هَلْ رَامَنِي أَحَدٌ أَرَادَ خَيْيَطَتِي أَمْ هَلْ تَعَذَّرَ سَاحَتِي وَجَنَابِي

قال المتنبي :

أَنَّ دُونََ التِّي عَلَى الدَّرْبِ وَالْأَحْدَبِ وَالنَّهْرِ مِخْلَطٌ مِزْيَالًا
انظر : مادة خلط (مخلط) من هذا المعجم •

اللفظة والتعليق :

جاء في حديث معاوية : أَنَّ رَجُلَيْنِ تَدَاعَايَا عِنْدَهُ وَكَانَ أَحَدُهُمَا
مِخْلَطًا مِزْيَالًا ؛ الْمِزْيَالُ بِكسر الميم وسكون الزاي : الْجَدَلُ فِي
الْخُصُومَاتِ الَّذِي يَزُولُ مِنْ حُجَّةٍ إِلَى حُجَّةٍ •

أقول : كان المتنبي قد كان عارفاً بهذا الحديث ولذلك اتخذ ما دته ارادة
للمدح وإصابة للغرض فكان له ذلك • ولم أجد شيئاً آخر عن : « المخلط
والمزّيكل » واجتماعهما في نص كأنما يقوّي أحدهما الآخر الا حديث
معاوية هذا • وكان المتنبي ايضاً أدرك هذا فاستعمله ليصل الى ما يريد •

غير أنه بسبب من القافية وما فيها من حرف التأسيس وهو الالف اضطر
ان يتسع في « مِزْيَال » ويجعلها « مزيال » •

وهذا من الشواهد التي تدل على ان الشاعر كان محيطاً إحاطة واسعة
بفرائد العربية •

حرف الزاء

١٠٠ - زور

قال المتنبي :

أَمِنْ أَزْدِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرِّقَبَاءُ
إِذْ حَيْثُ أَنْتَ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ
مطلع قصيدة يمدح فيها أبا عليّ هارون بن عبدالعزيز الأوارجي
الكاتب •

اللفظة والشرح :

يقول : أَمِنْ رِقَبَاءِكَ ان تزوريني ليلاً اذ حيث أنت ضياءٌ بدلاً من
الظلام يعني في الليل •

والمعنى : انها لكونها نوراً وضياءً لا تخرج ليلاً لان الرقباء يشعرون
بخروجها حين يرون الظلام ضياءً •

تعليق :

أود ان أقول : ان بناء « افتعل » من الفعل « زار » من الأبنية الغريبة
التي أولع بها الشاعر فصار يتوخاها ويسعى إليها ، فأنت لا تجد الا شاهداً
على هذا البناء حين تذهب في استقرائك مذهباً جاداً ، قال ابو كبير :

فدخلتُ بيتاً غيرَ بيتِ سَخَاخَةٍ

وازدَرتُ مژَدارَ الكَريمِ المِفْضَلِ

ومن المعروف في العربية ان الزيادة ان لم تفد جديداً تعميماً أو تخصيصاً
أو شيئاً فأفضل منها بناء الثلاثي •

١٠٢ - سبجل

قال المتنبي :

رَبِحْلَةَ أَسْمَرَ "مَقْبَلُهَا" سَبِحْلَةَ أَبْيَضَ "مُجَرَّدُهَا"

انظر : سَبِحْلَةَ من هذا المعجم •

تعليق : قالوا : السَبِحْلَةُ العظيمة من الابل ، وهي الغزيرة ، وجمل

سَبِحْلُ رَبِحْلُ : عظيم •

والسَبِحْلَةُ من النساء : الطويلة العظيمة ، ومنه قول الاعرابية تصف

أبنتها :

سَبِحْلَةَ رَبِحْلَةٍ تَنْمِي نَمَاءَ النَّخْلَةِ

١٠٣ - سجر

قال المتنبي :

عن أشدق مُسَوِّجَرٍ مُسَلْسَلٍ أَقْبَ سَاطِ شَرَسٍ شَمَرٌ دَلَّ

من أرجوزةٍ يصف فيها كلباً أرسله ابو علي الأوارجيّ على ظبّي

فصاده ومطلعها :

ومنزلٍ ليس لنا بسنزلٍ ولا لغيرِ الغادياتِ الهُطَلِ

اللفظ والشرح :

يقول : عن أشدق أي عن كلب أشدق وهو الواسع الشدق ،
والمُسَوِّجَرُ الذي له ساجور وهو قلادة الكلب التي فيها مسامير ،
والمُسَلْسَلُ الذي في عنقه سلسلة ، والأقْبُ الضامر ، والساطي الذي

يسطو على الصيد أي يصول عليه ، وقال ابن جني : هو البعيد الأخذ من
الأرض والشرس العضوض السيء الخلق ، والشَمَرُ دَلُّ الطويل •

تعليق :

استعمل الشاعر مُسَوِّجَرَ للكلب في عنقه ساجور وهو القلادة أو
الخشبة التي توضع في عنق الكلب ايضاً •

والمُسَوِّجَرُ اشتقاق غريب لانهم قالوا : سَجَرَ الكلب والرجل
يسجُرُهُ سَجْراً : وضع الساجور في عنقه •

وجاء في « اللسان » : وحكى ابن جني : كلب مُسَوِّجَرٌ ، وعلق
صاحب اللسان بقوله : فان صحَّ ذلك فشاذٌ نادر •

قوله : فانَّ صَحَّ يوحى أنه لم يجد غير ابن جني يحكي هذه الحكاية •
وأكبر الظن ان ابن جني وجد أبا الطيب قد استعمل الكلمة وتوسَّع في
التوليد والاشتقاق ، واستحسن ذلك منه ابن جني فراح يحكيه •

١٠٤ - سحن

قال المتنبي :

مَنْ لَبِضَ الْمَلُوكِ أَنْ تَبْدِلَ اللَّوْ

نَ بَلَوْنَ الْأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ

من قصيدة يهنئ فيها كافوراً ببناء دار بازاء الجامع الأعلى على
البركة وتحوّل إليها وطالب أبا الطيب بذكرها ومطلعها :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدْنِي مِنَ الْبُعْدَاءِ

اللفظ والشرح :

يقول : الملوك البيض الألوان يتسوّون أن يبدلوا ألوانهم بلونك وأن
تكون هيأتهم في اللون كهياتك ، والسَّحْنَاءُ : الأثر والهيئة يقال : رأيت
وعليه سَحْنَاءُ السفر ، يقول : من يكفل لهم بهذه الأمنية ثم ذَكَرَ لِمَ
تَمَتُّوا هذا فقال :

فَتَرَاهَا بَنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَانٍ نَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ الْفَقَاءِ
تعليق :

قالوا : السَّحْنَةُ (بالفتح والسكون) والسَّحْنَةُ (بفتحين)
والسَّحْنَاءُ والسَّحْنَاءُ : لِينُ الْبَشَرَةِ وَالنَّعْمَةُ ، وَقِيلَ : الْهَيْئَةُ وَاللَّوْنُ
وَالْحَالُ .

وفي الحديث ذكر السَّحْنَةِ وهي بشرة الوجه ، مفتوحة السين وقد
تكسر . والنعمة (بفتح النون) التَّعْنَمُ .
أقول : وما زالت السحنة معروفة في لغتنا المعاصرة للدلالة على لون
البشرة وخصائصها وحالتها .

١٠٥ - سدس

قال المتنبي :

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَيْلَتُنَا الْمُنُوطَةُ بِالتَّنَادِي
وهو مطلع قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التتوخي .

اللفظ والشرح :

المشهور في لغة العرب ان هذا البناء لا يتجاوز الأربعة نحو أَحَادٌ وَثْنَاءٌ
وثلث ورُبَاعٌ . وحكي نادراً انه يقال الى عَشَارٍ ومنه قول الكمي :

فَلَمْ يَسْتَرِثَوْكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالاً عَشَاراً

ولا يستعمل أَحَادٌ في موضع الواحد فلا يقال : هو أَحَادٌ أَي وَاحِدٌ ،
انما يقولون جَاؤُوا أَحَاداً أَي وَاحِداً وَاحِداً ، فَسُدَّاسٌ نَادِرٌ غَرِيبٌ ، وَأَحَادٌ
في موضع واحد خطأ ، وكذلك سُدَّاسٌ في موضع ستة .

وأكثروا في معنى هذا البيت ثم لم يأتوا ببيان مفيد موافق للفظ .

أراد الشاعر : واحدة " أم ست " في واحدة ، وست " في واحدة اذا جعلتها
فيها كالشيء في الظرف ولم تَرُدَّ الضرب الحسابي سبع ، وخص هذا العدد

لأنه أراد ليالي الأسبوع وجعلها اسماً لليالي الدهر كلها لانه كل أسبوع
يعد أسبوع آخر الى آخر الدهر .

يقول : هذه الليلة واحدة أم ليالي الدهر كلها جمعت في هذه الواحدة
حتى طالت وامتدت الى يوم القيامة وهو قوله « لِيَيْلَتُنَا الْمُنُوطَةُ »
بالتنادي .

وقالوا المراد بالتصغير ههنا التعظيم والتكبير كقول لبيد :

وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُؤَيْهِيَّةٌ تَصْفُرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
يعني الموت وهو اعظم الدواهي .

ويريد بالتنادي القيامة والله تعالى سمى يوم القيامة يوم التنادي لان
النداء يكثر فيه .

ويقول ابن جني : يريد تنادي أصحابه بما هم به ، ألا ترى الى قوله :
« أَفَكَّرَ فِي مُعَاقَرَةِ الْمَنَايَا » وعلى هذا استطال الليلة التي عَزَمَ في صباحها
على الحرب شوقاً الى ما عَزَمَ عليه .

تعليق :

كثر الحديث وطال في هذا البيت وأنا اريد الكلام على سُدَّاسٍ وحدها
ولكنني مضطر ان اعرض لهذه المادة التاريخية التي احاطت بالبيت فكان
موضوع دارسين عدة .

قالوا : سِتَّةٌ وَسِتٌّ اصلها سِدْسَةٌ وسدس .

ولابد ان أعرض طريقة الاقدمين في الوصول الى الكلمة وما اتبها
من التغييرات الصوتية فأتى على أقوالهم . قلبوا السين الأخيرة تاءً لتتقرب من
الدال التي قبلها وهي مع ذلك حرف مهموس كما ان السين مهموسة فصار
التقدير سِدَّتْ ، فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال
تاءً لتوافقها في الهمس ، ثم أدغمت التاء في التاء فصارت ست كما ترى ،
فالتغيير الاول للتقريب من غير ادغام ، والثاني للادغام .

أقول : وهذا الشرح هو طريقة القدماء في التعليل من أجل الوصول الى الابنية والصيغ المعروفة ، وفي هذه الطريقة قليل من العلم وكثير من غير العلم ذلك ان عدم معرفتهم للأصوات معرفة علمية دقيقة يؤدي بهم الى ارتكاب الخطأ والوصول الى نتائج غير صحيحة •

في قولهم هذا عن ست وأصلها سدس بعد عن العلم ومنه عدم معرفتهم بحقيقة الجهر والهمس • ان حقيقة الجهر عند سيبويه انه صفة في حروف أشبع الاعتماد في موضعها حتى منع النفس ان يجري معه حتى ينقضى الاعتماد ويجري الصوت كما في الباء والجيم وغيرها •

وحقيقة الهمس عنده في الحرف الذي ضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس • وعدة الحروف المهموسة معروفة لأهل العلم •

أقول : ان هذا التمييز بين المجهور والمهموس من الأصوات تمييز لم ينبن على علم موضوعي واضح ، فقد جهل المتقدمون من علماء اللغة ميكانيكية الصوت وكيف يخرج وما العامل في إخراجه • انهم جهلوا الاوتار الصوتية ووضعها في اخراج الاصوات وكيف يتذبذب الوتران الصوتيان فيحدث الصوت المجهور Voiced

وقد ينفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض اثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه ، فلا يتذبذب الوتران الصوتيان ، وفي هذه الحالة يحدث الصوت المهموس Voiceless

ومن نتائج الخطأ في هذا العلم المتقدم اعتبارهم الدال من الاصوات المهموسة وهو صوت مجهور في علم الصوت الحديث •

على أني لا بد لي ان أشيد بجهود المتقدمين في هذا العلم اللغوي وأنهم انجزوا فيه اشياء كثيرة موافقة لما جاء به العلم الحديث المعتمد على منجزات التكنولوجيا الحديثة • ومن غير شك ان الخليل بن احمد صاحب تلك المنجزات التي تنم عن عبقريته وتفوقه •

كلمة اخيرة :

قالوا : أخطأ المتنبي في « أحاد » لاستعماله اياها بنزلة الواحد لانهم لا يستعملونها الا بمعنى واحداً واحداً كقولهم جاؤوا أحاد أي واحداً واحداً ، ثم اشتقاقه « سداس » من « ستة » نادر غريب •

أقول : ان الشاعر على علم بكل هذا ولكنه أراد ان يقول ما يعدونه خطأً ومجافاة للصواب ليتدع جديداً وليكون رأساً في هذا السبيل ، وكأنه أدرك انه يسلك من فنون القول ما يسوغ له ان يخالف المألوف وان يأتي بجديد •

ولنا حين نؤرخ للعربية في عصرنا هذا ألا نكون ملتزمين بمقاييس الصواب والخطأ التي جرى عليها النقاد المتقدمون ذلك ان التوليد حاصل في كل عصر ، ألا ترى ان كثيراً من تلك المقاييس لم يعمل بها المتقدمون فلم يسلم الجاهليون ولا الاسلاميون مما عُدَّ بعيداً عن الصواب •

وفي الخزانة العربية مصنفات في مآخذ الشعراء المتقدمين وما صحفوا فيه من كلامهم •

١٠٦ - سدك

قال المتنبي :

ما سَدِكتْ علّةٌ بمولودٍ أكرم من تغلب بن داود
مطلع قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويرثي أبا وائل تغلب بن داود في جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة •

اللفظة والشرح :

سَدِكتْ الشئ بالشيء اذا لزمه • وروى ابن جني : « سورود » وهو المحسوم من ورد الحسنى • يقول : ما لزمته علّةٌ موروداً أو مولوداً أكرم من هذا الرجل •

تعليق :

لقد أشرت الى هذا الفعل في مادة « رِمِع » من هذا المعجم وعرضت في ذلك الموضع لولوع المتنبي بالغريب النادر من الكلم الذي التزمه التزاماً فصار منهجاً له ، وكان بداية ذلك انه أراد أن يوحى أنه مالك للعربية يتصرف فيها كما شاء •

١٠٧ - سفل

قال المتنبي :

وقالوا هل يَبْلَغُكَ الثَّرِيًّا فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ اسْتِفَالَا

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :

بقائي شاءَ ليس همُّ ارتِحَالَا وَحُسْنُ الصبرِ زَمُّوا لا الجِمَالَا

اللفظة والشرح :

اي قالوا لي حسدا له عليُّ ولي عليه ، هل يرفعُكَ الى الثريا انكاراً لأن يبلِّغني بخدمته منزلةً رفيعة ، فقلت : نعم يَبْلَغُنيها ان انحططت عن درجتي ، يعني أنه رفعه فوق الثريا فان استَفَلَّ وانحطَّ رَجَعَ الى موضع الثريا وإلا فهو أعلى درجة بخدمة الممدوح •

تعليق :

أقول : ولم يعرف « افتعل » من مادة « سَفَلَ » وهذا من مؤلَّفات المتنبي •

١٠٨ - سلب

قال المتنبي :

كَلَا الرَّجُلَيْنِ أَتَلَّى قَتْلَهُ فَأَيْشَكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ

من مقطوعة قالها في صباه وقد مرَّ برجلين قد قتلا جرّداً وأبرزاه يعجبان الناس من كبره أولها :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْدُ الْمُسْتَغِيرُ أَسِيرَ الْمَنَايَا صَرِيعَ الْعَطَبِ

١٥٨

اللفظة والشرح :

يقول : كلاهما تولى قتله اي اشتركتما في قتله فأيشكما انفرد بسلبه وهو ما يُسَلَّب من ثياب المقتول وسلاحه ، وحُرُّه جيّد ، وغلَّ أي خان ، وكل هذا استهزاء بهما •

تعليق :

قالوا : السَلْب ما يُسَلَّب ، وكل شيء على الانسان من اللباس فهو سَلْبٌ (بفتحين) والفعل سَلَبْتَه أسلبه سلباً اذا اخذت سَلْبَهُ • وسَلِبَ الرجل ثيابه •

أقول : كأنَّ السَلْب هو المسلوب وفي العربية كثير من بناء « فَعَلَ » « بفتحين » للدلالة على ما هو « مفعول » في الأصل مثل الحَلَب والجَلَب والقَنَص والهَمَل وغيره • ولعل هذه الابنية المجردة سبقت الابنية القياسية في الدلالة على ما يؤدّي بالاوزان القياسية •

ثم ان « السَلْب » في الأصل ما يُسَلَّب من اللباس ويبدو أنهم قد توسّعوا في السلب فصار يتجاوز اللباس الى غيره •

ولعل من حسن الاتفاق ان تكون مادة « سلب » هي المقابلة لمادة « لبس » •

ويحسن ان أشير الى قول الشاعر في البيت « أَتَلَّى » بمعنى تَوَلَّى وهذا مما ولده الشاعر وأحدثه فلم يؤثر أنه بُنِيَ « افتعل » من مادة « وَلَّى » •

١٠٩ - سملق

قال المتنبي :

وَلِيلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّا جَلَّتْ لَنَا

مُحْيَاكَ فِيهِ فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالِقَ

من قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي ومطلعها :

هُوَ الْبَينُ حَتَّى مَا تَأْتَى الْحَزَائِقُ

ويا قلبُ حتى انتَ ممَّنْ أْفَارِقُ

١٥٩

اللغة والشرح :

الدَجْجُوجِيّ : المظلم لا يستعمل بغير ياء النسبة ، السالمق جمع سَمَلَق وهي الأرض البعيدة الطويلة •

يقول : رُبَّ ليل مظلم كأنَّ السالمق التي كنا نقطعها أظهرت لنا وجهك حتى اهتدينا للطريق •

تعليق :

قالوا : السملق : الأرض المستوية ، وقيل : القفر الذي لا نبت فيه ، قال عماره :

يَرْمِي بِهِنَّ سَمَلَقَ عَنْ سَمَلَقٍ

وذكره الجوهري في سلق • والسملق : القاع المستوي الأملس الاجرد لا شجر فيه وهو القَرَق ، قال جبيل :

أَلَمْ تَسْلَرْ الرُّبْعَ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقْ

وهل تخبرنَّكَ اليومَ بَيْدَاءَ سَمَلَقٍ

وفي حديث علي ، رضوان الله عليه : ويصير معهدا قاعاً سَمَلَقاً •

أقول : ان « سملق » من الرباعي في العربية ، وفي أبنية الرباعي في لغتنا القديمة عجب أي عجب ذلك ان طائفة كبيرة لا اشك في أنها مصنوعة لم ترد في كلامهم •

غير ان « سملق » هذا مما صح وثبت للسعنى المشار إليه بدلالة النصوص الواضحة في معناها ونسبتها • وهو تارة ينصرف الى الاسمية وأخرى يستخدم استخدام الصفة وهو من باب الوصف بالاسم •

ومن غير شك ان « السالمق » قد دفع إليها الشاعر بسبب من القافية •

١١٠ - سوع

قال المتنبي :

تَقْرِي صَوَارِثَهُ السَّاعَاتِ عِبْطَ دَمٍ

كَأَنَّهَا السَّاعُ قَقَّالٌ وَتَزَّالُ

من قصيدة يندح فيها أبا شجاع فاتكاً الملقب بالمجنون في سنة ٣٤٨ ومطلعها :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالُ

فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنِّ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

اللغة والشرح :

العَبْطُ والعبيط : الطري من الدم ، والساع جمع ساعة •

يقول : كل ساعة تأتي عليه يجدد فيها ذبحاً كأنَّ الساعات نزل ينزلون عليه ، وقَقَّالٌ قَقَّلُوا من سَقَرٍ يعني أنه لا يطعم أضيافه الغاب بل يجدد الذبح والتحر كل ساعة فيجري دمًا عبيطاً •

وقال ابن جني : يقول هو كل ساعة يريق دمًا طرياً من اعدائه فكأنَّه يثري الساعات وكأنها قوم ينزلون عليه ، فيجعل ابن جني عبط دم من الاعداء •

تعليق :

أقول : الساعات جمع ساعة وهو جمع مؤنث صريح • أما ساع بناء « فَعَلَّ » فهو من مواد الجمع القديم الذي عرف في اسماء ثلاثية كثيرة وقد أبى اللغويون ان يعدوه من ابنية الجموع المكسرة فقالوا هو من أسماء الجمع وكأنَّ هذه الاسماء تدل على الجمع في المعنى وتعامل معاملة المفرد احياناً في الاستعمال اللغوي كأن يكون الوصف مفرداً • وقالوا ما كان مفردة بالتاء الدالة على الواحدة مثل تمرة وتر وشجرة وشجر أو ما كان مفردة منسوباً مثل يهودي ويهود كل ذلك اسم جمع سواء فيه فَعَلَّ (بالسكون) وفَعَّلَ (بفتحين) وفَعُول •

وأرى ان ما يسمى اسماء جموع إن هي الا جموع قديمة استعملها العربي القديم حين كانت لغته لغة قبائل متفرقة لم يَهَيَّأ لها ان تتوحد في عريضة عامة أو شبه عامة •

أقول : وأكبر الظن أن حفلت العربية بسبب من ذلك بطائفة كبيرة من أبنية جموع التكسير التي لا نجد نظيرها في أية لغة سامية أخرى •

ومثل ساعة وجمعها ساع من المؤنثات ساحة وساح وراحة وراح وباحة
وباح وقامة وقام وهامة وهام وغير ذلك •

١١١ - سوا

قال المتنبي :

وانما نحن في جيلٍ سَوَاسِيَةٍ
شَرٌّ على الحرِّ من سُقْمٍ على بدنٍ

من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبيد بن عبدالله بن محمد بن الخطيب
القاضي الخصيبي ومطلعها :

أفاضِلُ الناس أغراض لدا الزَمَنِ
يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطن

اللغة والشرح :

الجيل : الضرب من الناس ، وسواسية متساوون في الشر ولا يقال
في الخير والمعنى واضح •

تعليق :

قال ابن سيده : وسواسية وسواس وسواسية ، والأخيرة نادرة
وكلها أسماء جمع • وقد تكلموا كثيراً على الياء الأخيرة في « سواسية » في
انها منقلبة •

وحكى ابن السكيت في « باب رذال الناس » في كتاب « الالفاظ » :
قال أبو عمر : ويقال هم سَوَاسِيَةٌ إذا استووا في اللؤم والخسة والشر
وانشد :

وكيف تَرَجَّيْهَا وقد حالَ دُونَهَا سَوَاسِيَةٌ لا يَغْفِرُونَ لَهَا ذَنْبًا

وانشد ابن برّي لذي الرمة :

لولا بنو ذهلٍ لَقَرَّبْتُ مِنْكُمْ

الى السَّوْطِ أَشْيَاخاً سَوَاسِيَةً مُرْدَا

يقول : لضربتكم وحلقت رؤوسكم ولحاكم •

وقال الفراء : يقال هم سَوَاسِيَةٌ وسواسٍ وسَوَاسِيَةٌ والاخير بضم
السين والهمز • قال كثير :

سَوَاسٍ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَمَا نَرَى

لذي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِئٍ فَضْلاً

وقال الفراء ايضاً : يقال هم سَوَاسِيَةٌ يستوون في الشر ولا أقول
في الخير •

وفي التهذيب : ومن امثالهم « سواسية كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ » •

وقال ابن برّي : سواسية جمع لواحد لم ينطق به •

أقول : وما زلنا نستعمل « سواسية » ولكننا فقدنا هذا التخصيص
المشار إليه وهو انصرافها الى الشر فهي في استعمال أهل عصرنا للشر والخير
على السواء •

أقول : شُبارق بضم الشين بناء من الابنية القديمة التي أميتت في عريتنا المعاصرة وربما أميتت قبل ذلك بعصور .
ويجيء على هذا البناء طائفة من الالفاظ الكثيرة وأغلبها يوحى أنه موضوع .

وقد كان لي ان عرضت لهذه الابنية الموضوع في دراسة وافية .
وهذه الصيغة تكون اسماً وقد يستخدم الاسم استخدام الصفة .
قالوا : الجُخادب المسترخي البطن الغليظ . وقالوا رجل صلاب أي صلب شديد . ولو أحصيت ما جاء من هذا بمعنى الصلب الشديد والغليظ والضخم والمسترخي لخرجت منه بمعجم صغير على نحو ما صنع الصاغاني في كتابه « كتاب يفعول » و « كتاب ما جاء على فَعَالٍ » .

١١٣ - شجب

قال المتنبى :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف في الشجب
من قصيدة يرثي فيها اخت سيف الدولة الكبرى ويعزيه بها وتوفييت .
بميفارقين ومطلعها :

يا أختَ خير أخٍ يا بنتَ خير أبٍ
كناية " بهما عن أشرف النسب

اللفظ والشرح :

يقول : جرَى الخلف في كل شيء حتى لم يتفق الناس إلا على الهلاك ، وهو أن ينتهي الحيوان أن يموت فيهلك ثم قال : والخلف الحقيقي في الهلاك وهو ما ذكره في قوله .

١١٢ - شبرق

قال المتنبى :

وهزُّ أطارِ النِّومِ حتى كأتني
من السُّكْرِ في العَرَزَيْنِ ثوبُ شُبارقٍ
من قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي ومطلعها :
هو البين حتى ما تَأَنَّى الحزائق
ويا قلب حتى أنت مِمَّنْ أفارقُ

اللفظ والشرح :

يقال : ثوب شُبارق اذا كان مقطوعاً وهو واحد وجمعه شُبارق ، والهزُّ التحريك ، يعني تحريك الابل ركبائها في سرعة سيرها وذلك يمنع النوم حتى يصير الانسان من غلبة النوم مائداً بين العَرَزَيْنِ كالثوب الخلق لكثرة تمايله .

تعليق :

قالوا : ثوب مُشْبَرَق وشَبْرَق وشِبْرَاق وشُبارق (بضم الشين) وشُبارق (بفتحها) وشباريق : مقطع ممزَّق . قال امرؤ القيس :
فأدر كنهه يأخذن بالساق والنسا

كما شَبْرَقَ الولدان ثوبَ المقدَّسِ

والمقدَّس : الراهب ينزل من صومعته الى بيت المقدس فيمزق الصبيان

ثيابه تبركاً به !

جاء في « التهذيب » : قال أبو عبيد : الشاجب الهالك الآثم • قال :
« وشَجِبَ الرجل (بفتحين) يشجبُ شجوباً اذا عَطِبَ وهلك في دين
أو دنيا • وفي لغة : شَجِبَ يَشْجَبُ شجياً مثل « فَرَح » وهو أجود
اللغتين قاله الكسائي وأنشد :

لَيْلُكَ ذَا لَيْلِكَ الطويلُ كما عالجَ تبريحَ غلَّةِ الشَّجِبِ

وهذا يعني ان المتنبي جاء بأجود اللغتين •

وشَجَبَهُ الله يشجبُهُ مثل « نَصَرَ » أي اهلكه •

أقول : لم يبق من هذا الفعل في لغتنا المعاصرة الا فعل جديد في معناه
يبعيد عن معنى الهلاك • يقال : شَجَبَ الشعب ما يرمي إليه المستعمر •
بمعنى رفض واستنكر ولا اعلم لهذا المعنى وجهاً وكيف وُلِدَ •

١١٤ - شفن

قال المتنبي :

شَفَنَ بِخُمْسٍ الى مَنْ طَلَبَنَ قَبْلَ الشُّفُونِ الى نازل

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن
داود لما أسره الخارجي في كلب وقتل الخارجي في شعبان سنة سبع وثلاثين
وثلاثمائة ومطلعها :

إلى مَطَاعِيَةِ الْعَاذِلِ ولا رَأْيِي في الحبِّ للعاقِلِ

اللغة والشرح :

الشُّفُون : النظر في اعتراض •

يقول : نَظَرَنَ الى ابي وائل قبل النظر الى نازل عن ظهورهن ، يريد :
أنَّهم لم ينزلوا عن ظهورها خمس ليالٍ حتى بلغوا أبا وائل في ركضةٍ
واحدة •

شَفَنَه يشفنه مثل « ضَرَبَ » شَفَنًا وشَفُونًا وشَفَنَه يشفنه
مثل « فرح » شَفَنًا ، كلاهما نظر اليه بنؤخر عينه بغضةً أو تعجباً ، وقيل :
نظر إليه نَظَرًا فيه اعتراض •

قال الاخطل :

واذا شَفَنَ الى الطريق رَأَيْتَهُ لَهْفًا كشاكلة الحصان الأبلق

أقول : وهذا من مادته الغزيرة التي لا تجدها إلا في أقوال المتقدمين من
الشعراء • وكأن الشاعر اراد بالفعل مجرد النظر وفي اللغة سعة قال الكسائي :
شَفِنْتَ الى الشيء وشَفِنْتَ (على القلب) اذا نظرت إليه وبيت الاخطل
شيء من هذا المعنى فلا اعتراض واضح فيه ولا بغض ولا تعجب •

١١٥ - شكل

قال المتنبي :

أَحِبُّ التي في البدر منها مَشَابِهَ

وأشكو الى من لا يُصَابُ له شَكْلُ

من قصيدة يمدح فيها شجاع بن محمد بن عبدالعزيز الطائي المنبجي
ومطلعها :

عَزِيزُ أَسَى من دارِهِ الحَدَقُ النُّجْلُ

عَيَاءُ به مات المحِبُّونَ من قَبْلِ

اللغة والشرح :

المَشَابِهَ جمع شبه كالمحاسن جمع حسن والمشايع جمع شيخ ،
وقد خرج في هذا البيت من النسب الى المدح مفضلاً للممدوح بالكمال
على المعشوق في الجمال فذكر ان في البدر انواعاً من شبه الحبيبة منها الحسن
والضياء والعلو والبعد عن الناس ، ثم قال : وأشكو هواها الى من لا يوجد
له نظير ولا مثل وانما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصَّل به إليها •

الشكل في البيت يعني الشبه والمثل والنظير ، والجمع اشكال
«وشكول ، وأنشد ابو عبيد :

فلا تطلبنا لى أَيْمًا ان طلبتُما فان الأيامى لسنن لى بشكول

وقد تشاكل الشيطان وشاكل كل واحد منهما صاحبه •

وفي التنزيل العزيز : وآخر من شكله أزواج أي من مثله • والمساكلة
الموافقة •

وقد استعمل المتنبي الشكل في المعنى نفسه في قوله :

يا أيها القمر المباهي وجهه لا تكذبَنَ فلست من أشكاله
أي من أمثاله •

وقال في أرجوزة : مُجْتَمَعُ الاضداد والأشكال •

أقول : اوشك هذا المعنى ان يزول من الفصيح المعاصر لان «الشكل»
عند المعاصرين الظاهر من الشيء والمظهر وما يبدو منه من حيث الملامح
والخطوط والعلامات وربما اللون وهم يستعملونه في النقد الادبي والفني
فيقولون الشكل ويريدون به الاسلوب والطريقة ويقابلونه بقولهم المضمون
ويراد بالمضمون الفكرة والمعنى المراد • وقد يكون هذا الاستعمال الجديد
ولا سيما في اللغة الفنية والادبية قريباً من معنى الصورة المحسوسة أو المتوهمة
للشكل في الفصيحة القديمة •

ولعل « الشكل » بمعنى المثل والنظير باق في الاستعمال الدارج •

قال المتنبي :

الخائضَ العُمرات غير مُدافعٍ والشَمَرِيَّ المِطْعَنَ الدِعْيَسَا

انظر مادة « دعس » من هذا المعجم •

قال المتنبي :

فأَقْبَلَهَا المروجَ مُسَوِّماتٍ ضَوامِرَ لا هِزال ولا شِيَارَ
من قصيدة يصف فيها اريقاع سيف الدولة بني عُقَيْل وقَشِيرَ
وبلعجلان وكلاب ومطلعها :

طِوال قنأ تَطاعنُها قِصارُ وقَطْرُك في نَدَى ووَعَى بِحارَ

اللغة والشرح :

يريد مروجَ سَلَمِيَّة لانهم كانوا بها ثم انهزموا بين يديه منها ،
والكنية في « أَقْبَلَهَا » للخليل ولم يجر لها ذكر ، ومعنى « أَقْبَلَهَا » جعل
وجوها الى المروج ، وأجاءها اليها مُسَوِّماتٍ مُعَلَّكات ، وهزال جمع
هزيل ، وشيار حسنة المناظر سِمان جمع شِيَر وهي من الشارة ، والشوار
حسن الهيئة •

والمعنى : ان ضمرها ليس عن هزال انما هو عن تضيير وصنعة وقيام
عليها فهي مصنوعة مضمرة ، ولا هي ايضاً حسنة المناظر لانها قد شَعِثَتْ
واغبرَّت بمواصلة السير •

تعليق :

قالوا : الشارة والشورة : الحسن والهيئة واللباس • وقيل : الشورة
(بالضم) الهيئة والشورة (بالفتح) اللباس حكاه ثعلب •

قال ابن الاثير : هي بالضم الجمال والحسن كأنه من الشور عرض
الشيء واطهاره • والشارة والشورة : السِمن • وفرَس شِيرَ وخيل
شيار مثل جيّد وجياد أي سمان حسنة المنظر ، قال عمرو بن معد يكرب :

أعبّاسُ ، لو كانت شياراً جِيادنا بتثليث ما ناصبت بعدي الأحاسا

وفي الحديث : انه رأى امرأة شيرة وعليها مناجيد أي حسنة الشارة
وقيل : جميلة •

أقول : وهذه مادة من المواد الغنية القديمة ذات الدلالة الواضحة والتي

حفل بها الأدب وردت عند المتنبي توكيداً لما ذهب إلى أنه وفّر مادته من فصيح العربية وفرائدها وأوابدها فقد ألمّ بها واستوعب مادتها فكانت في شعره في المكان المناسب .

١١٨ - شوق

قال المتنبي :

« ما لاحَ بَرَقَ أو تَرَكَمَ طائرٌ » الا أَتَشَيَّتُ ولي فؤادٌ شَيِّقٌ
من قصيدة قالها في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أوس بن
معن بن الرضا الأزدي ومطلعها :

أَرَقُّ على أَرَقِّ ومِثْلِي يَأْ رَقُّ وجَوْيٌ يَزِيدُ وعَبْرَةٌ تَرَقَّرَقُّ
اللغة والشرح :

الشيّق يجوز أن يكون بمعنى فاعل من شاق يشوق كالجيّد والهيّن
ومعناه :

أن قلبي يشوقني إلى أحبّتي ، ووزنه « فَيَعِل » وهو كثير مثل
الصيّب والسيّد وبابه ، ويجوز أن يكون على وزن فاعل بمعنى مفعول ،
ولعان البرق يهيج العاشق ويحرّك شوقه إلى أحبّته لأنه يتذكر به
ارتحالهم للتّجعة وفراقهم ، ولأنّ البرق ربّما لمع من الجانب الذي هم
فيه وكذلك ترشم الطائر وهذا كثير في أشعارهم .

تعليق :

أقول : كأن « الشيّق » قد تحوّل من كونه صفة للعاشق أو للمعشوق
في الأقل إلى غير العاقل فيقال : مقالة شيّقة وحديث شيّق ومثل هذا هو
الجاري في الاستعمال ولا يقال رجل شيّق أو حبيبة شيّقة كما ورد في الأدب
القديم .

١١٩ - شول

قال المتنبي :

أَمَرْتُ بَأَن تَشَالَ ففارقَتْنَا وما أَلِمْتُ لحادثة الفراق
ثالث ثلاثة أبيات من مجموعة مقطّعات عدة وصف فيها مرتجلاً لعبة
على صورة جارية أحضرت مجلس بدر بن عمار .

أما البيتان الآخرا فهما :

وذا تَغْدَائِرٍ لا عَيْبَ فيها سوى أنْ ليسَ تَصْلُحَ للعناقِ
إذا هَجَرْتُ فعنْ غيرِ اجتنابٍ وإنْ زارَتْ فعنْ غيرِ اشتياقِ
أَمَرْتُ بَأَن تَشَالَ ...

تعليق :

أراد بالفعل « تشال » ترفع على البناء للمجهول . وهذا المعنى مما
لا تعرفه الفصيحة في عصر المتنبي وقبله وبعده . وهو من غير شك مأخوذ من
العامية الدارجة ودليلنا على ذلك أن الفعل معروف اليوم في العامية العراقية
وربما غير العراقية ، وهو في العامية فعل يأتي لا واوي كما هي الحال في اللغة
الفصيحة .

على أن المعنى الفصيح المذكور في كتب اللغة هو شيء آخر لا نجده في
عصرنا .

قالوا شالت الناقة بذنبها تشوله شولاً وشولاناً وأشالته
واستشالته أي رفعته ، قال النمر بن تَوَلَب :

جَمُومُ الشَّدِّ شَالَّةٌ الذَّنَابِيُّ تَخَالُ بِيَاضَ غُرَّتِهَا سِرَاجاً
وشالَ ذَنَبُهَا أي ارتفع ، قال أحيحة بن الجلاح :

تَأَبَّرِي ، يا خَيْرَةَ الفَسِيلِ تَأَبَّرِي من حَنْذٍ فشولي
ومن المعلوم أن استعمال الفعل للنخلة هو على التشبيه أي كأنها ترفع
ذنبها كما تفعل الناقة .

والمعروف من هذا الفعل في عصرنا في العامية القروية في العراق مثلاً
قولهم : « شالت الدابة » أي حَمَلَتْ ومثل هذا في الفصيحة القديمة
فالشائلة من الابل التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها
والجمع شُول .

١٢٠ - صرد

قال المتنبي :

وَمُتَّقٍ وَالسَّهَامُ مَرْسَلَةٌ يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدٍ
انظر مادة « صرد » من هذا المعجم .

١٢١ - صوع

قال المتنبي :

سَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشْرِفِيَّةُ فَائْتَنَى فَانْصَاعَ لَا حَلَبًا وَلَا بَعْدَاذَا
من قصيدة يمدح فيها مساور بن الرومي ومطلعها :
أَمْسَاوِرُ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْثٌ غَابَ يَقْدُمُ الْأُسْتَاذَا
اللمغة والشرح :

انصاع مطاوع صُعُتْهُ فانصاع اي تَنَيْتَهُ فَائْتَنَى ومنه قول الشاعر :
« يَصُوعُ عُنُوقَهَا أَحْوَى زَنِيمٍ »
والمشرفيَّة : السيوف المنسوبة الى مشارف الشام وهي قرى هناك تعمل
بها السيوف .
يقول : انهمز لم يقصد الشام ولا العراق لان سيوفك اخذت عليه
هذه الطرق .
تعليق :

قالوا : صاع الشيء صَوْعًا : ثناه ولواه . وانصاع القوم : ذهبوا
سراعاً .

وانصاع اي انقتل راجعاً وممر مسرعاً . والمنصاع : المتعَرِّد والناكص ،
قال ذو الرمة :

فانصاعَ جانبه الوحشي وانكدَرَتْ

يَلْحَبْنَ لَا يَأْتَلِي الْمَطْلُوبُ وَالطَّلَبُ

وقالوا : صاع الشجاع أقرانه والراعي ماشيته يصوع : جاءهم من
نواحيهم ، وفي بعض العبارة : حازهم من نواحيهم ، حكى ذلك الازهري عن
الليث وقال : غَلِطَ الليث فيما فُسِّرَ ، ومعنى الكميُّ يصوع اقرانه أي يحمل
عليهم فيفرِّق جمعهم ، قال : وكذلك الراعي يصوع اربله اذا فرَّقَهَا فِي
المرعى .

أقول : ان الفعل « انصاع » الذي ورد في بيت المتنبي ما زال مستعملاً
في المعنى نفسه في لغتنا المعاصرة غير ان الثلاثي الذي بني عليه المطاوع موضع
الشاهد لا وجود له في العربية الحديثة المعاصرة ولكنه معروف في العامية
العراقية التي بدأت تفقد كثيراً من مادتها بين الاجيال الناشئة لقرب لغة هؤلاء
من الفصحى المكتوبة والمقروءة .

١٢٢ - صمع

قال المتنبي :

وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تَلَمَّ مِثْلَمَةً
الَا نَفَاها عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ
وتورقي ابو شجاع فاتك بمصر فقال يرثيه في قصيدة مطلعها :
الْحُزْنُ يُثْقِلُ والتجمل يردع
والدمع بينهما عصي طيِّع

اللمغة والشرح :

الأصمع : الحاد الذكي . ويقال : ثريدة مُصَمَّعة اذا كان وسطها
ناتئاً .

يقول : كنت أراك في حال حياتك وما تنزل بك نازلة الا دفعها عنك
قلب ذكي •

تعليق :

قالوا : صَمَعَ الفؤاد : حدثته وقد صَمَعَ صَمَعاً وهو أَصَمَعَ •
وقلب أَصَمَعَ ذكي متوقِّد فطِن ، وكذلك الرأي الحازم على المثل كأنه
انضَمَّ وتَجَمَّعَ • والأصمعان : القلب الذكي والرأي العازم • ورجل
صَمِعَ : حديد الفؤاد ، شجاع •

أقول : وهذا من الكلم الذي لا نعرفه في لغتنا المعاصرة ولم يكن من
الغريب النافر ولا المستكره البعيد •

١٢٣ - صوت

قال المتنبي :

بعيد الصيت مئبث السرايا يشيب ذكره الطفل الرضيع
من قصيدة يمدح علي بن ابراهيم التتوخي ومطلعها :
مثلث القطر أعطشها ربوعا وإلا فاسقها السم النقيع

اللفظة والشرح :

الصيت والصات : ذهاب الذكر الحسن بين الناس وخوف سراياه اذا
ذكر اسمه الطفل الرضيع شاب خوفاً منه •

تعليق :

قالوا : ذهب صيته في الناس أي ذكره • والصيت والصات : الذكر
الحسن •

وخص الجوهري الصيت بالذكر الجميل الذي ينتشر بين الناس دون
القيبح •

أقول : وهو من الصَوْت الذي هو المصدر وقد أشرت في غير هذا المكان
إلى أن العربية درجت في الثلاثي من المصادر التي جاءت على « فَعَلْ » باسكان
العين مع فتح الفاء ان تجاوز المصدر فتكسر الفاء فتحول المصدر الى اسم
منه أو الى شيء قريب منه فيه الاسمية أو خصوصية معنوية أخرى فقد قالوا
الريح من الرُوح وكذلك الذَّبْح وهو الحيوان المذبوح أو ما شأنه ان يذبح
من المصدر الذي هو الذَّبْح بالفتح ومثله المسخ بالكسر وهو الاسم من
المسخ بالفتح وهو المصدر • والسِقْط بالكسر وهو الاسم من السقط بالفتح
وهو المصدر وهذا كثير •

وكان ينبغي ان نفيد من هذا الباب في حياتنا الحاضرة في توفير شيء من
المصطلح الجديد •

١٢٤ - ضبرم

قال المتنبّي :

فَلَيْلَهُ وَكُتْ ذَوْبَ الْغِشِّ نَارُهُ

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَابَرِمٌ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويذكر بناءه ثغر الحدث ومنازلته
أصناف جيش الروم ومطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

اللفظ والشرح :

يتعجب من ذلك الوقت الذي قامت الحرب فيه بينه وبين الروم •
يقول : ما كان مغشوشاً هلك وتلاشى كأنه ذاب بنار الحرب ولم
يبق إلا سيف قاطع أو رجل شجاع ، وعكس بالغش الضعاف من الرجال
والأسلحة •

تعليق :

قالوا : الضبارم : الأسد الوثيق • والضبارم والضبارمة : الجريء
على الأعداء • وهو ثلاثي عند الخليل •

ابن السكيت : يقال للأسد ضبارم وضبارك ، وهما من الرجال
الشجاع •

أقول : ان ضبارم من الرباعي وأصله كما ذهب الخليل هو الثلاثي ،

ومعنى هذا ان الاسم من مادة الضبر ويفيد الشد والوثاقة وقد قوّي هذا
المعنى بالميم او الكاف على قول ابن السكيت كما قوّي الصلد وهو
الصلب بالميم فقالوا صلدِم وصلادم للصلب الشديد •
وقد أشرت في مكان آخر الى بناء « فُعَالِيل » وقلت انه من الأبنية
القديمة التي لا نجد لها في عريبتنا المعاصرة أو قبل المعاصرة بعدة قرون أمثلة
حية • وأقصد بالحية ان تلوّكها اللسان وتشتهر في الاستعمال •
ولقد ذكرت ان كثيراً مما وُرد على هذا البناء يوحى انه مصنوع
بل قل موضوع وقد بسطت في ذلك القول في دراسة غير هذه •

١٢٥ - طبا

قال المتنبي :

لا بما تَبَتَّتِي الحواضرُ في الريفِ وما يَطْبِي قُلُوبَ النِّساءِ
وَبَنَى كافوز داراً بازاء الجامع الأعلى على البركة وتحولَ إليها وطالب
أبا الطيب بذكرها فقال :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدْنِي مِنَ الْبُعْدَاءِ

اللمعة والشرح :

أي لا يفخر بما بينه أهل الحضرة في البلاد ولا بالملك الذي يستميل
قلوب النساء ، وإنما يفخر ببناء العلياء بالملك الذي هو طيب الشأن .
ويقال : طباه واطبأه إذا دعاه واستماله .

تعليق :

أقول : إن هذا الفعل مما لا ندركه في عصرنا ولا نعرفه وهو شيء فينا
حاجة إليه ثم إننا لا نجد فيه غرابة وندرة بسبب من اجتماع الأصوات
اللغوية .

وقد استعمل المتنبي الفعل نفسه في صيغة الثلاثي في بيت آخر من
قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة فتأخر وطمعها :

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيِّباً فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

قال :

طَبَّتْ فَرَسَانَا وَالْخَيْلُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ كَرُّ مَنْ مِنَ الْحِرَانِ

يقال طباه يَطْبِيه ويَطْبُو طَبِيّاً وطَبَّوْاً واطْبَأه إذا دعاه واستماله ،
قال ذو الرمة :

لِيَالِيَ اللَّهُمَّ يَطْبِينِي فَأَتَّبِعْهُ كَأَنِّي ضَارِبٌ فِي غَمْرَةٍ لَعِبٌ

١٢٦ - طفل

قال المتنبي :

أَلْقَى فَرِيستَه وَبَرَّ بَرَّ دُونَهَا وَقَرَّبَتْ قَرَباً خَالَهُ تَطْفِئاً
انظر مادة (بربر) من هذا المعجم .

١٢٧ - طلس

قال المتنبي :

يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طَيْنَ خَاتِمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبٍ
من قصيدة يمدح فيها كافوراً الأخشيدي ومطلعها :
مَنْ الْجَادِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُمْرُ الْحِلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ

اللمعة والشرح :

يقول : أمره مطاع ومثاله مُتَشَكِّلٌ في هذه البلاد يُؤْتَمَرُ أمره
بمكتوب يكتبه ويختمه بطين وإن انمَحَى المكتوب يُرَاعَى حكمه
اعظماً له .

تعليق :

الطَّلَسُ : لغة في الطرس . والطلَّس : المحو . وطلَّس الكتاب
طلَّساً وطلَّسه فتَطَلَّسَ كَطَرَّسَهُ . ويقال للصحيفة إذا مُحِيت : طَلَّسَ
وطرَّس ، وأنشد :

وَجَوْنُ خَرَقٍ يَكْتَسِي الطَّلُوسَا

يقول : كأنما كُسيَّ صُحُفاً قد مُحِيتْ مرَّةً لدروس آثارها •
والطُّلس : كتاب قد مُحِيَ ولم يُنعم محوه فيصير طُلُساً • ويقال لجلد
فخذ البعير : طُلُسان لتساقط شعره ووبره ، وإذا مُحِوتَ الكتاب لتفسد
خطه قلت : طُلُستُ ، فإذا أنعمت محوه قلت : طُرُستُ •

وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه أمرَ بطُلُس
الصور التي في الكعبة • قال شمر : معناه بطمسها ومحوها •

وفي حديث علي - رضي الله عنه - قال : لا تَدْعَ تمثلاً إلا طُلُستَ أي
مَحَوته •

أقول : وقد كنا في بداية عهدنا في الدرس قبل عدة عقود نقول
« الطلاسة » للشئ أو قطعة اللباد التي نحو بها الكتابة من اللوح أو لقطعة
المطاط الذي نحو به آثار القلم من الورق • غير ان هذه الكلمة مما عفى
عليه الزمان •

١٢٨ - طمطم

قال المتنبي :

غَضِبْتُ لَهُ لما رَأَيْتُ صِفَاتِهِ

بلا واصفٍ والشعرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

وفاؤُكُمْ كما كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ

بأنَّ تَسْعِداً والدَمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ

اللغة والشرح :

الطَمَاطِمُ جمع الطِمْطِمِ وهو الذي لا يفصح •

يقول : لما رأيت صفاته لا واصف لها مع كثرة طماطم الشعر يعني الشعراء
الذين يمدحونه فغضبت لاجله ، وسبب غضبه قصور شعرائه عن بلوغ
وصفه •

تعليق :

أقول : لقد نبز جملة الشعراء الذين تصدوا لمدح سيف الدولة فوصفهم
بالعبي والقصور وأنهم كالطماطم الذين لا يستطيعون الافصاح • وفي هذا
إدراك من نفسه لقدره واعظام لمنزلته مع شيء كثير من الكبر الذي بلغ به
حد الصلف أحياناً •

ومن المفيد ان أشير الى ان الطمطم ما زال معروفاً صفة في الأسود
الخالص في السواد كأن هذا الأسود عي لا يفصح وهذا نبز غير مقبول
في عصرنا هذا •

١٢٩ - طول

قال المتنبي :

رَجَا الرومَ مَنْ تَرَجَّى النَوَافِلَ كُلَّهَا

لَدَيْهِ وَلَا تَرَجَّى لَدَيْهِ الطَّوَائِلَ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة بعد دخول رسول الروم عليه
ومطلعها :

دُرُوعٌ لِمَلِكِ الرومِ هَذِي الرِّسَالُ

يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ

اللغة والشرح :

الطَّوَائِلُ : الأحقاد واحدها طائلة •

يقول : رَجَا عَقَّوْ من يَرَجَّى كل الفواضل من عنده ولا يَرَجَّى
أن يَدْرِكَ لديه ثَار •

تعليق :

قالوا : الطوائل : الأوتار والذحول ، واحدها طائلة ، يقال : فلان

يطلب بني فلان بطائلة أي بوكر كأن له فيهم ثاراً فهو يطلبه بدم قتيله •
وبينهم طائلة أي عداوة وتيرة •

أقول : وقد نستعمل في عصرنا « الطائلة » ولا نريد معناها الحقيقي
وهو الوكر والثار وانما نريد شيئاً نطلبه ونمضي جادين في طلبه •

قال المتنبي :

ظَلْتُ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا

من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبيد الله العلوي ومطلعها :

أَهْلًا بَدَارٍ سَبَاكَ أَغِيدَهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خَرْدُهَا

اللغة والشرح :

يريد ظللت فحذف إحدى اللامين تخفيفاً كقوله تعالى : فَظَلَّتْهُمْ
تَفَكَّهُونَ •

يقول : ظللت بتلك الدار تنثني على كبدي واضعاً يدك فوق
خلبها ، والمحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد في كبده من حرارة الوجد يخاف
على كبده أن تنشق وهو كقول الآخر :

عَشِيَّةَ أَتْنِي الْبُرْدُ ثُمَّ أَلُوْهُ عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقْطَعَا

وقال الصمة القشيري :

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا

والنضيجة للبد ولكن جرى نعتاً للكبد لاضافة اليد اليها كقوله تعالى :
من هذه القرية الظالم أهلها • والظلم للأهل وجرى صفة للقرية ، وجعل اليد
نضيجة لانه أدام وضعها على الكبد فانضجتها بما فيها من الحرارة ولهذا
جاز اضافتها الى الكبد •

والخلب غشاء للكبد رقيق لازب بها •

وقد استعمل المتنبي الفعل « ظل » على التخفيف في قوله ايضاً :

وَلَمَّا التَّقَيْنَا وَالنَّوَى وَرَقِينَا غَفُولَانِ عَنَا ظَلْتُ أَبْكِي وَتَبَسُّمُ

تعليق :

حذف لام « ظل » في قوله « ظَلْتُ » للتخفيف • وما أظن ان الشاعر
اراد التخفيف ولكنه أراد ان يتبع لغة التنزيل اذ وردت في آيتين بالحذف
وقد ذكرنا احدي الآيتين والأخرى قوله تعالى : « ظَلْتُ عَلَيْهِ عَاكِفًا » •
وكأنه أراد ان يلتمس الفصاحة ويظهر الاحاطة •

وأهل الحجاز يكسرون الظاء مع التخفيف فيقولون : ظِلْنَا وظَلِمَ •

قال ابن سيده : قال سيبويه أما ظِلْتُ بالكسر فأصله ظَلِمْتُ بالفتح
الآل أنهم حذفوا فآلقوا الحركة على الفاء كما قالوا : خِفْتُ ، وهذا النحو
شاذ •

١٣١ - عبد

قال المتنبي :

وما مَطَّرْتَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا وَرُومِ الْعَبِيدِ هَاطَلَاتٌ
من مقطوعة يودع فيها سيف الدولة وقد خرج الى الإقطاع الذي أقطعه
إياه ومطلعها :

أَيَا رَامِيًا يُصْمِي فُؤَادَ مَرَامِيهِ تَرْبِي عَدَاهُ رِيَشَهَا لِسَهَامِيهِ
اللفظة والشرح :

الروم جمع رومي كما يقال زرنج وزنجي . والعبيد : العبيد وما
انعم به علي من أنواع نعمة من الأسلحة والعبيد الرومية .
تعليق :

قالوا : والعبيد ، مقصور ، والعبيد ، ممدودة ، والمعبوداء ،
بالمد ، والمعبدة أسماء الجموع .

أقول : لعلهم اعتبروا من أسماء الجموع كل ما دل على معنى الجمعية
لم يرد عليه كثير من الكلم . وإلا لم كان ركب اسم جمع لراكب في حين ان
« طرق » مثلاً جمع « طريق » ؟ وكأنهم خشوا العبيد والعبيد بمن
ولد عبداً مملوكاً في حين ان « عباد » هم عباد الله وليسوا مملوكين .

وقد استعمل الشاعر « العبيد » جرياً على عادته في التماس الابنية
النادرة .

وقد وردت « العبيد » في بيت آخر للشاعر نفسه :

تَشَابَهَتْ الْمَوَالِي وَالْعَبِيدُ عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّيْمُ

يقول : عمّ الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله حتى أشبهوا البهائم
في الجهل وملك المملوكون فالتبس الصييم وهو الصريح النسب الخالص ،
يعني اشتبه الاحرار بالموالي وهم الذين كانوا عبيداً أرقاء ، وذلك أن نفاذ
الأمر يترجم عن علو القدر والامارة اذا صارت الى اللثام التبسوا على هذا
الأصل بالكرام . يعني ان التملك انما يستحقه الكرام فاذا صار الى اللثام
ظننوا كراماً .

١٣٢ - عبر

قال المتنبي :

فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ

وخاطبت بجزراً لا يرى العبر عائمه

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :
وفاؤكم كالربيع أشجاء طاسمته

بأن تسعيدا والدمع أشفاه ساجمته

اللفظة والشرح :

يقول أبصرت من سيف الدولة بدرًا في الصباحة والطلاقة لا يرى بدر
السما مثل مع اطلاعه على الدنيا كلها وخاطبت منه بجزراً لا يرى السابح
فيه ساحله .

تعليق :

قالوا : العبر بالكسر جانب النهر ، وعبر الوادي : شاطئه وكذلك
عبره بفتح العين عن كراع ، قال النابغة الذبياني يمدح النعمان :

وما الفرات اذا جاشت غواربها

ترمي اواذيشه العبرين بالزبد

والفعل عَبَرَ النهر ومصدره عَبْرَ بفتح فسكون وعبور اذا قطع
من هذا العِبْر الى ذلك العِبْر •

اما قول المعاصرين : « عَبْرَ الاحداث » فاستعماله جديد وليس فيه
ما يجانب الصواب فهو على التشبيه اي تشبيه الاحداث بالنهر الذي يعبر •
ويجب ان يضبط عين عبر بالفتح ليؤدي المصدر أما عَبْرَ بكسر العين فخطأ
ان استعمال مع الاحداث لان « العِبْر » بالكسر هو الشاطئ أو الجانب
أو الناحية •

١٣٣ - عذفر

قال المتنبي :

رَكِبْتُ مُشَمَّرًا قَدَمِي إِلَيْهَا وكل عذافرٍ قَلِقِ الضفُورِ
من قصيدة يصف فيها سيره في البوادي وهجا فيها ابن كرويس الأعور
ومطلعها :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مَنْ أُمُورِ سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلِ الْخُدُورِ

اللمة والشرح :

مُشَمَّرًا : رافعاً ذيلي السرعة ، والعذافر : القوي من الابل ،
والناقة عذافرة والضفور جمع ضفر وهو الحبل والنسج •

يقول : قصدها راجلاً وراكباً وانما تقلق الضفور لشدة السير
والهزال •

تعليق :

جعل الشاعر العذافر القوي من الابل وهو أيضاً العذوْفَر •
وكذلك الأسد لشِدَّتِهِ والناقة عذافرة •

قلت غير مرة ان هذا البناء « فَعَالِل » من الابنية القديمة التي انصرفت
الى مواد قديمة في مدلولها • وقد أكثروا من هذا البناء مما وضعوه وصنعوه
فجاء غفلاً من شواهد صحيحة وجاء دالاً على صفات لا نستطيع معرفتها

وضبطها مثل الصلب الشديد أو الغليظ المسترخي وغير ذلك من صفات خلق
الانسان والحيوان •

وقد استعمل المتنبي العذافرة وهي الناقة في بيت آخر وهو قوله :
وان البُذْنُ لَا يُعْرِقَنَّ إِلَّا وقد أنضى العذافرة اللِّكَاكَ
اللمة والشرح :

يُعْرِقَنَّ أي يأتين العراق ، والعذافرة : الناقة الشديدة ، واللِّكَاكَ :
المكتنزة اللحم •

يقول : ليت النوم حدثه ان ركابنا لا تبلغ العراق إلا وقد أهزلها
ثِقَلُ ما حَكَلَتْ من نَدَاكَ وانضى فعل نَدَاكَ •

تعليق :

أقول : لم يرد مؤنث فَعَالِل كثيراً فمثلاً قالوا : امرأة حِفْضَج
وحفَاضَج اي عظيمة البطن كذا زعموا !

ولم يقولوا حفَضْجَة أو حِفْاضْجَة مثلاً • وقد يكون هذا لانهم لم
يعدوا هذه المواد صفات وان أدَّتْ معنى الوصفية •

١٣٤ - عشر

قال المتنبي :

كَأَنَّكَ بَرْدُ الْمَاءِ لَا عَيْشَ دُونَهُ

ولو كنتَ بَرْدُ الْمَاءِ لَمْ يَكُنِ الْعِشْرُ

من قصيدة يمدح علي بن احمد بن عامر الانطاكي ومطلعها :

أَطَاعِينَ خِيلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ

وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر

اللمة والشرح :

العِشْر (بكسر العين) أبعد أظماء الابل •

اللغة والشرح :

يقول : ولا تَوَهَّمتُ ان الاسودَّ العظيم المشافر يستغوي هؤلاء اللئام الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً في عِظَم مشافره بالبعير الذي يثقب مشفره للزمام . والعُضروط : التابع الذي يخدم الناس بطعام بطنه ، والرَّعِيد : الجبان .

تعليق :

أقول : لو لم يعرف القارئ معنى « عُضروط » لاستشعر انها لا تدل إلا على شيء حقير كرهه في معناه وذلك ان اجتماع اصوات الكلمة وقربها مما هو متعارف عنده من الكلم يوحي انها تدل على شيء تافه لا قيمة له .

قالوا : العضروط التابع الذي يخدم الناس بطعام بطنه ، وهذا شيء يفصح عن حطة هذا الرجل وكونه دوناً رذلاً لا يرقى الى درجة الناس عامة . ثم اذا عرضت لطائفة الالفاظ التي تتفق مع « العضروط » في الأصوات وجدتُها مجموعة لغوية مَجْفُوة تتصل بعضوي الذكر والانثى .

١٣٦ - عقل

قال المتنبي :

على فتىٍّ مُعْتَقِلٍ صَعْدَةٌ يُعَلِّشُهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السَّبَالِ
البيت الثاني من بيتين قالهما في صباه فقد قيل له وهو في المكتب : ما أحسن هذه الوفرة فقال :

لا تحسُنْ الوَفْرَةَ حتى تُرَى منشورة الضَّفَرَيْنِ يومَ القِتَالِ

اللغة والشرح :

يقال اعتَقَلَ الرمحَ وتنكَّبَ القوسَ وتَقَلَّدَ السيفَ اذا حَمَلَ كلاً منها حَمْلَ مثلها ، والصعدة : الرمح القصير . ومعنى يُعَلِّشُهَا يسقيها الدم مرة بعد أخرى من كل رجل تامَّ السَبْكَ وهي ما استرسل من مقدَّم اللحية .

يقول لو كنتَ الماءَ لو سَعَتَ بطبع الجود كلَّ حيوان في كل مكان ، وفي ذلك ارتفاع الأظماء ، ويجوز أن يقال : لو كنتَ بردُ الماء لما عاودتْ غِلَّةُ أطفائها .

وقال ابن جني : أي كانت تُجَاوِز المدة في وردها العِشر لعنائها بعُدوبتك وبرِّدك .

تعليق :

قالوا : والعِشر (بكسر العين) ورد الابل اليوم العاشر . وفي حسابهم : العشر التاسع فاذا جاوزوها بمثلها فظموها عِشران ، والابل في كل ذلك عواشِرُ أي ترد الماء عِشراً .

أقول سموا الأظماء (جمع ظمء بالكسر) لورد الابل بعد أيام من الانقطاع عن الشرب ، فاذا شربت كل يوم يقال قد وردت رِفْهاً ، فاذا وردت يوماً ويوماً لا ، قيل وردت غِيباً ، فاذا ارتفعت عن الغِيب فالظمء الربع ، ثم الخمس الى العشر ولا يوجد ثلث .

كل هذا بكسر الحرف الاول . وقد أشرت ان الكسر في اول الثلاثي يحول المصدر الى اسم قريب من الأصل المصدرى أو معنى جديد يتصل به من قريب أو بعيد .

١٣٥ - عضرط

قال المتنبي :

وانَّ ذا الاسودَّ المثقوبَ مِشْفَرُهُ

تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ

من قصيدة قالها يوم عَرَفة وقد خرج من مصر سنة خسين وثلاثمائة ويهجو فيها كافوراً ومطلعها :

عيدٌ بآيَةٍ حَالٍ عُدَّتْ يَا عِيدُ

بما مَضَى أُمَ بِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ

يقول : انما يحسن شعري اذا كنت على هذه الحالة •

وقد وردت « اعتقل » في قوله أيضاً :

أَيَقَنْتُ أَنْ سَعِيداً طَالِبٌ بَدَمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرَّمْحِ مُعْتَقِلاً

وقال أيضاً :

قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا امْتَشَقُوا قَامَاتِهِمْ فِي تَمَامٍ مَا اعْتَقَلُوا

اللغة والشرح :

الامتشاق الافتعال من المشق وهو سرعة الطعن والضرب ، والاعتقال : إمساك الرمح بين الساق والركاب •

يقول : قلوبهم في مضاء سيوفهم وقدودهم في طول رماحهم •

تطبيق :

اقول : والاعتقال بهذا المعنى من المواد التي انتفت الحاجة إليها فلا نكاد نستعملها أو نعرفها • وقد بقي من هذه المادة ما يعرف من أمر الاعتقال الذي هو الحبس وأصله شد وظيف البعير مع ذراعه بالعقال •

وهذا لون من التطور اللغوي الذي صير من الجبل وما يشبهه مادة تتصل بالحبس أولاً وبالعقل وهو يعنى الرشد وعدم تجاوز الحق وأشياء أخرى •

١٣٧ - عقل

قال المتنبي :

وقد يُلَقَّبُ بِهِ الْمَجْنُونُ حَاسِدُهُ

إذا اختلطن وبعض العقول عقّال

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع فاتكاً الملقب بالمجنون ومطلعها :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ

فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

اللغة والشرح :

يقول : إذا اختلطت الرماح والسيوف عند الحرب لَقَّبَهُ حَاسِدُهُ مجنوناً ، والعقل في ذلك الوقت عقّال لأنه يمنع الاقدام • والعقّال داء يأخذ الدواب في الرجلين ، وهذا الممدوح كان يُلَقَّبُ بالمجنون فهو يقول : انما يُلَقَّبُ بهذا اللقب حاسدُهُ حَسِداً له على فَرَطٍ شجاعته التي تشبه الجنون •

تطبيق :

قالوا : والعقّال داء في رجل الدابة إذا مَشَى ظَلَعَ ساعة ثم انبسط ، وأكثر ما يَعتري في الشتاء • وخصّ أبو عبيد بالعقّال الفرس •

أقول : واستعمال « فعّال » للداء المشار إليه إضافة جديدة يحسن ان يفيد منها أهل المصطلح العلمي الجديد ذلك ان « فعّال » بالتخفيف من المصادر التي تفيد الادواء والامراض والاعراض ، ويضاف الى هذا « فعّال » بالتشديد •

١٣٨ - عكن

قال المتنبي :

وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَيْتِ بِنَفْسِهِ

وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْعَكْنَانِ

من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب العقيلي سنة ٣٤٨ ومطلعها :

عَدُوَّائِي مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ

وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ

اللغة والشرح :

الجامل اسم للجمل الكثيرة كالباقير اسم لجماعة البقر ، والعكنان الأبل الكثيرة •

يقول : إنّه أدعى دية من قتل من الناس بنفسه قبل ان يدخل عليه الليل ، ولم يؤدّر الدية بالأبل ، يريد أنّه هلك فصار كأنّه اقتص منه •

تعليق :

قالوا : العَكَنانُ* (بفتحين أو بسكون الكاف) : الابل الكثيرة العظيمة •

وقالوا : نَعَمْ عَكَنان وعَكَنان اي كثيرة ، قال ابو نخيلة السعدي :

هل باللَّوى من عَكَرٍ عَكَنانِ

أم هل تَرَى بالخَلِّ من أظعانٍ ؟

أقول : وهذه مادة من مواد بداوة الشاعر ، تلك المواد التي لا ينفك يستحضرها في كثير من المناسبات • أقصد انه قد يكون في معرض ظرف من ظروف الحضارة بل قل ان مقتضى الحال يقتضي الشاعر ان يقول شيئاً يتصل بتلك المناسبة وذلك الظرف ، ويستجيب الشاعر لذلك ولكنه لا بد ان يتخذ من مواده القديمة وسائل يصوّر ما يقتضيه الظرف أو المناسبة وان كانا بعيدين كل البعد عن ظروف البيئة البدوية • انه استطاع ان يتخذ من هذه المواد العتيقة شيئاً يناسب متطلبات الجدة في عصره •

١٣٩ - علل

قال المتنبى :

يُعَلِّلُهَا نِطَاسِي* الشَّكَايا وواحِدُها نِطَاسِي المعالي

من قصيدة يرثي فيها والده سيف الدولة ويعزيه عنها ومطلعها :

نُعِدُّ المَشْرِفِيَّةَ والعَوالي وتَقْتُلُنَا المَكُونُ* بلا قتال

اللفظة والشرح :

النطاسي* : الطبيب الحاذق في الأمور ، ويثريد بواحدتها ابنها الذي هو

واحد الناس •

يقول : يثمرُضُّها ويثزِيلُ* عِلَّتْها طبيب الأمراض يعني قبل موتها •

وابنها طبيب المعالي أي العالم بأدواء المعالي فيزيلها عنها حتى تصحَّ معاليه

فلا يكون فيها نقصان ولا عيب •

تعليق :

أراد الشاعر بقوله « يُعَلِّلُها » أي يزيل العِلَّةَ •

أقول : وهذا باب في العربية يكون فيه التضعيف وسيلة لازالة المعنى

وإثبات ضده فقولهم « مَرَضٌ » اي ازال المرض ، وفَرَعٌ ازال الفرع •

وكان الشاعر اتبع هذا الباب فجعل التضعيف في الفعل « علل » مفيداً لازالة

والسلب ولم يكن هذا التضعيف في هذا الفعل معروفاً انه يفيد الازالة •

وكان الشاعر أراد ان يقول ان « التعليل » على وجه العموم هو اظهار العلة

وكشفها وفي ذلك يكون التأويل والتفسير ، وعلى هذا فلم يكن بعيداً عن

سنن العربية •

١٤٠ - عمر

قال المتنبى :

وقد تُحَدِّثُ* الأيامُ عندك شِمةً*

وتَنَعِّمُ* الأوقاتُ وهي يَبَابُ*

من قصيدة يمدح فيها كافوراً وقد انشده إياها ولم يلقه بعدها ومطلعها :

مَنْىَ كُنَّ لي أن البياضَ خِصابُ*

فِيخْفَى بتيسين القُرُونِ شَبَابُ*

اللفظة والشرح :

يقول : الايام تُغَيِّرُ عاداتها عندك فتُرضي المعاتب وتُصالح ذوي

الفضل فلا تقصد مساءتهم لحصولهم في ذِمَّتِكَ وجوارك ، والاقوات تصير

عامرة لهم بأن يُدركوا مطلوبهم •

والمعنى : ان أظفرتني الأيام بمطلوبي عندك فلا عجب لها فانها تحدث

شِمةً* غير شيسيتها خوفاً منك وهيبة لك •

تعليق :

أقول : لقد ورد الفعل « انعمَرَ » وقد صاغه المتنبى فخرج على

السماع وذلك ان هذه الزيادة لم تسمع في هذا الفعل ، وهذا من مولدات

الشاعر •

قال المتنبي :

أَنكَحْتُ صُمَّ حَصَاها خُفَّ يَعْمَلَةٌ

تغشمرت بي اليك السهل والجَبَلَا

من قصيدة له من قصائد الصبا يمدح سعيد بن عبدالله بن الحسين

الكلابي ومطلعها :

أَحْيَا وَأَيْسَرَ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا

والبين جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا

اللغة والشرح :

الصُمَّ الصلاب : الشداد من كل شيء ، واليَعْمَلَةُ الناقة القوية لأنها تعمل السير وتغشمرت تعسفت وركضت على غير قصد •

يقول : أوطأت خُفَّ نَاقَتِي حجارة المفاوز حتى وَطِئَتْهَا وسارت بي اليك في السهل والجَبَل على غير الطريق •

تعليق :

قالوا : اليَعْمَلَةُ من الابل : النجبية المُعْتَمَلَةُ المطبوعة على العمل ، ولا يقال ذلك الا للأنثى • هذا قول أهل اللغة •

قال كراع : اليَعْمَلَةُ الناقة السريعة اشتق لها اسم من العمل ، والجمع يَعْمَلَات •

أقول : واشتقاق « يَعْمَلَةُ » يشير الى جرأة العربي القديم واتساع ذهنه وصفاء سليقته في صنع الالفاظ واستيحائها ، وهذا شيء اختصت به العربية بين سائر اللغات السامية •

ولقد استعمل الشاعر « تغشمر » للتعسفت واراد ان الناقة تركض على غير قصد وهذا معروف في اللغة فقد يفيد الفعل التهضم والظلم والتمشك كما يفيد في الوقت نفسه اتيان الامر من غير تثبت ، وكان المتنبي قد أراد المعنيين في البيت نفسه فالناقة تعسفت وجرت على غير قصد •

قال المتنبي :

هَيْهَاتَ عَاقٍ عَنِ الْعَوَادِ قَوَاضِبُ

كثر القَتِيلُ بِهَا وَقِلَّ الْعَانِي

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقت منصرفه من بلاد الروم

ومطلعها :

الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهي المحل الثاني

اللغة والشرح :

اي بَعْدَ مَا أَمَلُوا من العود الى القتال فقد عاقهم عن ذلك سيوف كَثُرَتْ بِهَا القَتْلَى منهم وقلَّ الأسير أي أنهم لم يَؤْسَرُوا بل قَتِلُوا •

تعليق :

أقول : اراد ب « العواد » العود وهو شيء اختص به وجوزّه على جريه في احداث الالفاظ لمعانٍ يريدّها • وكأنَّ العواد مثل العود اي ان للفعل « عاد » مصدرين هما عود وعواد • ولم يرد هذا المصدر في كتب اللغة • ان « العواد » في كتب اللغة تعني البر واللفظ •

١٤٣ - غرر

قال المتنبي :

فالموتُ آتٍ والنفوسُ نفائسُ

والمُسْتَغَرُّ بما لديه الاحمقُ

من قصيدة يمدح فيها أبا المنتصر شجاع بن محمد بن اوس بن معن بن الرضا الازدي ومطلعها :

أَرَقَّ على أَرَقٍ ومِثْلِي يَأْرَقُ

وجَوَّيْ يَزِيدُ وعَبْرَةُ تَرَقَّرَقُ

اللفظة والشرح :

يقول : الموت يأتي على الناس فيهلكهم وان كانت نفوسهم نفيسة عزيزة ، والنفيس : الشيء الذي يُنْفَس به أي يُبْخَل به ، والمستغَرُّ : المغرور .

يعني ان الكيس لا يغترُّ بما جمعه من الدنيا لعلمه انه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئاً ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق . وروى علي بن حمزة المستعزُّ اي الذي يطلب العزَّ بماله فهو الأحمق .

تعليق :

أقول : وليس في العربية « استغَرَّ » من الثلاثي « غرَّ » . وهذا مما ولدته المتنبي وله في هذا الباب اجتهاد . يقال : ان اكثر التجاوز على الاقيسة في العربية حدث في الشعر وذلك لان الشاعر ابدأ ممتحن وأنا اقول : ان

بين الشعراء من يستحسن وتعرض له الهفوات والهنوات ولكن نفرأ آخر يملك من الوسائل والادوات لا تحزبه قضية الوزن والقافية وعلى رأس هؤلاء ابو الطيب ولكنني أرى انه أراد ان يولد ويجتهد فكان له ذلك .

١٤٤ - غشمر

قال المتنبي :

أنكحت صُمَّ حَصَاها خُفَّ يَعْمَلُهُ

تَغَشَّمَرْتُ بي اليك السهل والجبلا

انظر مادة (عمل) من هذا المعجم .

١٤٥ - غرق

قال المتنبي :

تَغَيَّرَ حالي والليالي بحالِها

وشِبَّتْ وما شاب الزمانُ الغُرانيقُ

من قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي ومطلعها :

هو البين حتى ما تَأَكَّتِي الحزائِقُ

ويا قلبُ حتى أنتَ مَمَّنْ أفارِقُ

اللفظة والشرح :

الغُرانيق : الشاب الناعم وجمعه غُرانيق (بفتح الغين) مثل جُوالِق وجُوالِق . ويقال : الغرانيق .

تعليق :

الغُرُنُوق والغُرِنُوق والغُرِنِيق والغُرِنِاق والغُرَانِيق والغُرُونِيق كله الابيض الشاب الناعم الجميل .

وفي حديث علي - عليه السلام - : فكأنِّي انظر الى غُرُنُوقٍ من قریش يتشحَّط في دَمِهِ اي شاب ناعم وشباب غُرَانِيق : تام .

والجمع : غَرَانِقٌ وغَرَانِيقٌ وغَرَانِقةٌ •

وقد قال المتنبي : شاب الزمان الغُرَانِقُ على تشبيه الزمان بالشاب
الناعم •

١٤٦ - غرو

قال المتنبي :

أَرَى المتشاعِرِينَ غَرَّوْا بِذَمِّي ومن ذا يَحْمَدُ الداءَ العُضَالَا
من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :

بقائي شاءَ ليس هم ارتِحَالَا وحُسْنُ الصبرِ زَمْثُوا لا الجِمَالَا

اللغة والشرح :

يقال : غَرَّيَ بالشيء إذا وَلَعَ به ، والداء العضال : الذي لا دواء
له ، يعني انه لهم كالداء الذي لا يجدون له دواءً لذلك يذمونه ويحسدونه •

تعليق :

يقال : غَرَّيَ بالشيء يَغَرِّي غَرَّيً وغَرَاءً : أولع به وكذلك
أَغَرِّيَ به إِغْرَاءً وغَرَاةً •

أقول : وهذا من الافعال التي أميتت في العربية المعاصرة ولم يبق من
هذه المادة اللغوية الا الرباعي المزيد بالهمزة وهو « أغرى » •

١٤٧ - غفر

قال المتنبي :

وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ الى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا
من قصيدة يصف فيها منازل بدر بن عمار للأسد ومطلعها :
في الخدِّ ان عَزَمَ الخليط رحيلا مَطَرٌ تَزِيدُ به الخدودُ مُحولا

١٩٨

اللغة والشرح :

الغُفْرَةُ الشعرُ المجتمع على قفاه •

يقول : يَرُدُّ ذلك الشعرُ الى هامته حتى يجتمع عليها فيصير ذلك
رأسه كالإكليل وانما يفعل ذلك غَضَبًا وتغيُّظًا يجمع قوَّته في أعالي بدنه •

ويقول ابن دوست : الغُفْرَةُ شعر الناصية ، يعني ان هذا الأسد يرفع
رأسه في مشيته حتى يَرُدُّ شعر ناصيته الى أعلى رأسه • والقول هو الأول
لانه بعد هذا وصف غيظ الاسد •

تعليق :

قال أهل اللغة : الغُفْرَةُ (بالضم) ما يغطي به الشيء • غير ان المتنبي
استعمله للشعر المجتمع على قفا الأسد • ولم يكن شيء من هذا في كتب اللغة •

قالوا : غُفَرُ الجَسَدِ وغُفَارُهُ : شعره • والغُفَرُ : شعر كالزغب على
ساق المرأة والجبهة • والغُفيرة : الشعر يكون على الاذن • وامرأة غُفيرة
الوجه اذا كان في وجهها غُفَر •

والغفير : شعر العنق واللحين والجبهة والقفا •

والأصل في مادة « غُفَر » انها بمعنى سَتَرَ وغطَّى ، وقولهم غفر
الله ذنوبه اي سترها •

والمَغْفَرُ والمَغْفِرَةُ والغفارة : زَرَدٌ ينسج من الدروع على قدر
الرأس يلبس تحت القلنسوة ، وقيل : هو حلق يتقنع به المتسلح •

قال المتنبي :

تُعْجِجُ مَحَاجِرُهُ دُعُجْجَ نواظِرُهُ حُمْرُ غَفَائِرِهِ سَوْدُ غَدَائِرِهِ
والغَفَائِرُ جمع غِفارة وهي خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها ما قبَّل
منه وما دَبَرَ غير وَسَطَ رأسها • وقيل : الغِفارة خرقة تكون على رأس
المرأة يُوَقَى بها الخِمار من الدهن ، وقد تكون اسمًا للمقنعة التي يغطي
بها الرأس •

وقد جاء المَغْفَر وهو ما يغفر الرأس اي يغطيه في قوله أيضاً :

تَرَكَنْ هَامَ بَنَى عَوْفٍ وَتَعَلَّبَةٍ عَلَى رُءُوسِ بِلَا نَاسٍ مَغْفَرُهُ

فالمَغْفَر وهو من اوزان الآلة والغِفارة (بالكسر) من أسماء الادوات القدسية يشير الى أصل مادة « غَفَرَ » وهو الستر والتغطية .

ومن المفيد ان أشير في هذا المكان الى ان « الغفر » للتغطية انتهى الى غفران الذنوب اي سترها ، والله هو الذي يسترها فهو غافر وغفار وغفور .

ومن الطريف ايضاً ان « الكفر » الذي انتهى الى الكفر بالله اي الالحاد والاشراك فيه أو نكرانه هو في الأصل بمعنى الستر فكأن الكافر يستر الايمان بحاله من الكفر بالله . وقالوا : سُمِّيَ الفلاح والزارع كافراً بسبب من هذا .

١٤٨ - غلت

قال المتنبي :

غَلَّتِ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بَايَةَ

تَرْتِيكَ السُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا

من قصيدة يمدح بها أبا ايوب احمد بن عمران ومطلعها :

سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حَرِمَتْ ذَوَاتِهَا

داني الصفاتِ بعيد موصوفاتها

اللغة والشرح :

الغَلَّتْ مثل الغلط ، والعُشُور : أعشار القرآن ، والترتيل : التبيين في

القراءة .

يقول : الذي يحسب العشور ، يعني القرآن ، والقرآن كله عشور وهي معجزة واحدة ، وترتيلك في حسن قراءتك وبيانك معجزة ايضاً ، فمن

سح ترتيلك فلم يعدّه آية فهو غلط بآية لان ترتيلك في الإعجاز مثلها إلحاقه بها حتى يقال : القرآن معجزة وترتيلك معجزة فهما معجزتان .

تعليق :

قالوا : الغَلَّت والغَلَط سواء وقد غلّت الرجل ، ورجل غلوت في الحساب كثير الغلط ، قال رؤبة :

إذا استدارَ البرم الغلوت

وخصَّ بعضهم الغَلَّت بالحساب والغلط ما سوى ذلك .

أقول : وعلى هذا جرى المتنبي فقال « غلت الذي حسب »

وأنت تدرك انه يميل الى تحرى الصواب النادر في أكثر الاحايين على أنه قد يخرج فيتصرف أو قد يولد بناءً جديداً أو معنى جديداً .

١٤٩ - فخر

قال المتنبي :

يا افخره فان الناس فيك ثلاثة مستعظم أو حاسد أو جاهل
من قصيدة يمدح فيها القاضي ابا الفضل احمد بن عبدالله بن الحسن
الانطاكي ومطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أو اهل

اللفظ والشرح :

اراد يا هذا افخره فحذف المنادى كقراءة من قرأ « ألا يا اسجدوا » على
معنى : « ألا يا هؤلاء اسجدوا » .

ومنه قول ذي الرمة :

الا يا اسلمي يا دار مبي على البلى

ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

يقول : الناس فيك ثلاثة اقسام : إما مستعظم يستعظمك لما يرى
من عظمك أو حاسد يحسد فضلك أو جاهل يجهل قدرك .

تعليق :

أقول : وكان المتنبي يتحرى الاستعمالات التي بقيت شخوصاً واضحة
في بناء العربية تعدد شواهد فتستحسن على خروجه احياناً عن هذا النسق
القديم .

٢٠٢

١٥٠ - فذلك

قال المتنبي :

نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً

وأتى فذلك اذ أتيت مؤخراً

من قصيدة يمدح فيها ابا الفضل محمد بن الحسين بن العميدي وورد
عليه بأرجان ومطلعها :

باد هواءك صبرت أم لم تصبر

وبكالك إن لم يجر دمعك أو جرى

اللفظ والشرح :

يقول : جُمع لنا الفضلاء في الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك
في الوجود ، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل ما كان فيهم مثل
الحساب يذكر تفاصيله أولاً ثم يجمل على تلك التفاصيل فيكتب في مؤخر
الحساب « فذلك كذا وكذا » فيجمع في الجملة ما ذكر في التفصيل . كذلك
انت جُمع فيك من الفضل ما يفرق فيهم .

تعليق :

أقول : ولقد أفاد المتنبي من لغة الناس في حياتهم اليومية فأهل التجارة
في السوق يحسبون ويكتبون حسابهم ويجمعون المقادير وينتهي ما يكتبون
بقولهم في نهاية الحساب « فذلك » للمجمع لقد أفاد المتنبي من هذه العامية
الدارجة .

ويظن ان « الفذلكة » في العربية من هذا وهي اتيان الغريب من الأمر
وتكلف الصعب أو ما يقرب من هذا .

١٥١ - فرد

قال المتنبي :

قامت على فرد رجلى من مهاتبه

وليس تعقل ما تأتي وما تذر

٢٠٣

قال المتنبي :

نَصَرَ الفَعَال على المِطَال كَأَثَمَا

خال السؤال على النوال مُحَرَّمَا

من قصيدة يمدح فيها احدهم واراد ان يستكشفه عن مذهبه ومطلعها :

كُنِّيْ اَرَانِي وَيْكَ لَوْمَكَ اَلْوَمَا

هَمْ اَقَامَ على فؤادٍ اُنْجَمَا

اللغة والشرح :

الفَعَال بفتح الفاء يستعمل في الفعل الجميل ، والمِطَال : المماثلة وهي المدافعة •

يقول : نَصَرَ فعله على القول ، وعطاءه على المظل ، أي يُعْطِي ولا يَعْذِر ولا يَمَاطِل كأنه ظنَّ أنَّ السؤال حرام على النوال ولا يُخْرِجُ إلى السؤال ، بل يسبق بنواله السؤال وهذا مجاز وتوسُّع لأنَّ النوال لا يوصف بأنه يُحَرِّمُ عليه شيء ولكنه اراد أن يذكر تباعده عن الإلجاء إلى السؤال •

تعليق :

اقول : « الفَعَال » بفتح الفاء للفعل الجميل تخصيص في الدلالة وإفادة مما يسنى في العربية بالحركات وما يتبعها من حروف المد • ومن هنا كان « الفَعَال » غير « الفعل » •

قال المتنبي :

وأَحْسَنُ من ماءِ الشبيبةِ كَلَّةُ

حَيَا بَارِقٍ في فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

من مقطعات تشتمل كل واحدة على بيتين أو أكثر في وصف لعبة على صورة جارية أحضرت مجلس بدر بن عمار • والبيت ثاني بيتين من هذه المقطعات •

تعليق :

قوله : « فرْدَ رجل » أي « على رجلٍ واحدة » وهذا تعبير عامي واضح ما زلنا نستعمله في العراق كثيراً • ويبدو ان كثيراً من الوان عامية اليوم كانت معروفة قبل عدة قرون •

قال المتنبي :

أَفْرَسُهَا فَارِساً وَأَطْوَلُهَا بَاعاً وَمِغْوَارُهَا وَسِيْدُهَا

من قصيدة في صباه يمدح فيها محمد بن عبدالله العلوي ومطلعها :

أَهْلَاءُ بَدَارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا

اللغة والشرح :

أي هو أَفْرَسُهَا إذا ركب فرسه وكان فارساً وأكد الكلام بذكر الحال لأن أَفْرَسَ يكون من الفرس والفراصة • وطول الباع مما يمدح به الكرام ، ويقال : فلان طويل الباع إذا امتدَّتْ يده بالكرم ، ويقال للئيم ضيق الباع ، والمِغْوَار الكثير الغارة •

تعليق :

أقول : قوله « أَفْرَسَ » اشتقاق من مادة « الفرس » وهذه المادة هي التي ولدت النسق الفعلي في العربية فقليل : « فروسية » مع المصدر الصناعي والوصف « فارس » وجاء المتنبي فاستعمل التفضيل « أَفْرَسَ » •

وهذا مثل من تصرفه في العربية ومثل من سعة العربية نفسها •

وَفَاؤُكُمْ كَمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ

بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمته

اللفة والشرح :

اراد بماء الشبيبة نضارتها وحسنها ، والبارق السحاب ذو البرق ،
والفازة شراع ديباج نصب لسيف الدولة ، والشائم الناظر الى البرق يرجو
المطر .

يقول : احسن من الشباب مطر سحاب بارق انا انظر إليه ، يعني سيف
الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه ، وكنى بالشيم عن تعليق رجائه
به بانتظار جوده .

تعليق :

الفازة من الكلم الغريب . وهى بناء من خرق وغيرها تبنى في العساكر
والجمع « فاز » ، وقالوا : الفها مجهولة الانقلاب ، قال ابن سيده : ولكن
احملها على الواو لان بدلها من الواو أكثر من الياء وكذلك اذا حقر سبويه
شيئاً من هذا النحو أو كثره حمله على الواو اخذاً بالاغلب .
قال الجوهري : والفازة مظلة بعمود ، عربي فيما أرى .

١٥٥ - فوق

قال المتنبي :

فَكَانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمَا جَوَاباً وَكَانَ اللَّبْثُ بَيْنَهُمَا فُوقَا
من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

أَيَدْرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَا وَأَيَّ قُلُوبٍ هَذَا الرِّكْبُ شَاقَا

اللفة والشرح :

الفواق والفواق قدّر ما بين الحلبتين ويضرب مثلاً في السرعة
واللبث القليل ، والفواق ايضاً الشهقة الغالبة للانسان .

يقول : تجيب خيله الصريح بالطعان من غير لبث في اجابته فتجعل
الطعن جواباً ، وقدّر اللبث الاجابة وبين دعاء الصريح قدر فواق ناقة أو
فواق انسان يعني لا لبث بينهما .

تعليق :

أقول : والفواق هذا يؤيد ما ذهبت إليه من ان الكثير من مواد العربية
يكشف عن مظاهر البيئة القديمة وان الصفات والاحوال قد تؤخذ مما يباشره
العربي القديم في بيئته ، الا ترى ان السرعة واللبث القليل اتصلت بما بين
الحلبتين من وقت ، وقد لا يكون هذا دالاً على السرعة الفائقة أو اللبث
القليل دلالة كافية ولكنهم اطلقوا ذلك مستوحين مما يباشرون من عمل
أو سلوك يومي .

١٥٦ - فيش

قال المتنبي :

يُزِيلُ مَخَافَةَ الْمَصْبُورِ عَنْهُ وَيُلْهِمِي ذَا الْفَيْشِ عَنْ الْفَيْشِ
من قصيدة يمدح فيها ابا العشائر الحسين بن علي بن حمدان :
مَيْتِي مِنْ دَمِشَقٍ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاهُ لِي بِحَرِّ حَشَايَ حَاشِي

اللفة والشرح :

المصبور : المحبوس على القتل ، يقال : قتل فلان صبراً . والفياش
المفايشة وهي المفاخرة .
يقول : انه يستنقذه من القتل فيزيل خوفه ويشغل المفاخر عن المفاخرة
لانه يتواضع له ويقرّ بفضلته .

تعليق :

قالوا : الفياش المفاخرة ، قال جرير :

أَيْفَايَشُونَ وَقَدْ رَأَوْا حَفَّائِهِمْ قَدْ عَضَّه فِقْصَى عَلَيْهِ الْأَشْجَعُ

ومنه قالوا : الفياش للرجل النفاج بالباطل وليس عنده طائل .

أقول : وهذا مثل من استعماله للغريب النادر .

١٥٧ - قبع

قال المتنبي :

قَبَائِعُهَا تَحْتَ الْمُرَافِقِ هَيْبَةٌ وَأَنْفَعُ مِمَّا فِي الْجَفُونِ عَزَائِمُهُ
من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :
وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمته
.....

اللفظ والشرح :

القبايع جمع القبيعة وهي حديدة فوق مقبض السيف وهي التي يد
القائم فيها .

يقول : قاموا متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتعظيماً ثم قال :
عزائمه أنفذ من نصال السيوف وهي في الجفون .

تعليق :

أقول : القبيعة من أجزاء السيف . وهذا المعجم الذي يتصل بادوات
الحرب القديمة قد عفا عليه الزمان ذلك ان الحاجة إليها قد انتهت . وهي على
كل حال تثبت ان العربية القديمة حفلت بالادوات والآلات وانها استطاعت
ان تفي بحاجات تلك العصور فكان مصطلح للحرب وكان مصطلحاً للسلم ولاي
ظرف من الظروف .

١٥٨ - قتل

قال المتنبي :

وَقَتَلْتَ الزَّمانَ علماً فما يُغَرِّبُ قولاً ولا يُحَدِّدُ فعلاً
من قصيدة يُعزِّي فيها سيف الدولة بأخته الصغرى ويُسلِّيهِ ببقاء
الكبرى ومطلعها :

إن يكن صبرٌ ذي الرزية فضلاً

تكن الأفضل الأعز الأجل

اللفظ والشرح :

أي عرفت الزمان وألوانه وصروفه معرفة تامة فلا يأتي بشيء غريب ولا
فعل جديد لم تره ولم تعرفه ، ومعنى قَتَلْتَ الزمان علماً أي علمت منه كل
شيء حتى اذلتك بعلمك وليستك لك .

تعليق :

أقول : قوله : « وقتلت الزمان علماً » مجاز من المجازات أو قل استعارة
جميلة . وهذا يظهر ان المجاز والاستعارة شيء كان من صميم بناء العربية
الاولى وذلك ان كثيراً من المجازات انصرفت الى الواقع المحسوس فكانت
حقائق .

ولعل هذا المجاز يسوغ لنا ان نقبل ما يجد في عصرنا من المجازات
كان نقول وقتل المسألة بحثاً او قتلها تجربة . وهذا المجاز وان كان قد تسرب
الينا منقولاً من لغة أجنبية ففي العربية سعة وتقبل .

وقد استعمل المتنبي « الاقتال » جمع قتل (بالكسر) أي الاعداء في
قوله :

فلمَّ شِلْهِ جَمَعَ العَرَمَرَمَ نفسه وبشله انفصمت عُرَى أقتاله

وقد أشرت غير مرة الى المصادر الثلاثية على بناء « فَعَلَ » بسكون
العين وفتح الفاء ويشت سبيل العربية فيها وكيف ينتقل المعنى بكسر الفاء
الى اسمية قرية أو بعيدة و « قَتَلَ » بالكسر مثل من هذه الامثال .

١٥٩ - قد

قال المتنبي :

اذا استعطيت ما في يديهِ فقَدْ كُ سَأَلْتَ عن سِرِّ مَذِيعِ
من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي ومطلعها :

مَثَلَتْ الْقَطِرَ اعْطَشَهَا رُبوعاً والا فاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعاً

اللغة والشرح :

قدك اي حسبك وكفاك .

يقول ان سألته جميع ما له كفاك ذلك السؤال كالمذيع اذا سألته عن سرِّ فشا به ولم يكتمه كذلك هو يُعطيك ما يملكه ولا ييخل به .

تعليق :

قال الجوهري : وأما قولهم « قَدْكَ » بمعنى حسبك فهو اسم ، تقول : قدي وقدي بالنون وفي حديث عمر انه قال لأبي بكر : قدك يا أبا بكر .

أقول : واستعمال قد بهذا المعنى قديم ، وقد أشرت الى ان الشاعر يتحرى هذه الاستعمالات القديمة وكأنه يريد ان يجدد لها حياة .

١٦٠ - قرب

قال المتنبي :

ما كانَ أَقْصَرَ وقتاً كانَ بينهما

كأنَّه الوقتُ بين الوردِ والقربِ

من قصيدة يرثي فيها اخت سيف الدولة الكبرى ويُعزِّيهِ بها ومطلعها :

يا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يا بنتَ خَيْرِ أب

كنايةً بهما عن أشرف النسبِ

اللغة والشرح :

يريد ان قصر ما كان بين موتيهما (اي أختيه) من الزمان كان كقصر ما بين الورد والليلة التي يُصَبَّح فيها الماء .

تطبيق :

قال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما القرب ؟ فقال : سير الليل لورد الغد .

الليث : القرب ان يرعى القوم بينهم وبين المورد ، وفي ذلك يسرون بعض السير ، حتى اذا كان بينهم وبين الماء ليلة أو عشيّة ، عجلوا فقربوا يقربون قرباً ، وقد أقربوا إبلهم ، وقربت الابل قرباً .

أقول : وأنت تحس أن مواد الصورة البدوية وأدواتها وما هو من لوازمها من ظلال العيش البدوي ، كل ذلك ماثل واضح في شعر المتنبي ، ولكنه ينقل هذه الادوات البدوية حين يتناول مسألة من مسائل الحضارة .

١٦١ - قرح

قال المتنبي :

لَعَلَّ بَنِيهِمْ لِبْنِيكَ جُنْدٌ فَأُولُ قَرْحِ الْخَيْلِ الْمِهَارُ
من قصيدة يصف ايقاع سيف الدولة بقبائل عقيل وقشير وكلاب ومطلعها :

طِوَالُ قَنَا تَطَاعِنُهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ فِي نَدَى وَوَعَى يَحَارُ

اللغة والشرح :

يستعطفه عليهم ويحثه على العفو عنهم .

يقول : لعل ابناءهم يكونون جنداً لأبنائك ، والمهار من الخيل هي التي تصير قرحاً أي الصغار تصير كباراً .

تعليق :

قالوا : وفرس قارح هي التي أقامت اربعين يوماً من حملها وأكثر حتى شعّر ولدها . وتطلق على الناقة أيضاً اول ما تحمل . والقارح مما يستوى فيه المذكر والمؤنث .

أقول : وهذه مادة من المواد التي تتصل بحياته المضطربة التي تضطره ان يتحول من مكان الى آخر . وهي من غير شك من مادة معجبه في الخيل ومعجبه في الابل .

قال المتنبي :

لا أَقْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ

وَلَا أُمِرُّ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَغِنٍ

من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبيد الله بن محمد بن الخطيب القاضي
الخصيبي ومطلعها :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لِيذَا الزَّمَنِ

يَخْلُو مِنْ هَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ

اللمعة والشرح :

تقول : قَرَّوتُ البلاد واستقرتها إذا تَبَعَّتْهَا تَخْرُجُ من بلد إلى بلد ،
وَمُضْطَغِنٌ ذُو ضِغْنٍ وَحِقْدٍ •يقول : لا أسافر إلا على خَطَرٍ وخوف على نفسي من الحُسَّادِ والأعداء
ولا أُمِرُّ بأحد لا يكون له عليَّ حقد ، يعني أنهم جُهَّال أعداء لذوي الفضل
والعلم فلجهلهم وفضلي يعادونني •

تعليق :

أقول : وكذلك التقرِّي بالناء مع تشديد الراء •

وفي حديث أنس : فَتَقَرَّيْ حُجْرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ •

وكذلك استقرى ، ومنه حديث عمر - رضي الله عنه - بلغني عن أمَّهات
المؤمنين شيء فاستقرينهن •أقول لتَكْفُفْنَ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو
لِيُبَدِّلَنَّ الله خيراً منكُنَّ •والاستقراء الذي نستعمله في عصرنا من هذه المادة القديمة • وأكبر الظن
أن الكلمة من « القرا » وهو وسط الظهر ، فكان المتبَّع للشيء يمر عليه أو
على ما ظهر منه •

قال المتنبي :

سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نَفْسِهِمْ

وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ

من قصيدة يهجو فيها كافوراً ومطلعها :

مِنْ أَيْتَةِ الطَّرْقِ يَأْتِي مِثْلُكَ الْكَرَمُ

•••••

اللمعة والشرح :

هذا اغراء لاهل مملكته به •

يقول : كل جيل وأمة يملكهم من هو من جنسهم فكيف سادَ بالمسلمين
عبيد رذال لئام • والقَزَمُ : رذال الناس لا واحد له من لفظه وروى ابن
جني القَزَمُ •

تعليق :

قالوا : الْقَزَمُ اللِّيمُ الدنيء الصغير الجثة الذي لا غناء عنده ،
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث سواء لانه في الأصل مصدر اي الدناءة
والقماءة •وفيه لغة أخرى فيقال رجل قَزَمَ وامرأة قَزَمَ ونساء قَزَمَات ورجال
أَقْزَام •ومنه حديث علي - رضي الله عنه - في ذمَّ أهل الشام : جُفَاء طِفَام
عبيد أقزام •أقول : والكلمة ما زالت باقية للدلالة على قصر الجسم وقمائه في الأغلب
وقد تدل على التافه الحقير من الناس وكأنَّ ذلك عند المعربين على سبيل
المجاز •

وأكثر ما ترد الكلمة بكسرتين وهو خلاف الفصيح القديم المشهور •

قال المتنبي :

شَمْسٌ ضُحَاها هِلَالٌ لَيْلَتِها دُرٌّ تَقاصِيرُها زَبَرٌ جَدُّها
من قصيدة من قصائد صباد يمدح فيها محمد بن عبيدالله العلوي
ومطلعها :

أهلاً بدار سباك أغيدها

الفة والشرح :

اي هو فيما بينهم كالشمس في النهار ، والهلال في الليل ، والدر
والزبرجد في القلادة ، أي هو أفضلهم وأشهرهم ، وبه زينتهم وفخرهم :
والتقاصير جمع تقصار .

قال ابن جني : التقصار هو القلادة القصيرة وليس هذا من القصر انما
هو من القصرة وهي أصل العنق ، والتقصار ما يعلق على القصرة .

تعليق :

أقول : ان التقصار (بكسر التاء) من الحلي فهو اذن من الفاظ
الحضارة ، وهو من الآلات والأدوات . وكأنهم أفادوا من بناء تفعال لتوليد
ما تقتضيه الحضارة . وأرى أنه يحسن بنا في هذا العصر ان نتخذ من هذا
البناء مادة توفر لنا شيئاً من المصطلح الجديد .

وقد وردت هذه المادة في بيت آخر للمتنبي في لفظ « قصورة » لتؤدي
معنى المحبوسة وهو قوله :

ولا ليلةً قصّرتها بقصورةٍ

أطالتْ يدي في جيديها صُجبةً العقْدِ

من قصيدة يودّع فيها ابن العميد عند مسيره الى بلد فارس ومطلعها :

نَسِيتُ وما أَتَسَى عِتَاباً على الصَدِّ

ولا خَفَرًا زادتْ به حُمرةُ الخَدِّ

الفة والشرح :

المرأة القصورة : المحبوسة في خدرها ، المنوعة من التصرف ، من
القصر وهو الحبس .

يقول : لا أنسى ليلةً قصّرت عليّ لطيب صحبتي مع هذه القصورة
ومعانتني اياها حتى طالت صُجبةُ اليد للعقد في جيديها .

تعليق :

قالوا : وتسمى المقصورة من النساء « قصورة » والجمع القصائر ،
فاذا ارادوا قصر القامة قالوا : امرأة قصيرة وتجمع قصاراً . وقد توسعوا في
« القصيرة » وأجروها مجرى « قصورة » اي المصونة المحبوسة ، قال كثير :

وأنتِ التي حَبَبْتَ كلَّ قصيرةٍ اليّ وما تدري بذاك القصائر
عَنَيْتُ قصيراتِ الحِجَالِ ولم أَرِدْ قِصارَ الخطى شر النساءِ البحاتِرِ
وفي « التهذيب » : « عني قصورات الرجال » .

أقول : ومن هنا سميت المقصورة مقصورة لانها في الأصل قصّرت
على الإمام دون الناس . غير اننا توسّعنا فيها في عصرنا الحاضر فأطلقت على
كل حجرة أو غرفة خاصة في مكانٍ ما أو في القطارات .

١٦٥ - قطع

قال المتنبي :

أسير الى اقطاعه في ثيابه على طرفيه من داره بحساميه
من مقطوعة يودع فيها سيف الدولة وقد خرج الشاعر الى الاقطاع
الذي اقطعه ايتاه ومطلعها :

أيا رامياً يُصَيِّ فؤادَ مَرامِهِ تربي عِداه ريشها لسِهامِهِ

الفة والشرح :

يريد ان جميع ما يتصرف فيه من ضروب مملوكاته انما هو من جهته
وانعامه .

أود ان أقف وقفة على « الاقطاع » وهو الكلمة موضوعة الدرس في البيت ، فهي من غير شك تعني ارضاً أقطعه اياها الممدوح وهو سيف الدولة ومعنى « الاقطاع » أنه فوض إليه تملكها والافادة منها •

وفي « النهاية » لابن الاثير : ان أبيض بن حمّال استقطعه المُلح الذي بمأرب فأقطعه إِيَّاه • قال ابن الاثير : سأله ان يجعله له اقطاعاً يملكه ويستبدّ به وينفرد • والاقطاع يكون تملكاً وغير تملك • ولهم فيه حقوق وحدود دونها أهل العلم بهذه الأمور التي تتصل بحقوق الناس وعلاقتهم بالارض التي يقيمون فيها فيفيدون منها والفائدة متعددة كثيرة •

ومن المفيد ان أشير الى ان الكلمة ما زالت حية ، ولعل كثيراً من مفهوم الكلمة في عصرنا جاء مترجماً لما كان عليه النظام في أوربا ومنقولاً الى اللغة العربية عن هذا اللون الغربي القديم •

ولما كنت ابحث في مادة « قطع » يحسن ان أضيف ان المتنبي استعمل كلمة « قِطْع » بكسر فسكون للطنفسة تكون تحت الرجل على كتفي البعير والجمع القطوع فقال :

رَأْنِي بَعْدَ مَا قَطَعَ الْمَطَايَا تَيْمَمَهِ وَقَطَعَتِ الْقَطُوعَا

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي ومطلعها :

مَلِثَ الْقَطْرُ أَغْطَشَهَا رُبُوعَا

الشرح : رأني بعد ما طال سفري حتى قطع رواحلي قصدي إِيَّاه وقطعت الرواحل طنافسها يعني أبلتها بكثرة السير وطول المسافة •

تعليق :

أقول والقارىء في هذا الأدب القديم يجب من سعة ما يملكون من لغة ، فاذا كان رحيل فانت ممتحن ازاء هذه الثروة اللفظية مما يتصل بالرحيل وادواته وحاجاته وهذا شيء لا ندركه في اللغات السامية الأخرى •

قال المتنبي :

يُتَّقِي جُلُوسَ الْبُدُويِ الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعِ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجَدَلْ
انظر مادة (٣٣) من هذا المعجم •

قال المتنبي :

مَنْ وَجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قَنْسِهِ
من مقطوعة يهجو فيها كافوراً ومطلعها :

أَنْوَلْتُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عَرْسِهِ مِنْ حَكَمِ الْعَبْدِ عَلَى نَفْسِهِ
اللغة والشرح :

القنس : الأصل •

يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه في الدنيا فنال ملكاً وولاية أو غنى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله في اللؤم لان الاشياء تعود الى أصولها ، ومن كان ليئماً الأصل فهو ينزع الى ذلك اللؤم •

تعليق :

القنس والقننس : الأصل ، قال العجاج :

وَحَاصِنٍ مِنْ حَاصِنَاتِ مَثْنٍ

مِنْ الْأَذَى وَمِنْ قِرَافِ الدَّقْسِ

فِي قَنْسٍ مَجْدٍ فَاتٍ كُلَّ قَنْسٍ

ويقال : انه لكريم القننس •

أقول : ولا أشك في أن « القننس » من غريب العربية في عصر الشاعر ، ولكنه يتوخى الغريب النادر وماذا يصنع وسلطان القافية يضطره أن يأتي بها شروداً نافراً ؟

قال المتنبي :

جَوَائِلَ بِالْقُنِيِّ مُثَقَّاتٍ كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الذُّبَالَا
من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :
بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ ارْتَحَالَا
.....

اللمعة والشرح :

القُنْيِيَّ جمع القنا (كذا) والجوائل : الخيل تجول بأرماح فرسانها وهي مثقفة أي مقوَّمة بالثقاف وهو الحديد الذي يُسَوَّى به الرمح ، وشبَّه أسننتها في اللمعان بالفتائل التي في السُرُج .

تعليق :

ذهب الشارح الى جعل القُنْيِيَّ جمع « القنا » ، وذلك لان « القنا » اسم جمع لقناة مثل : شجر وثمر ونحوهما .
والصواب : القُنْيِيَّ جمع قناة مثل دَوَاة ودَوِيَّ .

أقول : ولم يبق هذا الجمع لقناة ، ولا لدواة بل يقال : قنوات . ثم ان القنوات لا تدل على ما كانت تدل عليه وهو الرمح ، فالقناة في عصرنا مجرى الماء الذي يصل بين نهرين مثلاً وهذا من باب التشبيه ، وله شيء من اصل قديم فقد ذكروا ان القُنْيِيَّ هي الآثار التي تُحْفَر في الارض ، وقيل للفظاءم التي تجري تحت الارض قنوات .

قال المتنبي :

وهِجَانٍ عَلَى هِجَانٍ تَأْيِيكَ عَدِيدَ الْجُثُوبِ فِي الْاَقْوَا
انظر مادة (١١) من هذا المعجم .

قال المتنبي :

يَتَقَيَّلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرَبْقَةَ السَّرْحَانِ
من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :
الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ
.....

اللمعة والشرح :

روى ابن جني والناس كلهم « يتقيلون » من قولهم : فلان يتقيل أباه اذا كان يتبعه ثم قال : يتقيلون آباءهم السابقين الى المجد والشرف كالفرس المطهَّم .

وقال غيره على هذه الرواية : معنى « يتقيلون » ينمون وقت الظهيرة في ظل خيلهم أي هم بداءة لا ظل لهم فاذا قالوا لجأوا الى ظلال خيلهم ، وهذا قول العروضي .

وقال ابن فورجة : ليست الرواية الا يتفياؤن ، والمعنى : انهم يستظلون بأفياء خيلهم في شدة الحر يصفهم بالتغرُّب والتبدِّي ، ومعنى قوله : « اجل الظليم وربقة السرحان » انها اذا طردت النعام والذئاب ادركتها وقتلتها ومنعتها من العدو .

تعليق :

أقول : مهما كانت الرواية فان مادة البيت تتصل بنمط من حياة البداوة وقد تم للشاعر احراز هذه الصورة البدوية بما تهيأ له من لوازم تلك البيئة الجافية .

حرف الكاف

١٧١ - كبا

قال المتنبي :

ويُضحى غبار الخيل أدنى ستوره
وأخبرها نشر الكباء الملازمه

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :
وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمته

اللفظ والشرح :

الكباء العود الذي يتبخر به ونشر رائحته .

يقول : أدنى ستر اليك ايها الطالب الوصول إليه غبار الخيل ، وأبعد ستر عنك نشر الكباء الذي يلزمه . يريد ان دخان العود الذي يتبخر به كثر عنده حتى صار كالحجاب بينه وبين ما يطلبه ، ويثروى : « أولها نشر الكباء » يعني اول ستر دونها مما يليها ، ويمكن ان يقلب هذا فيقال : أدنى ستر اليها من الستور دونها غبار الخيل ، وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعني ان غبار الخيل كثر حتى وصل اليها فصار أدنى ستر منها دونها ، وكذلك ارتفع دخان العود حتى تباعد منها الدخان فصار آخر ستر دونها وهذا أشبه بطريقة المتنبي في اثار المبالغة .

تعليق :

الكباء : قالوا : العود المتبخر به ، قال امرؤ القيس :
وباناً وألويّاً من الهند ذاكياً
ورنداً وليئنى والكباء المقتر

والكبة : كالكباء عن اللحياني ، قال : والجمع كباء . وقد كبئى ثوبه ، بالتشديد أي بخّره . وتكبّت المرأة على المجرم : أكبت عليه بثوبها . وتكبئى واكتبئى اذا تبخّر بالعود .
أقول : وهذا من المواد التي أميتت من اللغة الحديثة ، وليس من حاجة اليها .

١٧٢ - كبت

قال المتنبي :

لأكبت حاسداً وأرأى عدواً
كأنتهما وداعك والرحيل
من قصيدة قالها عند مسير سيف الدولة من انطاكية وقد كثر المطر ومطلعها :

رؤيدك أيها الملك الجليل
تأن وعده ممّا ثيل

اللفظ والشرح :

يقول : جدّ بالمقام لأكبت من يحسدني قربك وأوجع رئة عدوي
ثم شبه الحاسد والعدو بوداعه وارتحاله لانتها ينكيان في قلبه ويوجعانه .

تعليق :

قالوا : الكبت هو الصرع ، وقيل صرع الشيء لوجهه ، وقالوا كبته يكبته كبثاً فانكبت .

وفي الحديث : ان الله كبّ الكافر أي صرعه .

وفي التنزيل : كبّثوا كما كبّث الذين من قبلهم ، وقوله تعالى :
أو يكبّتهم فيثقّلوا خائبين .

قال ابو اسحاق : معنى « كبّثوا » أذلّوا وأخذوا بالعذاب بأن غلبوا .

قال الفرّاء : اي غيظوا وأحزّنوا يوم الخندق .

أقول : وقد استعملت هذه المادة في عصرنا هذا ، والكبت : هو الستر وكظم الحزن والمرارة وهذا شيء جديد يتصل بتطور المعاني والدلالة •

ومن المفيد ان اشير الى ان « الكبت » من مصطلحات علم النفس الحديث فيقولون كبت النوازع أو العواطف بمعنى حصرها وجبسها وسترها مع شيء من العذاب •

وقد استعمل المتنبي هذه المادة اللغوية في صيغة المصدر فقال مخاطباً سيف الدولة بقوله :

أزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ

فانت الذي صيَّرتهم لي حُسَّاداً

أي أبعدهم عني وأخزهم بالاعراض عنهم •

وقال ايضاً في صباه :

انصر بجودك ألفاظاً تَرَكْتُ بها

في الشرق والغرب من عاداك مكبوتا

أي مغيطاً •

١٧٣ - كُثِفَ

قال المتنبي :

مَتَّصِعِلِكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ

مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقت منصرفه من بلاد الروم ومطلعها :

الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو أوّل وهي المحلّ الثاني

اللغة والشرح :

التصعّلك : التشبّه بالصعاليك وهم المتلصّصون الذين لا مال لهم •
يقول : هم على عِظَمِ ملكهم كالصعاليك لكثرة اسفارهم وغاراتهم ،
وهم مع عظم شأنهم يتواضعون تقرُّباً من الناس •

تعليق :

والكثافة الغليظ ، وكثّف الشيء فهو كثيف ، وتكاثف الشيء •
وفي صفة النار : لسرادق النار أربعة جُدُر كُثِفَ • وهو جمع
كثيف وهو الثخين الغليظ •

أقول : وما زالت هذه الكلمة محتفظة بهذه الخصائص المعنوية غير ان
وصف الشاعر للملك بالكثافة لا نعرفه في لغتنا المعاصرة •

ومن المفيد ان أشير ان الكلمة في عصرنا قد اتخذها ايضاً أهل العلم
مصطلحاً لهم فيقولون كثافة الماء وكثافة الهواء وكثافة السوائل الأخرى •

١٧٤ - كَرَنَ

قال المتنبي :

تَسُرُّ طَرِبَاتِهِ كَرَائِنَهُ ثُمَّ تَزِيلُ السُّرُورَ عَثْبَاهَا

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة فنّا خُسرَ ومطلعها :

أَوَّهَ بِدِيلٍ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالبَدِيلُ ذِكْرَاهَا

اللغة والشرح :

اي اذا طرب عند الشرب سرّ طربّه جَوَارِيَه المغنية ثم عاقبة طربّه
تزيل سرورهن وذلك انه يَهَبُهُنَّ المال ثم لا تزال به أريحية الجود حتى
تَهَبَ الجوّاري ايضاً ويحول ملكه عنهنّ وذلك زوال سرورهن • والكرينة :
المغنية وجمعها الكرائن •

تمليق :

قالوا : الكِران (بالكسر) : العود ، وقيل : الصنج ، قال لبيد :

صَعَلَ كسافلة القنّاة وظيفته * وكان جثوؤه صفيح كِران
والجمع أكرنة * والكرينة المغنية الضاربة بالكران *

أقول : والكران على « فعال » من أسماء الادوات القديمة عندهم *
وقولي : « القديمة » أريد ان هذا البناء عرف قبل ان تكون ابنية قياسية
للآلة وهي المعروفة من « مِفْعَل ومفعلة ومفعال » * ان في العربية أبنية
نعرفها في النصوص القديمة تشير الى الآلة او الأداة القديمة عندهم غير هذه
القياسية وهي كثيرة *

والكرينة المغنية الضاربة بتلك الآلة * وهذا شيء لا نعرفه الا في فرائد
الادب القديم * وقد توخي المتنبّي ان يشمل شعره هذه الفرائد الغالية *

اما جمعه « طَرَب » على « طربات » بسكون الراء فمن مولّداته التي
اتصفت بالخروج والتجاوز الجري فلم يعرف هذا الجمع الذي اضطره الى
تسكين الراء والأصل الفتح في المصدر المفرد * وقد جمعوا « طَرَب » على
« اطراب » للدلالة على الشوق كقول ذي الرمة :

استحدّثَ الركبُ عن أشياءهم خبراً

أم راجعَ القلبُ من أطرابه طَرَباً

١٧٥ - كع

قال المتنبّي :

وكيفاحاً تكع عنه الأعادي وارتياحاً تحار فيه الأنام
من قصيدة يسدح فيها سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية
ومطلعها :

أين أزمعت أئشه هذا الهمام نحن نبّت الرُبى وانت الغمام

اللغة والشرح :

أي : وأرانا قتلاً يجبن عنه الاعداء ، واهتزازاً للجود يتحير فيه
الخلق *

تمليق :

قال الليث : رجل كع وكاع وهو لا يسفي في عزم ولا حزم ، وهو
الناكص على عقبيه *

وفي الحديث : ما زالت قريش كاعة حتى مات ابو طالب * والكاعة
جمع كاع وهو الجبان ، اراد انهم يجبنون عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - في حياة ابي طالب ، فلما مات اجترؤوا عليه *

أقول : وما زال الفعل معروفاً في العامية الدارجة العراقية بمعنى زجر
ونهي فيقال كعت الام ولدها اذا أظهر شراً أي زجرته ونهته وأمسكت به
لئلا يندفع في شر *

١٧٦ - كفء

قال المتنبّي :

واذا لم تجد من الناس كفواً

ذات خدرٍ أرادت الموت بَعلاً

من قصيدة يعزّي فيها سيف الدولة بأخته الصغرى ويسلّي به بقاء
الكبرى ومطلعها :

ان يكن صبرٌ ذي الرزيّة فضلاً

تكن الافضل الاعز الأجل

اللغة والشرح :

يقول : المرأة الشريفة اذا لم تجد كفواً من الناس ارادت ان يكون الموت
لها كالبعل لانها اذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاخترت الموت
على الحياة *

أقول : قوله « كفوا » من باب تسهيل الهمزة وأصله « كفء » وهو المثل النظير المكافيء • كقوله تعالى : « ولم يكن له كفواً أحد » • والمتنبي باستعماله لهذه الكلمة يشير الى الكفاءة بين الزوج وزوجه وهي الكفاءة المتطلبة في الزواج والعقد •

ولكن لغتنا المعاصرة اتخذت من « الكفاء » القدير الجدير ذا المقدرة • والصواب في هذا المعنى ان يستعمل « كاف » أي يكفي الامر وهو ذو « كفاية » وليست « كفاءة » •

حرف اللام

١٧٧ - اللذ

قال المتنبي :

واذا الفتى طرَحَ الكلامَ مُعَرَّضاً
في مجلسٍ اخَذَ الكلامَ اللَذَّ عَنِّي
من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :
الحبُّ ما مَنَعَ الكلامَ الالْسُنَا
واللَذَّ شَكْوَى عاشقٍ ما أَعْلَنَا
اللفظة والشرح :

يعنى انه قد عرضَ بذكر أولاد الزنا وقد فهمه من عناء بهذا الكلام •
تعلیق :

أقول : كان المتنبي يتوخى استعمال الابنية التي لا تتردد في الاستعمال الا قليلاً ومن هذا قوله « اللذ » وهي لغة في « الذي » •
وقد استعمل المتنبي « اللذيا » في قوله :
أهذا اللذيا بنتٌ وَرْدانَ بنتُهُ

هما الطالبانِ الرزقَ من شرٍّ مَطْلَبِ
من مقطوعة يهجو فيها وردان بن ربيعة من طيء الذي نزل به في طريقه الى مصر •

اللفظة والشرح :

يقول تجاهلاً وهُزْأً : اهذا الذي تُنسب اليه بنت وردان هذه الحشرة الذميمة ثم قال : هو وهي يطلبان الرزق من شرٍّ مطلب لانها تطلبه في الحشوش وأماكن الخبث وهو يطلبه من هن عرسه •

تعليق :

واللذ بمعنى الذي من الابنية القديمة التي لا ترد في العربية الا مع الندرة والحاجة اليها ولا سيما في الشعر .

١٧٨ - لظط

قال المتنبي :

لنا عند هذا الدهر حقٌ يَلِطُّه
وقد قلَّ اعتابٌ وطالَ عتابٌ
من قصيدة يمدح فيها كافوراً ومطلعها :
مُنَى كُنَّ لِي أَنْ الْيَاسُ خِصَابٌ
فِيخْفَى بِتَيْبِضِ الْقُرُونِ شَبَابٌ

اللفظ والشرح :

يَلِطُّه : يدفعه ويمطّل به ، وكلُّ شيءٍ سترتْ دونه فقد لَطِطَّه .
يقول : لنا عند الزمان حقٌ يدافعه ولا يقضيه ، وطال العتاب معه فلم يُعْتَب ولم يُرْضَنا بقضاء الحق .

تعليق :

أقول : وهذا من الأفعال التي ماتت في فصيح العربية في عصرنا . غير ان العامية العراقية قد احتفظت بالفعل ويعني فيها الضرب فيقال لَطَّه اي ضربه . ولَطَّ الباب اغلقه بضربة وهذا الاستعمال الأخير معروف في العربية القديمة وعلى ذلك هو من بقايا الفصحاح في العامية العراقية .

وقد يستعمل الفعل ايضاً في العامية العراقية بمعنى الجحد والانكار فيقال « لَطَّ حقه » أي جحده وهو كذلك في الفصيحة القديمة فهو من بقايا الفصحاح أيضاً .

١٧٩ - لكك

قال المتنبي :

وَإِنْ الْبُذْنُ لَا يُعْرَمَنَّ إِلَّا
وقد أنضى العذافرة الككاكا
انظر مادة (عذفر) (١٣٣) .

١٨٠ - لمع

قال المتنبي :

وَأَنْفُسٌ يَكْمَعِيَّاتٌ تَحْبِثُهُمْ
لها اضطراراً ولو أقصوك شَنَانا
من قصيدة يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن الحسن الانطاكي الحمصي ومطلعها :
قَدْ عَلِمَ الْبَيْنُ مِنَ الْبَيْنِ أَجْفاً
تَكْدُمِي وَأَلْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَجْزاً
اللفظ والشرح :

الْيَكْمَعِيَّاتُ وَالْأَلْمَعِيَّاتُ : الحادّة الفطنة .

يقول :

لهم أنفُسٌ زَكِيَّةٌ وتحبهم لاجل انفسهم ضرورة ولو أبعدوك بغضاً لك ،
يعني ان من عادوه يحبهم لما فيهم من الفطنة فحبهم ضرورة .

تعليق :

أقول : اتخذ من الأفعال العربية ومعانيها مواد لمدلولات أخرى وكان الألمعي ويراد الفطن الذكي ذو فكر وحس يتأثر ويتحسس فيظهر لامعاً كالبرق مثلاً .

واحِب ان أقول : ان المجاز الجديد « فلان لامع » اي ذكي فطن منقول من لغة أعجمية هي انكليزية وفرنسية ولا صلة لها باللمعي . وهذا من توافق اللغات في اطلاق الدلالة .

قال المتنبي :

لقد تَصَبَّرْتُ حتى لَاتَ مُصْطَبِرٌ
فالآنَ أَفْحَمُ حتى لَاتَ مُقْتَحَمٌ

من قصيدة في صباه ومطلعها :

ضَيْفٌ أَلَمَ برَأْسِي غيرَ مُحْتَشِمٍ
والسيفُ أَحْسَنُ فِعْلاً منه بِاللَّئِمِ

اللغة والشرح :

يقول : لقد تكلفت الصبر حتى لم يبق اضطبار فالآن أقحم أي أورد نفسي المهالك وأوقعها في الحرب حتى أدرك مرادي فلا يبقى اقتحام .
والتقدير : حتى لات الوقت وقت اضطبار ولات الوقت وقت اقتحام .
التعليق : انظر مادة (ص) من هذا المعجم .

١٨٢ - لوح

قال المتنبي :

لو كنتَ بحرّاً لم يكنْ لك ساحِلٌ
أو كنتَ غِشّاً ضاقَ غنك اللُّوحُ

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

جَلَلًا كَمَا بي فَلَئِكَ التَّبْرِيحُ
أَغْذَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنَى الشَّيْحُ

اللغة والشرح :

الغيث : السحاب فيه مطر ، واللوح : الهواء ، أي لم يكن يسعك الهواء لو كنت سحاباً .

تعليق :

أقول : واللوح من الكلم القديم الذي يُعَدُّ من الغريب النادر والشاعر سمّحن أن يأتي بهذه الاوابد أن اقتضت القافية .

وقال المتنبي :

سَجِيَّةٌ نَفْسٍ لَا تَزَالُ مُلِيحَةً
من الضيّم مَرْمِيّاً بها كل مَخْرَمٍ

من قصيدة يمدح فيها كافوراً ومطلعها :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مَذَمِّمٍ
وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَمْتُ خَيْرُ مِثَمِّمٍ

اللغة والشرح :

المليحة : المشفقة الخائفة ، يقال : ألحّ من الأمر إذا أشفق منه ،
والمخرّم : الطريق في الجبل .

يقول : هذا الفراق سجية نفسي التي هي ابدأ خائفة من أن تظلم ويُبْخَسَ حقّها من الاكرام ، وأنا أرمي بها كلّ طريق هارباً بها من الضيّم والذلّ .

تعليق :

أقول : قوله « المليحة » بضم الميم من الفعل « ألح » ولهذا الفعل دلالات كثيرة ومنها الاشفاق والخوف . وهذه الدلالة من غريبه الذي يتوخاه ويقصد إليه .

١٨٣ - ليق

قال المتنبي :

وما لاقني بَلَدٌ بعدكم

ولا اعتَضْتُ من رَبٍّ نَعْمَايَ رَبِّ

من قصيدة أجاب بها سيف الدولة حين كتب إليه يستدعيه ومطلعها :

فَهَيْتُ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكُتُبِ
فَسَمِعُوا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ

اللفظة والشرح :

لأقني وألاقني : أمسكني وحَبَسَنِي أي لم أقم بيلدٍ بعدكم ولا
أخذت عوضاً ممن أنعمَ عليَّ •

تعليق :

وهذه الدلالة للفعل « لاق » و « ألاق » مما لا نجده في لغتنا الحديثة •
واستعملوا هذا الفعل فقالوا : هذا أمر لا يليق بك ، معناه لا يحسن بك حتى
يلصق بك •

هذا قول الازهري ، ان الاصل في هذا المعنى من لِيَقَّة الدواة وهي ما
اجتمع في وَقَبْهَا من سوادها بمائها فيقال : لِقْتُ الدواة أي أصلحت
مدادها •

أقول : وقد بقي شيء من هذا المعنى في الاستعمال الحديث حين يقال :
لا يليق بك ان تفعل هذا أي لا يحسن •

حرف الميم

١٨٤ - مجن

قال المتنبي :

قد كنت تهزأُ بالفراقِ مَجَانَةً وتجرؤُ ذَيْلِي شِرَّةً وعُثْرَامَ
من قصيدة قالها في سيف الدولة حين أوقع بعمر بن حابس من بني اسد
وبني ضبّة ومطلعها :

ذكرُ الصبَا ومَرَابِعِ الآرَامِ جَلَبَتِ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي

اللفظة والشرح :

المجانة مثل الخلاعة ، والماجن الذي لا يبالي ما يتكلم أو هو الذي
يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية ، والعُثْرَام : الخبث ، والشِرَّة من
اخلاق الشباب •

يقول لنفسه : حين كنت شاباً ولم تُبْتَلْ بالفراق وما كنت تدري
وجدَ الفراقَ وشِدَّتَه فكنت تهزأُ به غافلاً عنه في شَرَّتِكَ وعُثْرَامِكَ •
تعليق :

أقول : والمجانة في بيت المتنبي أخفُ مما نستعمل في لغة عصرنا
الحاضر ، ذلك ان المراد بها المجون ليس غير • وهذا من باب الاختصاص
في المعنى وضيق الرقعة التي تتحرك فيها الدلالة •

١٨٣ - محك

قال المتنبي :

فلا تَسْمَعَنَّ من الكاشحين ولا تَعْبَأَنَّ بِمَحْكِ الْيَهُودِ
من قصيدة من قصائد صباه وقد وَشَى به قوم الى السلطان حتى
حبسه فكتب اليه وهو في السجن يمدحه ويرأى إليه مما رُمي به
ومطلعها :

أَيَا خَدَّكَ اللَّهُ وَرَدَّ الْخُدُودِ وَقَدَّ قُدُودَ الْحَسَانِ الْقُدُودِ

اللغة والشرح :

الكاشح : العدو الذي يضرر العداوة في كشحه ، وهذا على ما قال لان شهادة العدو في الشرع لا تقبل .

يقول : لا تسع علي قول اعدائي ، ولا تبال بلجاج اليهود في اساءة القول في . ويروى : « بمحكك اليهود » وهو السعاية .

قال ابن جني : جعل خصومه يهوداً ولم يكونوا في الحقيقة يهوداً ، ورد ابن فورجة فقال : هذا نفي ما أثبتته قائل الشعر ولا يقبل الا بحجة من نفس الشاعر .

تعليق :

أقول : المحك بمعنى اللجاجة كلمة لا نجدها في لغتنا المعاصرة وانما نجد المصدر الرباعي « ماحك » وهو « المماحكة » للمعنى نفسه اي الملاجة والمنازعة في الكلام .

وقد استعمل الشاعر الوصف « محك » مثل « فرح » من هذه المادة فقال :

محك اذا مطلق الغريم بدينه
جعل الحسام بما اراد كفيلا

من قصيدة ذكر فيها منازلة بدر بن عمار للأسد ومطلعها :

في الخد أن عزم الخليط رجلا
مطر تزيده به الخدود محولا

اللغة والشرح :

المحك : اللجوج ، وسمع الأصمعي اعرابية ترقص ابنها وهي تقول :

اذا الخصوم اجتمعت جثيا
وجدت ألوى محكا أبيتا

يقول : يلج فيما يطلب ولا يتوانى ، فاذا مطلق الغريم ولم يقصر دينه طالب سيفه بذلك مطالبة الكفيل يعني أنه يقتضي الدين بالسيف ، واذا كان السيف متقاضياً صار الغريم قاضياً .

تعليق : وكذلك « المحك » وصفا مما لا نعرفه في لغة هذه الأيام .

١٨٥ - منزل

قال المتنبي :

أنت الجواد بلا من ولا كدر

ولا مital ولا وعد ولا مذل

من قصيدة يعتذر فيها الى سيف الدولة ممّا خاطبه في قصيدته الميمية ومطلعها :

أجاب دمعى وما الداعي سوى طلل

دعا فلباه قبل الركب والابل

اللغة والشرح :

أي لا تمن بما تعطي ولا تكدره بالمنّة والمطل والمذل الضجر ، يقال : مذلّت بكذا أي ضجرت به .

تعليق :

المذل مصدر قولك مذلّت أمذل مذلاً مثل « فرح » ، وهذا من الكلم الغريب الذي يتوخاه الشاعر جرياً على طريقته التي اتبعها . ثم انه من الكلم الذي لا نعرفه في عريتنا المعاصرة .

١٨٦ - مشق

قال المتنبي :

قلوبهم في مضاء ما امتشقوا قاماتهم في تمام ما اعتقلوا

انظر مادة (عقل) ١٣٦ من هذا المعجم .

اللغة والشرح :

النثا : الخبر وهو ما يُنثى اي يُنشر من حديث •
يقول : بكل مكانٍ يُسمع له خبرٌ جميل •

تعليق :

قالوا : النثا هو ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء ،
وثنيته نثوان وثيان ، يقال : فلان حسن النثا وقبيح النثا •
ولا يشتق من النثا فعل ، وانكر ذلك الازهري •
وفي حديث ابن ابي هالة في صفة مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

ولا تُنثى فلتاته اي لا تُشاع ولا تذاع ، قال أبو عبيد : معناه
لا يُتحدث بتلك الفلتات • يقال : ثوب الحديث أثوه ثواً •
وأقول : وهذا من الكلم الذي استعمله المتنبي وانت تجد مصداقه في
حديث قويم ونص قديم فصيح •

١٩٢ - نجم

قال المتنبي :

كنفي أراني ويك لومك ألوماً هم أقام على فؤاد أنجماً
مطلع قصيدة يسدح فيها انساناً اراد ان يستكشفه عن مذهبه •

اللغة والشرح :

يقول للعاذلة : كنفي واطركي عذلي فقد أراني لومك ابلغ تأثيراً
واشد علي هم مقيم على فؤاد راحل ذاهب مع الحبيب وذلك ان المحزون
لا يطيق استماع الملام فهو يقول : لومك أوجع في هذه الحالة فكُنفي ودعي
اللوم •

وقال ابن جني : يقول أراني هذا الهم لومك اي ياتي أحق بأن يلام
مني • وعلى ما قال : ألوم مبني من المعلوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول
الا شاذاً •

وقال قوم : ألوم من المليم وهو الذي استحق اللوم •

يقول لها : الهم أراني لومك ابلغ في الالامة واستحقاق اللوم وهذا
من الشذوذ كما ذكره ابن جني •

ويقال : انجمت السماء اذا أقلت عن المطر ، وأنجم المطر اي أمسك
ولا يقال : انجم الفؤاد ، ولا فؤاد منجم ولكنه استعمله في مقابلة أقام على
الضد ، ومعنى أراني عرفني وأعلمني •
تعليق :

أقول : لقد استعمل الشاعر « انجم » بمعنى راحل وذهب ، وقد أفاد
هذا المعنى من قولهم في الاصل : انجم المطر اي اقلع ، وانجمت السماء :
أقشعت • وكأنه يدرك أن الاصل لا يتعد عن هذا فقد كان الاستعمال خاصاً
فأنتسع فيه • وأرى ان مجتهداً كبيراً ضليعاً من اللغة واسرارها جدير به ان
يذهب هذا المذهب •

١٩٣ - نحر

قال المتنبي :

وأطاعتهم الجيوش وهيبوا فكلام الورى لهم كالنحاز
من قصيدة يمدح فيها ابا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب
ومطلعها :

كفر ندي فرند سيقي الجراز لذة العين عذة للبراز
اللغة والشرح :

اي كانوا مطاعين في جيوشهم ومهييين • والنحاز شبه السعال يأخذ
في الصدور •

قال ابن جني : اي لم يعبأوا بكلام أحد لما صاروا الى هذه الحالة ،
وأجود من هذا أن يقال : السعال يثرقق الصوت •
والمعنى : لهيتهم كانوا لا يرفعون الصوت بين أيديهم •
تعليق :

النحاز من مصادر الأصوات التي جاءت على بناء « فَعَال » مثل
السعال والصراخ ، ولكن هذا المصدر لا نعرفه فهو من غرائب العربية التي
أفردَ فيها للأصوات باب كبير وقد تنوعت هذه الاصوات شدة ولينا ،
وكان منها اصوات للانسان في احوال مختلفة واصوات للحيوان وأخرى
لشخوص الطبيعة واحوالها • وهذا مثل واضح لسعة العربية القديمة •

١٩٤ - ندس

قال المتنبي :

ندّ أبيّ غرّ وافٍ أخى ثقةً
جعّد سريّ نه ندب رضى ندس
من قصيدة يمدح فيها عبيدالله بن خراسان الطرابلسي ومطلعها :
أظبية الوحش لولا ظبية الأتس
لما غدوت بجدّ في الهوى تعس

اللفظ والشرح :

ندّ : جواد أي هو نديّ الكفّ ، وأبيّ : يأبى الدنيا ، والغريّ
هو المغرّى بالشيء ، يقول : هو مغرّى بالفعل الجميل ، وافٍ بالعهد
والوعد ، أخى ثقةً : صاحب ثقة يوثق به ، ورؤى ابن جني : أخ ثقة أي
هو مستحق لاطلاق هذا الاسم عليه لصحة مودته لمن خالطه ، وثقة موثوق
به ، مأمون عند الغيب ، وهو مصدر وصف به ومعناه ذو ثقة وصاحب ثقة ،
وجعّد : ماضٍ في أمره خفيف النفس يشبهه بجعد الشعر وهو ضد
المسترسل ، وسريّ من السرّو ، يقال : سرّو يسرو سرّوا فهو سريّ
إذا صار شريفاً ،

ونّه : ذو نهيّة وهي العقل ، والندب : الخفيف في الأمور يندب لها
أي يدعى فينتدب ، رضى : مرّضيّ ، والندس : الفطن البحت عن الأمور
العارف بها ، يقال : رجل ندس وندس •
تعليق :

هذه جملة أوصاف جمعها الشاعر باحكام ايما احكام فكان جامعاً
الخصال ذوي الفضل من الرجال •
وأود ان اقف على « ندس » لأشير الى انها من غريب اللغة التي لا
تصل إليها معرفة كثير من دارسي الأدب •

١٩٥ - ندس

قال المتنبي :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا
ثم انصرفت وما شقيت نسيسا
انظر مادة (رسس) ٨٦ من هذا المعجم •

١٩٦ - نسّم

قال المتنبي :

يثريك من خلقه غرائبه
في مجده كيف تخلق النسّم
من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي ومطلعها :
أحق عاف بدمعك الهمم
أحدث شيء عهداً بها القيدم
اللفظ والشرح :

النسّم جمع النسمّة وهي النفّس والروح ، قال الشاعر :
ما صور الله حين صورها
في سائر الناس مثلاً نسّمه
يقول :

خلقه الغرائب من المجد وابداعه منه ما لم يسبق الى مثله يعرفك
ويصحح لك خلق الله - عزّ وجلّ - النسّم لأن المخلوق اذا قدر على
خلق شيء كان الخالق أولى ان يقدر •

تعليق :

أقول : إطلاق النسبة على المخلوق إشارة الى ان المخلوق « رُوح »
والروح والريح مادة واحدة وهي النفس ايضاً * وكل هذا يشير الى الحياة *

١٩٧ - نصل

قال المتنبي :

خَضَعْتَ لِمُنْصَلِكِ الْمَنَاصِلِ عَنُوءٌ

وأذلَّ دِيْنُكَ سَائِرَ الْأَدْيَانِ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

الرأيُّ قبل شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ

اللمغة والشرح :

الْمُنْصَلُ (بضم الميم والصاد) ، والمنصل (بفتح الصاد) : السيف *
قال ابن سيده : لا نعرف في الكلام اسماً على مفعَّل (بضمين)
ومفعَّل (بضم وفتح) الا هذا وقولهم : مُنْخَلٌ ومُنْخَلٌ *

ومعنى البيت واضح *

تعليق :

أقول : وهذا من أبنية الآلة التي لا تعرف قياساً في العربية كما أشرنا
الى ذلك في مكان آخر *

١٩٨ - نغر

قال المتنبي :

فان الجُرْحَ يَنْغَرُ بَعْدَ حِينٍ إذا كانَ البناءُ على فسادٍ

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي ومطلعها :

أُحَادٌ ام سُدَّاسٌ في أَحَادٍ لِيَكِلْتُنَا المَنُوطَةُ بالتنادي

اللمغة والشرح :

يقال : نغر الجرح ينغر اذا ورم بعد البرء *

وقوله : اذا كان البناء على فساد أي اذا نبت اللحم على ظاهره وله
تغور فاسد وهذا من قول البحتري :

« اذا ما الجُرْحُ رُمَّ على فسادٍ تبيَّنَ فيه تفريطُ الطبيبِ

والمعنى : انهم يطوون العداوة في نفوسهم الى ان يمكنهم الفرصة *

تعليق :

قوله : نَغَرَ الجرح أي ورم وهذا من غريب دلالة هذه المادة التي
لا نعرفها وذلك لان نغر الجرح ونَغَرَ ايضاً بالعين المهملة يدل على الانفجار
واستعمال المتنبي لهذا الفعل بدلالته هذه وهي الورم يدل على تصرفه في
العربية الواسعة سعة لا يدركها الا الأقلون *

١٩٩ - نقش

قال المتنبي :

« اذا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ لِحَافٍ وشيكٌ فما يَنْكِسُ لا تَنْقَاشُ

من قصيدة يمدح فيها ابا العشائر الحسين بن علي بن حمدان ومطلعها :

« مَكْبِتِي مِنْ دِمَشْقٍ على فِرَاشٍ حشاهُ لى بِحَرٍّ حَشَايَ حَاشِ

اللمغة والشرح :

شيك أي دخلت الشوكة رجله ، والانتقاش : اخراج الشوكة من

الرجل *

قال ابن جني اذا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُ أَبِي الْعِشَائِرِ فِي السَّخَاءِ وَالْعِظَاءِ

لأنسان حافٍ ودخل الشوك في رجله لم يَنْكِسْ رأسه ليستخرج الشوكة

من رجله ، بل يمضي مسرعاً اليه *

قال ابن فورجة : المواقف قل ما يستعمل الا في الحرب ، وانما يريد ان الشجاع اذا وصفت له مواقفه تاق اليه ورغب في سجنه فاسرع اليه ، والذي يدل على صحة قول ابن فورجة رواية من روى « وقائع » • هي لا تستعمل الا في الحرب •

تعليق :

الفعل « انتقش » بمعنى أخرج الشوكة ومثله الثلاثي « نقش » • والذي نستعمل في لغتنا الحديثة هو الثلاثي ولكن الشاعر ذهب الى المزيد لحاجته في النظم الى هذه الصيغة •

٢٠٠ - نظم

قال المتنبي :

وما تنقِمُ الأيامُ ممَّنْ وجوهها
لأخمَصِه في كلِّ نائبةٍ نعلُ
من قصيدة يمدح فيها شجاع بن محمد بن عبدالعزيز الطائي المنبجي ومطلعها :

عزيزُ أسيٍّ من داؤه الحدقُ النجلُ
عياءٌ به ماتَ المحبُّون من قبلُ

اللغة والشرح :

يقال : نَقِمْتُ الشيء اذا كرهته وعبته ومنه قوله تعالى : وما نَقِمُوا منهم الا أنْ يُؤْمِنُوا أي ما كرهوا ولا عابوا الا ايمانهم • يريد : انه غلب الايام بعزّه ، وذلك له الايام ذل من يطؤه بأخمصه حتى يصير تحت رجله كالنعل في الذلة ، فالايام لا تقدر أن تخالفه أو تعيب فعله وما تنقم استفهام معناه الانكار ، ويجوز ان يكون نفيًا وإخبارًا •

تعليق :

قوله « تنقم » للدلالة على الكره والعيب من استعماله الذي تجده في أقوم النصوص الفصيحة وعلى رأسها كتاب الله - جل وعلا - • وهو يدل على مبلغ احاطته بفرائد الاستعمال القرآني •

٢٠١ - نكر

قال المتنبي :

اذا صديقٌ نكّرتُ جانبَه
لم تُعَيِّنِي في فراقِه الحيلُ
من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وكان قد وجد علة فقصده الطبيب ففرّق الموضع فوق حقه فأضرّ به ومطلعها :

أبعدُ نأيِ المليحةِ البخلُ
في البعدِ ما لا تكلفُ الابلُ

اللغة والشرح :

يقول : أبعد بُعد المليحة بخلها اذا لا يمكن قطع مسافة البخل ثم قال : في البعد أي في جملة البعد وأنواعه ما لا تكلف الابل قطعه وهو البعد بالبخل فان الابل لا تقرّب هذا البعد •

تعليق :

لقد استعمل الشاعر الفعل الثلاثي « نكر » جرياً على الأساليب الفصيحة التي يستحسن فيها استعمال الفعل الثلاثي ان لم يكن في المزيد فائدة خاصة • ومعنى هذا اذا استوى المجرد والمزيد في المعنى والدلالة فالافصح هو الثلاثي المجرد ، وقد يكون كلاهما سواء •

قال الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكّرتُ
من الحوادثِ الا الشيبَ والصلحا

وفي لغة التنزيل : « نكّروهم وأوجس منهم خيفة » • قال الليث : ولا يستعمل « نكر » في غابر ولا أمر ولا نهي •

٢٠٢ - نوش

قال المتنبي :

ناشُوا الرماحَ وكانتْ غيرَ ناطقةٍ
فعلّمّوها صياحَ الطيرِ والبُهَمِ

من قصيدته التي قالها بعد خروجه من مدينة السلام يذكر مسيره من مصر ويرثي فاتكاً ومطلعها :

خَتَامَ نَحْنُ نَسَارِي النَجْمَ فِي الظُّلَمِ
وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ

اللمة والشرح :

يقول : تناولوا الرماح وكانت جماداً لا تنطق فاسمعوا الناس صريها في طعان الشجعان وصارت كأنها طير تصيح •

تعليق :

قوله : « ناشوا » اي تناولوا وهو من الكلم التي لا توجد في الفصيحة المعاصرة ولكنها توجد في العامية في أقاليم عدة ، وعلى هذا فهي من بقايا الفصحاح وحق المعربين أن يعيدوا لها الحياة •

وقد استعمل الشاعر الفعل المزيد « انتاش » في قوله :
وَكَمْ اَنْتَشَتْ بِالسَّيْفِ مِنَ الدَّهْرِ اسيراً وبالنوال مَقْلًا
من قصيدة يعزّي فيها سيف الدولة باخته الصغرى ومطلعها :
إِنْ يَكُنْ صَبْرٌ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً
تَكُنْ الْأَفْضَلُ الْأَعَزُّ الْأَجَلُ

اللمة والشرح :

يقال انتاشه من صرعه اذا نَعَشَه •

يقول : كَمْ نَعَشْتَ وَنَصَرْتَ اسيراً للزمان بسيفك فأستنقذته من الأسر ، وكم من مَقْلٍ عديم نَصَرْتَهُ بنوالك وجبرته على كره الزمان •

تعليق :

قالوا : انتاشه مثل ناشه •

وفي حديث عائشة تصف اباها : فانتاش الدين بنعشه اي استدركه واستنقذه وتناوله واخذه من مهواته •
أقول : وهذا كله مما عاقته العربية المعاصرة •

قال المتنبي :

وكيف أَسْتَرُ مَا أُولِيَتْ مِنْ حَسَنٍ
وقد غَمَرَتْ نَوَالاً أَيُّهَا النَّالُ

من قصيدة يمدح فيها ابا شجاع فاتكاً ومطلعها :

لا خِيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالُ

فليُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

اللمة والشرح :

النال : الرجل الكثير النوال وهذا كما يقال : كبش صاف أي كثير الصوف ، ويوم طان أي كثير الطين •

يقول : لا أقدر ان أَسْتَرُ إِنْعَامَكَ وإِحْسَانَكَ وقد عَرَّفْتَنِي فِيهِمَا
أي هو أشهر من أن يستتر •

تعليق :

أقول : كَانَ أَصْلُ « نَالٍ » نَائِلٌ •

قال ابن سيده : يجوز ان يكون فَعْلًا وان يكون فاعلاً ذهب عينه •

أقول : وهذا من الفرائد التي حفل بها شعر المتنبي وهو من غرائب الأبنية ذات الدلالة •

٢٠٤ - هبل

قال المتنبي :

جازَ حدودَ اجتِهاده فأثى غير اجتِهادهٍ لأُمِّهِ الهَبَلُ
من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :

أَبْعَدُ نَأْيِ المِليحةِ البَخْلُ في البعدِ ما لا تُكَلِّفُ الإِبِلُ

اللمة والشرح :

يقول : بالغَ في الأُجتهاد حتى جاوز حدَّ الاجتهاد ففعل ما هو غير
اجتهاد لان الخطأ من فعل المقصرين ثم دعا عليه فقال : « لَأُمِّ المَخْطِئِ
الهَبْلُ » وهو « الشكل » .

تعليق :

لقد استوعب المتنبي الكثير من وجوه القول من مثل قديم وحكمة
فطن إليها حتى كان أشهر شعراء العربية في هذا الباب . وقد ختم بيته هذا
بأسلوب من الدعاء وهو دعاء قديم . وقد يكون هذا الدعاء للمدح والاعجاب
فيقال هَبِلَتْهُ أُمُّهُ أَي تَكَلَّمَتْهُ .

٢٠٥ - هنن

قال المتنبي :

لَهَيْتَكَ أُولَى لَأَنِّمٍ بِمَلَامَةٍ
وأحوجُ ممَّنْ تَعْدِلِينَ إلى العَدْلِ

من قصيدة يمدح فيها دلائر بن كشكروز ومطلعها :

كَدَعُواكَ كُلُّ يَدْعِي صَحَّةَ الْعَقْلِ

ومن ذا الذي يَدْرِي بما فيه من جَهْلٍ

اللمة والشرح :

لَهَيْتَكَ فِيهِ قَوْلَانِ : قال سيوييه : أصله « لَلَّهِ ائْتِكَ » ، وقال أبو زيد
لَأَنَّكَ فابْدَلْتَ الهمزة هاء لثلاثاً يجتمع حرفان للتوكيد اللام وإنَّ وبينهما في
هذا كلام واحتجاج .

يقول : أَنْتِ أُولَى بِالْمَلَامَةِ وَأَنْتِ أَحْوَجُ إِلَى الْعَدْلِ مِنِّْي لِأَنَّ مَنْ
أَحْبَبْتَهُ لَا يَلَامُ عَلَى جَبِّهِ .

تعليق :

قلت غير مرة ان المتنبي كان يتوخى الكلم النادر الغريب فيعد قوله
شاهداً آخر يجري فيه على الشواهد القديمة ، ومن اجل ذلك كثرت هذه
الآيات الشواهد التي تشتمل على الفرائد والغرائب .

٢٠٦ - هوى

قال المتنبي :

وَأَلْحَقْنِ بِالصَّفَافِ سَابُورَ فَانْهَوَى

وذاق الرَدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ

من قصيدة في سيف الدولة وقد خرج قاصداً خرشنة فعاقه الثلج عن
ذلك ومطلعها :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدِ

وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخُودِ مِنِّْي لِمَاجِدُ

انْهَوَى غريب في القياس لأن « انْفَعَلَ » انما يبنى من الثلاثي المتعدي و « هوى » غير متعد .

يقول : الحَقْنُ الحصن الثاني في التخریب بالاول حتى سقط مثل سقوطه وذاق الهلاك اهل الحصنين وحجارتها التي بينائهما لانتك احرقتهما بالنار فانفلقَت الصخور .

تعليق :

أقول : قوله « انهوى » على طريقته احياناً في مخالفة القياس وكأنه يريد ان يبنى جديداً في اللغة ، ولا اريد ان احمل ذلك على السهو والخطأ .

٢٠٧ - هذب

قال المتنبي :

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخِزَلَى فِدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْدَبَى
مطلع قصيدته المقصورة لما دخل الكوفة يصف فيها طريقه من مصر اليها وهجا فيها كافوراً .

انظر مادة (خزل) ٦٢ من هذا المعجم .

حرف الواو

٢٠٨ - وآل

قال المتنبي :

ها فانظري أو فظنني بي تَرَيَّ حَرْقاً
مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرْقاً مِنْهَا فَقَدْ وَاَلَا
من قصيدة في عباة يمدح فيها سعيد بن عبدالله بن الحسين الكلابي
هو مطلعها :

أَحْيَى وَأَيْسَرَ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا
وَالْبَيْنُ جَارٌ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا
اللغة والشرح :

ها : تنبيه ، ويجوز ان يكون إشارة .

يقول : ها أنا ذا فانظري اليَّ أو فكرِّي فيَّ ان لم تنظري فظنني بي أي فاستعملي فيَّ الرؤية أو الرؤيَّة تَرَيَّ حَرْقاً من حُبِّكَ من لم يُجَرِّبَ القليل منها فقد نجا من بلاء الحب .

يقال : وآل يَنْتَلِ وآلَاً اذا نجا . والنصف الآخر من البيت وصف لما ذَكَرَ من الحَرْق .

تعليق :

أقول : ولم يبق من مادة « وآل » شيء في عريتنا المعاصرة سوى العلم للرجل « وآل » وهو إحياء لعلم قديم من اعلام العرب المشهورة في جاهليتهم واسلامهم .

قال المتنبي :

ويطعن الخيل كل نافذة ليس لها من وحائها ألم
من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي ومطلعها :
أحق عاف بدمعك الهمم أحدث شيء عهداً بها القيدم

اللمة والشرح :

يعني كل جراحه نافذة تنفذ في المطعون الى الجانب الآخر ولا يتألم
بها لسرعتها حتى يموت ولا ألم بعد الموت .

تعليق :

قالوا الوحاء (بفتح الواو) : الاسراع يمدونها ويقصرونها ، قال
ابو النجم :

يفيض عنه الربو من وحائه

والوحي : السريع ، وقد توحيت أي اسرعت .

أقول : وهذا من الكلم القديم الذي ثقفه المتنبي في أصوله واهتدى
الى استعماله .

قال المتنبي :

لساني وعيني والفؤاد وهمتي أو دة اللواتي ذا اسمها منك والشرط
من قصيدة يمدح فيها علي بن أحمد بن عامر الانطاكي ومطلعها :
أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر
وحيداً وما قولي كذا ومعي الصير

اللمة والشرح :

يقال : رجل ودد وود وودد وجمعه أودد .

قال ابن جني : يقول : لساني وعيني وفؤادي وهمتي تودد لسانك
وعينك وفؤادك وهمتك .

والشطر : النصف أي هن شطرها كأنها شقت منها فصارتا شطرين
ولشدة محبتي لك كأنك شقيقي .

تعليق :

أقول :

واستعماله « ودد » وصفاً يظهر ما عنده من علم في لغة العرب .

قال المتنبي :

أيملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم
من قصائد صباه التي مطلعها :
ضيف ألم برأسي غير محتشم
.....

اللمة والشرح :

الوَضَم : كل شيء يوضع عليه اللحم ، ويضرب اللحم على الوَضَم
مثلاً للضعيف الذي لا امتناع عنده . ويقال للمرأة : لحم على وضم .
وذلك ان الحيوان فيه نوع امتناع فاذا ذبح ووضع لحمه على
الوَضَم كان عرضة لكل أحد حتى الطيور والذباب .

يقول : لا يملك الملك ضعيف لا يمنع ولا يدفع عن نفسه والاسياف
عطاش الى دمه ، والطير لم تشبع من لحمه يعني انه يقتل ويلقى للطيور
ولا يملك .

أقول : ومن فرائده استعماله العربية القديمة التي يأتي فلا تحس انها نافرة عن بيئتها العربية القديمة ومن ذلك قوله : « لحم على وضم » .

٢١٢ - وطس

قال المتنبي :

أرْكَائِبَ الْأَجَابِ إِنَّ الْأَدْمَعَا

تَطِسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطِسُنَ الْيَرْمَعَا

انظر مادة (رمع) ٩٢ من هذا المعجم .

٢١٣ - وعى

قال المتنبي :

يَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى اهْتَزَّازَ مَهْتَدٍ

يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزَتْهُ يَوْمَ الْوَعَى

من قصيدة يمدح فيها عبدالواحد بن العباس بن ابي الأصبع الكاتب ومطلعها :

أرْكَائِبَ الْأَجَابِ إِنَّ الْأَدْمَعَا

تَطِسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطِسُنَ الْيَرْمَعَا

اللفظة والشرح :

الوعى : الصوت في الحرب • وتقدير البيت : يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز مهتد يوم الوعى •

تعليق :

أقول : ان « الوعى » مثل « الوغى » حكاية لما يعرض للحرب من جلبة

«أصوات فترجمت هذه الأصوات احساساً بها في كلمة « وعى » أو « وغى » .

ومن العجيب ان « الوغى » اشتهرت وبقيت وماتت « الوعى » .

٢١٤ - وكع

قال المتنبي :

أَيَمُوتُ مِثْلَ أَبِي شَجَاعٍ فَاتَكَ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِي الْأَوْكَعُ

من قصيدة يرثي فيها ابا شجاع فاتكاً ومطلعها :

الْحَزَنُ يَثْقُلُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ وَالْدَمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِي طَيِّعُ

اللفظة والشرح :

هذا استفهام تعجب حين مات هو في جوده وفضله وعاش حاسده يعني كافوراً • والأوكع الجافي الصلب من قولهم : سقاء وكيع اذا اشتد وصلب •

تعليق :

أقول : كان سبيل العربية في اطلاق الدلالة على الصفات والاحوال ان تأخذها مما يعرفه العرب ويشارونه في بيئتهم ببواديها وحواضرها • والأوكع : الصلب الجافي من هذا الذي اتصف بالشدة والصلابة وهو سقاء اللبن • ومن أجل هذا كان من اعلامهم « وكيع » اي صلباً قاسياً وكانوا يكثرون من هذه الاسماء التي تعنى الشدة والصلابة مثل صخر وحجر وصفوان ونحو هذا •

٢١٥ - ولى

قال المتنبي :

كَلَا الرَّجُلَيْنِ أَتَلَّى قَتْلَهُ فَايْشَكُمَا غُلَّ حُرَّ السَّلْبِ

انظر مادة (سلب) ١٠٨ من هذا المعجم •

قال المتنبي :

فأرحامُ شعري يتصلنَ لدنَّته
وأرحامُ مالٍ لا تني تنقطعُ

من قصيدة يمدح فيها علي بن احمد الخراساني ومطلعها :

حشاشةُ نفسٍ ودَّعَت يومَ ودَّعوا
فلم أدرِ أيَّ الظاعنين أشيَّعُ

اللمة والشرح :

قال ابن جني : قوله « لدنَّته » فيه قبج وبشاعة لان النون انما تشدد اذا كانت نون بعدها نون نحو لدنَّتي ولدنَّتا ، واذا لم يكن بعدها نون فهي خفيفة . ثم روى : يتصلنَ بجوده ، واتصال أرحام الشعر يحتل وجهين : احدهما انه يقبل الشعر ويشب عليه فيحصل بينه وبين الشعر صلة كصلة الرحم . والوجه الآخر انه يمدح باشعار كثيرة تجتمع عنده فيتصل بعضها ببعض كاتصال الارحام ، وكذلك تقطع ارحام الاموال فيه وجهان : أحدهما انقطاع المال بتفريقها فكأنه قطع أرحامها ، والآخر لا تجتمع عنده .

تعليق : قوله : « لا تني تنقطع » أي لا تزال وكأن هذا الفعل استعمل استعمالاً خاصاً كافعال الاستمرار ولا وجود له معها الا في النصوص .

قال المتنبي :

تَخْدي الركابُ بنا ييضاً مشافِرُها
خُضراً فَراسينِها في الرِّغْل واليَنَم

انظر مادة (رغل) ٨٩ من هذا المعجم .

خاتمة :

كان لى ان عرضت في هذا العمل المعجمي نموذجاً من نماذج البحث اللغوي أشرت فيه الى بعض الكلم في العربية مما كان فيه للمتنبي تصور خاص أو ما استعمله الشاعر في صيغ خاصة ندرت في العربية . كما كان منها شيء يتصل بتطور العربية من بيئتها البدوية القديمة الى استجابتها الى الحضارة عاقداً صلة بين تلك الفرائد وما بقي منها في عصرنا الحاضر .

والعمل في مجموعه يشهد ان المتنبي قد استوعب من هذه اللغة العريقة مادة ثرة فجاءت في شعره عامرة بالحياة لما كان له من دقة في الادراك واحكام في التصور فبلغ ما بلغه من مكانة في أدب العربية .

الفهرس

تصميم الغلاف : بدروس بدروسيان
الخطوط : رضا الخطاط
التصميم الداخلي : عبدالحافظ جاسم

| ٥ | ١٠٠٠ | ١٠٠٠ | ١٠٠٠ | ١٠٠٠ | ١٠٠٠ | مقدمة |
|-----|------|------|------|------|------|-----------------------|
| ١١٤ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | كلمة في منهج البحث .. |

المعجم

| | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----------|
| ١١٧ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الالف |
| ٤١ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الباء |
| ٥٣ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف التاء |
| ٥٧ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الثاء |
| ٥٨ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الجيم |
| ٧٨ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الحاء |
| ٩٧ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الخاء |
| ١٢٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الدال |
| ١٢٧ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الذال |
| ١٣٢ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الراء |
| ١٥٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الزاء |
| ١٥٢ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف السين |
| ١٦٤ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الشين |
| ١٧٢ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الصاد |
| ١٧٦ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الضاد |
| ١٧٨ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الطاء |
| ١٨٢ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الظاء |
| ١٨٤ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف العين |
| ١٩٦ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الفين |
| ٢٠٢ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الفاء |
| ٢٠٨ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف القاف |
| ٢٢٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الكاف |
| ٢٢٧ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف اللام |
| ٢٣٣ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الميم |
| ٢٣٧ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف النون |
| ٢٤٨ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الهاء |
| ٢٥١ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | حرف الواو |
| ٢٥٧ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | خاتمة |

ك
ك

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٩٤٠ لسنة ١٩٧٧

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

دار الحرية للطباعة - بغداد